مؤسسة
الإمام الجواد
تأسست ١٤٢٧هـ
للفكر والثقافة

فلسفة الدين

مدخل لدراسة منشأ الحاجة إلى الدين

وتكامل الشرائع

محاضرات

السيد كمال الحيدري

بقلم

الشيخ علي حمود العبادي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

فلسفة الدين

مدخل لدراسة منشأ الحاجة إلى الدين وتكامل الشرائع

محاضرات السيد كمال الحيدري

بقلم:	الشيخ علي حمود العبادي
المراجعة اللغوية:	عبد الرضا افتخاري
تنضيد الحروف:	محمد البديري
منشورات:	دار فراقد
الطبعة الأولى:	١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م
المطبعة:	ستاره
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
السعر:	٥٥٠٠ تومان

ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٢٩٠٢ ـ ١٠ ـ ٨

دار فراقد للطباعة والنشر

قم - إيران

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

هذه هي الدراسة الثانية التي أعدّها تلميذنا العزيز العلاّمة الحجّة الشيخ علي حمود العبادي ـ دامت تأييداته ـ وهي مجموعة محاضرات متفرّقة جمعها وأخرجها بصيغة كتاب، بعد تدوينها وإبداء الملاحظات الفنية والتوضيحية عليها، مما كان له الأثر المفيد في صياغتها بهذه الصورة.

وإني إذ أشكر له هذا الجهد المبارك، أدعو الله العليّ القدير أن يجعله علماً من أعلام هذه الأمّة، راجياً أن يواصل هذا الطريق إنه وليّ التوفيق.

كمال الحيدري

١٠ شوّال ١٤٢٩ هـ

المقدمة

لا ريب أنّ العقيدة هي وظيفة عقلية في مرحلتها الأولى، وأنّ عقائد الإنسان وتصديقاته هي الأساس لجميع توجّهاته الفردية والاجتماعية في الحياة، لأنّها هي التي تحدّد شاكلته؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾[1]، وهي التي تحفّزه وتدفعه نحو العمل، وتحدّد اتّجاهه في الحياة. فإذا كانت عقيدة الإنسان صائبة مطابقة للواقع، كان طريق حياته صائباً كذلك، أمّا إذا كانت عقيدته فاسدة باطلة، فإنّ طريق حياته لا يؤدّي إلاّ إلى الضياع.

من هنا أَولى القرآن الكريم عناية فائقة بمسألة العقيدة، وذمَّ الذين لا يستخدمون عقولهم في اختيار العقيدة السليمة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

أي: أنّ أولئك الأشخاص الذين آذانهم عن سماع الحقّ صمّاء، وألسنتهم خرساء، ولا يستثمرون عقولهم لإدراك الحقائق، سيكون مصيرهم الخسران والهوان.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) الأنفال: ٥٥.

(٣) الأنفال: ٢٢.

﴿أَضَلُّ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ﴾[(١)]، فمع أنّ الله تعالى أنعم عليهم بنعمة العقول والألسن إلاّ أنّهم غافلون عمّا يجب سماعه من الحقائق الحقّة.

إذاً قيمة الإنسان من وجهة نظر القرآن ترتبط ارتباطاً وثيقاً برؤيته الاعتقادية؛ ولذا ورد عن سيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «**رحم الله امرأً عرف مِن أين، وفي أين، وإلى أين**»[(٢)].

فعقيدة الإنسان هي المعيار في تقييم الأعمال، بل حتى الأعمال الصالحة لا قيمة لها ما لم تنبعث من عقيدة صحيحة وصائبة، لأنّ صحّة العمل ودوره في تكامل الإنسان منوط بصحّة عقيدة العامل.

ولذلك أوّل ما يُطرح على الإنسان بعد مماته ودخوله في عالم الآخرة من أسئلة للبتّ في ملفّ أعماله هو السؤال عن العقيدة، لا عن العمل.

ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة مثُل له ماله وولده وعمله... فإذا أُدخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الأرض بأقدامهما، أصواتُهما كالرعد القاصف، وأبصارُهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد** صلّى الله عليه وآله. **فيقولان له: ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾**»[(٣)].

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، محمد باقر المجلسي، تحقيق ونشر دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت: ج٧٤ ص١٨٧.

(٣) **الكافي**، ثقة الإسلام الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفّى ٣٢٩ هـ)، صحّحه وقابله وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران: ج ٣ ص ٢٣١ ـ ٢٣٣.

كذلك نجد أنّ مراتب الناس ودرجاتهم في يوم القيامة تتحدّد على أساس عقائدهم وإيمانهم؛ قال تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ ، بل حتى في دار الدنيا نجد أنّ التمييز قائم على أساس العقيدة. فللمشرك ـ مثلاً ـ أحكام تختلف عن أحكام المؤمن سواء فيما يرتبط بالأحكام الفردية أم الاجتماعية.

ونطوي الحديث عن أهمّية العقيدة في حياة الإنسان، بنقل رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو أكبر معلّم للعقيدة والعمل ـ يتجلّى من خلالها اهتمام الإسلام بالعقيدة، فقد روى الشيخ الصدوق ما حاصله:

بينما كانت رحى الحرب دائرة في معركة الجمل، وبينما الإمام عليه السلام في لجّة المعركة، وإذا بأعرابيّ ينهض واقفاً ويقول بصوتٍ عالٍ: يا أمير المؤمنين أتقول إنّ الله واحد؟!

سؤال لم يكن له أيّة مناسبة في نظر المقاتلين المنهمكين في القتال، والذين لا شاغل لهم إلاّ التخطيط للعمليات الحربية وكيفية تنفيذها. فلو أنّ سائلاً أراد أن يسأل عن شيء في ذلك الموقف، فلابدّ أن يكون مرتبطاً بالحرب لأنّه الهمّ الأساسيّ في ذلك اليوم؛ لذا لما سمعوا سؤال الأعرابي عن مسألة عقائدية تبدو حسب الظاهر أنّها لا مساس لها بالمعركة، اشتاط غضبهم وحملوا على الأعرابيّ متذرّعين أنّ الساعة ساعة حرب وإقدام سيوف لا سؤال عن مسألة عقائدية، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام خاطب الأعرابي الذي رأى نفسه وسط وابل من الاعتراضات والتهجّم، بعبارة خالدة كشفت عن أهمّية العقيدة حيث قال عليه السلام: «**دعوه فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم**»[1].

(١) **التوحيد**، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي=

فعلى الرغم من معمعة الحرب تصدّى الإمام عليه السلام لإجابة الأعرابي مبيّناً أنّ هدفه ليس هو التسلّط والاستعلاء وإنّما هو العقيدة السليمة والمعرفة الصائبة، وأنّه ما القتال إلاّ لأجل إزالة الموانع ورفع الحجب التي تمنع من تجلّي الحقيقة وتهيئة الأجواء المناسبة للعقيدة السليمة.

ومن أهمّ أحكام العقيدة عدم جواز التقليد فيها، أي عدم تقبّل آراء الآخرين من دون المطالبة بالدليل والبرهان، كما أنّ العقل يقضي بضرورة تحصيل أصول الاعتقاد عن طريق التحقيق وعدم جواز التقبّل لآراء الآخرين إذا لم تكن مدعمة بالأدلّة والبراهين العقلية، لأنّ التقليد لا يكسب الإنسان علماً كما هو واضح، ومن هنا نجد القرآن الكريم يحرّم التقليد في الأصول الاعتقادية، ويندّد به، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ**﴾[١]، وكذلك قوله تعالى ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ**﴾[٢]، وقد ذمّ القرآن الكريم الذين يتبعون السنن التقليدية والعادات والعقائد المأثورة عن آبائهم السابقين، بقوله تعالى: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[٣] وغير ذلك من النصوص القرآنية المتضافرة.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه**»[٤].

= (المتوفّى: ٣٨١ هـ) صحّحه وعلّق عليه المحقّق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم المقدّسة: ص٨٣.

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) المائدة: ١٠٤.

(٣) المائدة: ١٠٤.

(٤) **الغيبة**، للنعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢، مهر، قم: ص٢٩.

وقال أيضاً: «**من أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال**»[(١)].

بناء على ما تقدّم من أهمّية ودور المسائل العقائدية في المنظومة الدينية وأثرها الكبير في مصير الإنسان، أولى سماحة الأستاذ السيّد كمال الحيدري ـ دام توفيقه ـ اهتماماً واسعاً بهذه المسائل، وكان من نتيجة هذه الاهتمامات هذا الكتاب الذي سلّط فيه الضوء على بيان الدين وضرورته في حياة الإنسان وكيفية تكامل الشرائع السماوية، وقد كانت مادّة الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها سماحته على مجموعة من الطلبة، وقد تمّ بعون الله تعالى تدوينها وإخراجها بهذه الصورة الماثلة بين يدي القارئ العزيز.

منهج البحث

يتّضح منهج البحث من خلال النقاط التالية:

١ ـ عرض وعنونة الأبحاث بصورة متلائمة مع مضمونها وفق فهرسة متسلسلة بصورة منطقية.

٢ ـ تدوين الأبحاث وفتحها في ضوء مراجعة عدد من المصادر المعتبرة التي أحال إليها سماحة السيد، وإخراجها عن صورة المحاضرة والدرس.

٣ ـ حرصتُ على الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها.

خطّة البحث

قسمت الكتاب إلى فصلين يتقدّمهما عدّة من البحوث التمهيدية.

تضمّنت البحوث التمهيدية: التعريف بمفهوم الدين ودوره في حياة

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٧.

الإنسان، وبيان مكوّنات الدين، والرؤية الكونية والأيديولوجية، والعلاقة بينهما، وكذلك بيان العلاقة بين الدين والعقل، والعلاقة بين الإيمان والعلم، والعلاقة بين الإيمان والعمل.

أمّا الفصل الأوّل: فقد كُرِّس للبحث في الأدلّة على الحاجة إلى الدين والأنبياء، وقد احتوت هذه الأدلّة على مقدّمات مهمّة؛ من قبيل حقيقة بيان الرابطة بين الجزاء والعمل، واستعراض قوانين الآخرة، والمقارنة بين الاتجاهات المادّية والسماوية في كيفية تحقيق العدالة، وبيان أهداف النبوّة والنظريات المطروحة في تشخيص الهدف الأصلي من بعثة الأنبياء.

أمّا الفصل الثاني: فقد اضطلع بالبحث في بيان أنّ الدين واحد مع تعدّد الشرائع، والبحث في خاتمية الإسلام لجميع الشرائع السماوية وجامعيّته وشموليّته، وكذلك استعراض امتيازات وخصائص الشريعة الخاتمة، مضافاً إلى بيان الفرق بين الشرائع السماوية والنظريات الفلسفية.

وفي الختام أتضرّع إلى الله تعالى أن يتقبّل منّي هذه البضاعة المزجاة وأن يجعلها عملاً صالحاً، وأن يرفع أجر هذا العمل إلى العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام.

ولا يفوتني أن أتقدّم بشكري الخالص للأخ عبد الرضا افتخاري؛ لما بذله من جهد مشكور في تصحيح الكتاب وتقويمه وإخراجه بالشكل المناسب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علي حمود عناد العبادي

بحوث تمهيدية

(١) في بيان مفهوم الدين

الدين لغةً: الطاعة والجزاء، وقد جاء هذان المعنيان في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[١] أي يوم الجزاء.

وكذلك جاءت لفظة الدين متضمّنة لمعنى الطاعة والانقياد، كما في قوله تعالى في حكاية يوسف وأخيه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾[٢] أي في طاعة الملك وشريعته، وقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾[٣] أي الشريعة والطاعة والانقياد.

أمّا الدين اصطلاحاً: فهو عبارة عن الشرائع السماوية التي جاء بها الرسل والأنبياء لإيصال الإنسان إلى سعادته في الدارين.

مكوّنات الدين

يتألّف الدين من قسمين رئيسين:

القسم الأول: العقيدة، ويسمّى بأصول الدين، وهي مجموعة اعتقادات حقّة محلّها القلب، أي يجب الإيمان والاعتقاد بها باطناً، وتسمّى بالأصول الاعتقادية كالتوحيد، والنبوّة، والمعاد.

وهذه الأصول تعدّ قوام الدين وأساسه، والإخلال بأحدها يعدّ إخلالاً بالدين كلّه؛ ولذا تسمّى بأصول الدين، بخلاف الفروع؛ فإنّ الإنسان إذا لم يؤمن بأحدها اجتهاداً، فلا يخرجه عن الدين ما لم يكن من

---

(١) الحمد : ٤.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) البقرة: ١٣٢.

الضروريات، أمّا لو أنكر واحدة من هذه الأصول فقد خرج عن الدين ولو عمل ما عمل. فلو أنكر المعاد مثلاً وقام بكلّ ما أمر به النبي صلّى الله عليه وآله فلا ينفعه ذلك أبداً.

ومن هنا نجد أنّ عناية القرآن الكريم تتركّز أساساً على بيان هذه المحاور والأصول أكثر من غيرها من المسائل الأخرى(١).

القسم الثاني: التعاليم والأحكام العملية، ويسمّى بفروع الدين.

دور الدين في حياة الإنسان

إنّ دور الدين في حياة الإنسان يتلخّص في:

١ ـ توجيه فكر الإنسان إلى النظرة العميقة والهادفة نحو الحياة من خلال اتّباع الشرائع السماوية لأجل إيصال الإنسان إلى الغاية التي خُلق من أجلها وهي سعادته في الدنيا والآخرة، كما سيأتي.

لذا يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٢). وهذا النداء من أروع أساليب الحثّ على النظر وإعمال الفكر. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣).

وهذا ما نلمسه واضحاً أيضاً من خلال إرشاد آل البيت عليهم السلام إلى أهمّية التأمّل والتروّي وأخذ الملاحظة الواعية والنظرة العميقة والاعتبار بأحوال الأمم الماضية وما جرى على الذين تخلّفوا عن الطاعة والانقياد لتعاليم الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) تقدّم البحث مفصّلاً عن أهمّية هذه المحاور في أبحاث التوحيد للسيد كمال الحيدري. **التوحيد.. بحوث في مراتبه ومعطياته**، بقلم جواد علي كسّار، دار فراقد، الطبعة السادسة.

(٢) محمد: ٢٤.

(٣) البقرة: ١١١.

فعن الحسن الصيقل، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة؟ قال عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **فكر ساعة خير من قيام ليلة**»[١].

وكذلك ما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من إعطائه درساً بليغاً لأصحابه من خلال أخذ العبرة من الماضين، وذلك حينما مرّ بخرائب المدائن، فقال عليه السلام: «**إنّ هؤلاء القوم كانوا وارثين فأصبحوا مورثين، وإنّ هؤلاء القوم استحلّوا الحرم فحلّت فيهم النقم، فلا تستحلّوا الحرم فتحلّ بكم النقم**»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً: «**فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته...**»[٣].

٢ ـ توجيه العقل إلى النظر، والتثبّت في الرأي، واستقلالية التفكير والقرار؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لا تكونوا إمّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا**»[٤].

٣ ـ يعدّ الدين من الدعائم الأساسية للأخلاق وتحكيم أصولها في المجتمع، فإنّ الإنسان تدفعه الميول النفسانية والغرائز المتعدّية التي لا

---

(١) **المحاسن**، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدّث)، طبع سنة ١٩٥١ م، دار الكتب الإسلامية، طهران: ص٢٦.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٢٣، ص٤٢٣.

(٣) **نهج البلاغة**، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ دار الذخائر، قم: ج٢، ص١٤٣.

(٤) **سنن الترمذي**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان: ج٣ ص٤٤٦.

تعرف لنفسها حدّاً وهي تريد أن تنال كلّ لذيذ وملائم، سواء وافق القيم أم خالفها، وهذا شيء يلمسه كلّ إنسان بوجدانه. هذا من جانب ومن جانب آخر: فإنّ الفطرة الإنسانية توحي إلى صاحبها بحفظ القيم والعمل. وعند ذلك يجد الإنسان في نفسه صراعاً عنيفاً، فلابدّ لنجاحه في هذا المعترك من عامل يرجّح جانب الاعتدال وعدم التجاوز على حقوق الآخرين.

من هنا يأتي دور الدين لإيجاد التوازن في نفس الإنسان، من خلال الاعتقاد بأنّ كلّ ما يعمله الإنسان من خير وشرّ في هذه الدنيا سيحاسبه الله سبحانه عليه بأشدّ الحساب وأدقّه. وسيأتي مزيد توضيح لهذه الحقيقة في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

(٢) في بيان الرؤية الكونية والأيديولوجية

المراد من الرؤية الكونية ـ أو ما يسمّى بالحكمة النظرية ـ هو: اعتقاد الإنسان ونظرته حول الأشياء التي من شأنها أن تكون كمالاً للنفس؛ من قبيل الاعتقاد بأنّ: «الله موجود»، سواء الموجودات المادّية أو المجرّدة التي لا ترتبط بشكل مباشر بسلوك الإنسان وأفعاله.

المراد من الرؤية الآيديولوجية ـ أو ما يعبَّر عنه بالحكمة العملية ـ مجموعة الأفكار العملية التي يعتقد بها الإنسان والتي يتشكّل بها سلوكه، كقولنا: الظلم قبيح، والعدل حسن، أي يجب القيام بالعدل والاجتناب عن الظلم.

العلاقة بين الرؤية الكونية والآيديولوجية

هنالك علاقة وثيقة بين الرؤية الكونية والآيديولوجية؛ إذ لا يمكن أن تكون هناك آيديولوجية ما لم تسبقها رؤية كونية. فمثلاً لا يمكن أن نقول تجب عبادة الله ما لم يسبقها اعتقاد بوجوده تعالى.

ومن هنا يتّضح عدم وجود عقلين أحدهما يدرك ما من شأنه أن يعلم، والآخر يدرك ما من شأنه أن يعمل، بل هي قوة مدركة واحدة تارة تدرك ما من شأنه العلم، وأخرى ما من شأنه العمل؛ قال الشيخ الرئيس: «فمن قواها [النفس] ما لها بحسب حاجتها إلى تدبير البدن، وهي القوة التي تختصّ باسم العقل العملي، وهي التي تستنبط الواجب فيما يجب أن يفعل من الأمور الإنسانية جزئية ليتوصل به إلى أغراض اختيارية من مقدّمات أوّلية وذائعة وتجريبية، باستعانة بالعقل النظري في الرأي الكلّي إلى أن ينتقل به إلى الجزئي».(١)

إنّ عبارة الشيخ صريحة في أنّ العقل العملي يستعين بالعقل النظري في الرأي الكلّي إلى أن ينتقل إلى الجزئي.

الرؤية الكونية والآيديولوجية في القرآن الكريم

ثمّة آيات متضافرة تكشف بوضوح أنّ الرؤية الكونية والآيديولوجية لهما أهميتهما ودورهما في مصير الإنسان كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٢) أي: أنّ الأشخاص الذين تكون آذانهم صمّاء عن سماع الحقّ وألسنتهم خرساء عن قول الحقّ ولم يستثمروا عقولهم لإدراك الحقائق هم أضلّ من الأنعام، مع أنّهم يتمتّعون بعقول وأعين وآذان؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ

---

(١) **شرح الإشارات**، ابن سينا: ج٢ص٣٥٣، نقلاً عن **رسالة في التحسين والتقبيح** للشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم : ص٣٣.

(٢) الأنفال: ٢٢.

﴿هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ﴾[1].

ومن هنا يتّضح أنّ القرآن الكريم يشير إلى وجود ارتباط وثيق بين آيديولوجية الإنسان ورؤيته الكونية بمعنى أنّ الإنسان الذي يفكّر ويتأمّل ويُعمل قواه المدركة سوف يتوفّر على رؤية كونية وآيديولوجية صحيحتين، بخلاف الإنسان الذي لا تكون له رؤية كونية صحيحة بسبب عدم استثمار عقله وقواه المدركة أو نتيجة الغفلة عن الحقّ، فهو إنسان محروم لا يمكنه أن يصل إلى سعادته وكماله الذي خُلق لأجله.

(٣) العلاقة بين الدين والعقل

من الواضح أنّ الإنسان كما يحتاج إلى العقل في العلوم الحصولية والطبيعية، بل لا يمكن أن يتقدّم خطوة في مجال هذه العلوم ما لم يذهب إلى التعقّل والقواعد المنطقية.

كذلك المعرفة الدينية، فإنّها تحتاج ـ كما هو الحال في بقية المعارف ـ إلى التعقل والاستخدام الدقيق للقواعد المنطقية.

فالعقل هو المفزع في التمييز بين الخير والشرّ وتبيّن الحقّ من الباطل، والعقل هو سرّ التفاضل في درجات الكمال، وهو الملاك في استيجاب المنزلة والكرامة في الدنيا والآخرة.

إلاّ أنّ الشيء المهمّ هو أنّ للعقل حدوداً معيّنة في المعرفة الإلهية، لا يمكن أن يتخطّاها، فالعقل عاجز عن تشخيص المصالح في الدنيا فضلاً عن الآخرة؛ لأنّه محدود ناقص، لا يحيط إحاطة كاملة بجميع نظام الوجود وعالم الغيب وجميع مصالح الإنسان ومفاسده، فضلاً عن خصوصيات

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

عالم الآخرة وقوانينها.

فالعقل لا يتمكّن ـ بما يملكه من معلومات ـ من الوقوف والإحاطة بكلّ الحقائق.

إذاً لابدّ للعقل من ركيزة أخرى وهي وحي الله تعالى إلى أنبيائه المصطفين. وعلى هذا الأساس نفهم طبيعة العلاقة والنسبة بين الدين والعقل، فإنّ الدين يبيّن الطريق والصراط المستقيم للوصول إلى الكمال، أمّا دور العقل فهو الدلالة على ذلك الطريق والصراط المستقيم؛ ومن هنا فقد يملك الإنسان الطريق السليم، لكن لا عقل له، فلا يستطيع السير في ذلك الطريق، وقد يملك الإنسان العقل، لكن إذا لم يأتِ إليه الدين والوحي ويبيّن له الصراط والطريق السليم، فلا يمكن لهذا الإنسان أن يصنع لنفسه صراطاً مستقيماً.

فالعقل كالمصباح الذي من خلاله يمكن الوصول إلى الهدف، أمّا الوحي فهو الطريق المستقيم الموصل إلى الهدف. فلكي تصل إلى الهدف، فلابدّ من وجود شيئين أحدهما وجود الطريق والآخر المصباح الذي يدلّك على الطريق. فدور الوحي هو بيان الطريق، أمّا العقل فدوره دور المصباح في الدلالة على الطريق.

إذاً لا يمكن للوحي أن يستغني عن العقل، ولا يمكن للعقل أن يستغني عن الوحي، فهما كالجناحين الذي يطير بهما الطائر، ولا يمكن للطائر أن يطير بجناح واحد.

وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]، إذ لو كان العقل

(١) النساء: ١٦٥.

الإنساني بما أوتي من العلم كافياً في الاهتداء إلى النظام المعقول المنزَّه عن الجور والفساد لتمَّت حجَّة الله على الناس، ولم يكن لهم على الله حجة، ولما احتيج إلى الرسل المبشّرين والمنذرين.

هكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3] وغير ذلك من النصوص القرآنية الهاتفة بأنّ العقل سراج ومصباح، وفي الرواية: «**أنّ لله حجّتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة**»[4].

إذاً المعارف الدينية من الأحكام والشرائع والعقائد والقوانين التي جاء بها الدين، لا يمكن للإنسان ـ لو خلّي وعقله ـ أن يصل إليها، وسيأتي مزيد توضيح عند البحث في الأدلّة الدالّة على ضرورة النبوّة.

(٤) العلاقة بين الإيمان والعلم

الإيمان هو الإذعان والتصديق بشيء والالتزام بلوازمه. فالإيمان بالله في العرف القرآني هو التصديق بالله تعالى وبوحدانيته ورسله واليوم الآخر وبما جاءت به رسله، مع الاتّباع لا مجرّد التصديق فقط؛ لأنّ الإيمان هو التصديق مع الالتزام بلوازمه، فلا اعتبار بما يجري على اللسان.

وكلّ من كان عارفاً بالله وبنبيّه وبكلّ ما أوجب الله عليه معرفته مقرّاً بذلك مصدّقاً به فهو مؤمن. والكفر نقيض ذلك، وهو الجحود بالقلب

(١) الإسراء: ١٥.

(٢) طه: ١٣٤.

(٣) الرعد: ٧.

(٤) **الكافي**، مصدر سابق: ج١ص١٦.

دون اللسان.

ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم كلّما ذكر المؤمنين بوصف جميل قرن الإيمان بالعمل الصالح كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [(١)]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[(٢)] ونحوها من الآيات المتضافرة.

إذاً: الإيمان هو علم بالشيء مع العمل بلوازمه ولا ينفكّ أحدهما عن الآخر.

أمّا العلم من دون إيمان فقد ينفكّ عن الالتزام بلوازمه، كما أشارت جملة من الآيات القرآنية إلى هذه الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [(٣)]، حيث تشير الآية المباركة إلى أنّهم كانوا عالمين بالحقّ مستيقنين به، ومع ذلك لم يؤمنوا ولم يسلّموا به ظلماً وعلوّاً، وكذا قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[(٤)] حيث دلّت على أنّهم كفروا بالنبيّ صلّى الله عليه وآله على الرغم من توفّرهم على العلم بذلك.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [(٥)]، فبعض الناس يعبدون هواهم ويطيعونه ويتبعونه وهم يعلمون أنّ لهم إلهاً غيره يجب أن يعبدوه ويطيعوه.

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) الرعد: ٢٩.

(٣) النمل: ١٤.

(٤) البقرة: ٨٩.

(٥) الجاثية: ٢٣.

وحاصل ما تقدّم أنّ مجرّد العلم بالشيء والجزم بكونه حقّاً، لا يكفي في تحقّق الإيمان، بل لابدّ من الالتزام بلوازم ما علم، وعقد القلب على مؤدّاه بحيث يترتّب عليه آثاره العملية. فالإنسان الذي يحصل له العلم بأنّ الله تعالى إله لا إله غيره، والتزم بمقتضى ما علم من عبوديته وعبادته، فسوف يكون مؤمناً، أمّا لو علم بوجود الله تعالى ولم يلتزم بمقتضى ما علم ولم يأت بشيء من الأعمال المظهرة للعبودية فهو ليس بمؤمن، بل هو كافر بأحد أنواع الكفر وهو كفر الجحود، وهو أن يجحد الجاحد أمراً وهو يعلم أنّه حقّ قد استقرّ عنده (١)

(١) الكفر على خمسة أقسام، كما في الرواية عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ قال: «**الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه. فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله؛ وكفر البراءة، وكفر النعم. فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهرية، وهم الذين يقولون ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبّت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أنّ ذلك كما يقولون وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر. وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حقّ، قد استقرّ عنده وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فهذا تفسير وجهي الجحود. والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾. والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عزّ وجلّ به وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا**

(٥) العلاقة بين الإيمان والعمل

لكي تتّضح العلاقة بين الإيمان والعمل ينبغي الوقوف على معنى الصعود إلى الله تعالى والقرب منه.

القرب والبعد من الله تعالى

التقرّب إلى الله تعالى، ليس من قبيل القرب المكاني أو القرب الزماني اللذين هما من عوارض الجسمية؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن ذلك، وهو تعالى المحيط بالمكان والزمان ولا يحويه مكان ولا زمان.

إذ إنّ من خصائص القرب المكاني أو الزماني وجود تقارن بين الجسمين المتقاربين، فإذا كان (أ) ـ مثلاً ـ قريباً من (ب) فلابدّ أن يكون (ب) قريباً من (أ)، وهذا المعنى من القرب والبعد مختصّ بعالم المادّة، أمّا في الأمور

مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾ فكفرهم بترك ما أمر الله عزّ وجلّ به، ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾. والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة وذلك قوله عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ يعني تبرّأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ يعني يتبرّأ بعضكم من بعض. (الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٨٩).

المجرّدة عن المادّة إذا قيست إلى المادّة نفسها فيمكن أن يكون أحد الطرفين قريباً والطرف الآخر بعيداً، وهو ما يسمّى بالقرب المعنويّ. ومن هذا القبيل قرب الإنسان وبعده من الله تعالى، فإنّ الله تعالى قريب من عباده، لكنّ العبد قد يكون بعيداً عن الله؛ لذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٤).

إذاً القرب والبعد من الله تعالى مقولة أخرى تختلف عن البعد والقرب في عالم المادّة.

حقيقة القرب الإلهي

إنّ حقيقة القرب من الله تعالى هو حضور العبد بين يدي الله تعالى بمعنى الطاعة والانقياد وعدم الغفلة عنه تعالى، وهذا بخلاف الإنسان الذي يكون غافلاً عن الله، فهو بعيد عنه سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٥) أو كما عبّرت زوجة فرعون حينما دعت الله تعالى ﴿ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٦) حيث كان لها معرفة بمقام القرب وعبّرت عن هذا

---

(١) الحديد: ٤.
(٢) ق: ١٦.
(٣) الأنفال: ٢٤.
(٤) البقرة: ١٨٦.
(٥) القمر: ٥٥.
(٦) التحريم: ١١.

القرب بقولها ﴿عِندَكَ﴾ أي: إني أريد بيتاً مجاوراً لك، ومن الواضح أنّ هذا التعبير كنائيّ، فليس للربّ بيت في الجنّة حتى يجاوره بيت آخر، وليس القرب بينهما جسمانياً حتى يكون مكان أقرب إليه من مكان آخر، والألفاظ قاصرة عن ذلك، فلابدّ من التعبير بمثل هذه العبارات، بمعنى أنّي أريد أن لا يكون بيني وبينك فصل وحجاب.

قال الطباطبائي في ذيل الآية المباركة:

«إنّ الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر والباطن وتوافق القلب واللسان، فلا يقول الإنسان إلاّ ما يفعل ولا يفعل إلاّ ما يقول، فيكون ما يرجوه أو يتمنّاه أو يسأله بلسانه هو الذي يريده كذلك بعمله. وإذ حكى الله فيما يمثّل به حالها ويشير إلى منزلتها الخاصّة في العبودية دعاء دعت به دلّ ذلك على أنّه عنوان جامع لعبوديتها، وعلى ذلك كانت تسير مدى حياتها، والذي تتضمّنه مسألتها أن يبني الله لها عنده بيتاً في الجنة وينجّيها من فرعون وعمله وينجّيها من القوم الظالمين، فقد اختارت جوار ربّه والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وعشيقته»[١].

إذاً منشأ القرب والبعد إلى الله تعالى هو الغفلة، فمن كان غافلاً عن الله تعالى فهو بعيد عنه. وهذه الحقيقة نجدها من خلال مجموعة من الإضاءات التي أكّدها أهل البيت عليهم السلام.

• فعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا إسحاق خف الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك**»[٢]. فالعامل الأساسيّ في القرب الإلهي هو أن تجعل نفسك حاضراً بين يديه تعالى.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، السيد الطباطبائي: ج ١٩، ص ٣٤٤.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٨.

• وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «**هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور**»(١).

فالحجاب الذي يكون بين القلب وبين الله تعالى هو سبب الغفلة والبعد عن الله تعالى، وهذا الحجاب والغفلة نتيجة التعلّق بهذه الأمور الدنيوية الفانية، كالاستكبار، والعجب، والغرور...

ويمكن للإنسان أن يخترق هذه الحجب الظلمانية ليصير عبداً حاضراً بين يدي الله تعالى، ويصل إلى مرتبة ودرجة يكون نظره بعين الله تعالى، وقد وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام روايات وافرة في هذا المعنى، منها:

• ما راوه حماد بن بشير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله قال تعالى في الحديث القدسي: «**ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن موت المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته**»(٢).

• كذلك ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله: «**إنّ الله تعالى يقول: من تقرّب إلى شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هرولة**»(٣) ونحوها.

---

(١) **إقبال الأعمال**، السيد ابن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة: ج٣ ص٢٩٩.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ح٢ ص٣٥٣.

(٣) **عوالي اللآلي العزيزية**، ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم: ج ١ ص ٥٦.

معنى آخر للقرب الإلهي

إلى جوار المعنى السابق للقرب الإلهي، يوجد معنى آخر، وهو أنّه كلّما كان الإنسان أكثر كمالاً وأقلّ نقصاً فهو أقرب إلى الله تعالى، وكلّما كان أكثر نقصاً وأقلّ كمالاً فهو بعيد عن الله تعالى. ووجه ذلك: هو أنّ الله تعالى منشأ لجميع الكمالات، فلا يمكن تصوّر موجود أكمل من الله تعالى، فالكمالات العلمية والعملية اللامتناهية محصورة بالحقّ سبحانه، فهو مركز ومنشأ لكلّ كمال ومعدن الجمال، وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذي يكون متحلّياً بالصفات الجمالية للذّات الإلهية من العلم والحلم والعدل والعفو واللطف والرحمة والحكمة والكرم ونحوها، يكون أقرب إلى الله تعالى، وكلّما ابتعد الإنسان عن هذه الصفات الإلهية فهو بعيد عن الله تعالى.

وهذه الصفات الإلهية وإن كانت غير محدودة وواجبة في الذات الإلهية ولا يمكن للإنسان أن يتّصف بجميع حدودها، إلاّ أنّه يكون قريباً من الله تعالى بمقدار اضطلاعه وتحلّيه بهذه الصفات الإلهية.

ومن هنا يختلف الناس في درجات القرب الإلهي، كلٌّ على قدر تمثّله بالصفات الإلهية؛ ولذا تكون مراتب ودرجات القرب الإلهي لا متناهية؛ لعدم محدودية وتناهي صفاته تعالى.

إذاً القرب والبعد من الله والصعود إليه تعالى هو التحقّق بصفات الله التي يوصف بها، وإن لم يكن وصف الإنسان بالحدّ الذي يوصف به تعالى فكلّما ازداد سعي العبد لتحقّق الصفات الإلهية في نفسه ازداد قربه إلى الله تعالى، وكلّما ابتعد عن هذه الصفات ابتعد عن الله تعالى.

إذاً مسألة القرب والبعد الإلهي ليست مسألة اعتبارية وإنّما هي قائمة على أساس ملاكات واقعية تكوينية، فعندما يقول رسول الله صلّى الله عليه

وآله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ لا يعني أنّ الرسالة أمر اعتباريّ، بل هي أمر تكوينيّ، فلا يمكن أن يصل الإنسان إلى مقام الرسول إلاّ إذا اتّصف بمجموعة من المواصفات؛ لذا يقول تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾ ـ هذا على مستوى العمل ـ ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(١) ـ على مستوى العلم ـ أي: لابدّ أن يكون على مستوى العلم واصلاً إلى مقام اليقين، وعلى مستوى العمل واصلاً إلى مقام الصبر.

الصاعد إلى الله تعالى هو الاعتقاد لا العمل

في ضوء ما تقدّم من معنى القرب الإلهي، ننتقل إلى نقطة أخرى مفادها أنّ الصاعد إلى الله تعالى هو الاعتقاد لا العمل.

هذه الحقيقة يمكن استيحاؤها من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾(٢)، حيث تشير الآية المباركة بوضوح إلى أنّ الصاعد إلى الله تعالى هو الاعتقاد لا العمل؛ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

أمّا دور العمل فيقتصر على رفع ذلك الاعتقاد أو الكلم الطيّب إلى الله تعالى. أمّا ما هو الكلم الطيّب؟ فهذا ما كشفت النقاب عنه آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٣) حيث أشارت هذه الآية إلى أنّ المراد من الكلم

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) فاطر: ١٠.

(٣) إبراهيم: ٢٤.

الطيّب هو التوحيد.

فالكلم الطيّب وهو الاعتقاد المفسَّر بالتوحيد هو الصاعد إلى الله تعالى، أمّا دور العمل فيقتصر على رفع ذلك الاعتقاد أو الكلم الطيّب.

وقبال ما استدلّ به على كون الاعتقاد والكلم الطيّب هو الصاعد دون العمل قد يطرح تساؤل يقول: لعلّ الصاعد إلى الله تعالى هو العمل لا الاعتقاد، ومن ثمّ يكون تفسير الكلم الطيّب بالعمل لا الاعتقاد.

والجواب: إنّنا لو افترضنا أنّ الصاعد إلى الله تعالى هو العمل، لحصل التنافي في نفس مفاد الآية؛ وذلك لأنّ الآية قالت: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فإذا فسّرنا الكلم الطيّب بالعمل الصالح يكون معنى الآية: إليه يصعد العمل الصالح والعمل الصالح يرفعه. وهو واضح الفساد؛ ضرورة بطلان كون المرفوع هو العمل الصالح، والرافع هو العمل الصالح أيضاً لأنّه يلزم أن يكون الرافع والمرفوع شيئاً واحداً.

إذاً بقرينة المقابلة يقتضي أن يكون المرفوع شيئاً والرافع شيئاً آخر.

وعلى هذا لابدّ أن يكون المراد من الكلم الطيّب هو الاعتقاد الصحيح وهو الذي يصعد إلى الله تعالى، أمّا دور العمل الصالح فينحصر في رفع ذلك الاعتقاد الصحيح.

ومما ينبغي الالتفات إليه، أنّ المراد من الاعتقاد هو الإذعان والتصديق، لا الألفاظ المجرّدة. وممّا يشهد على ذلك هو أنّ نفس الآية قالت: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (١) فقد أضاءت الآية معنى الكلم الطيّب وأنّه كلمة التوحيد، ومن الواضح أنّ المراد من التوحيد هو الإذعان القلبي، والنيّة الصادقة التي

(١) إبراهيم: ٢٤.

هي مصدر العمل وشاكلته لا مجرّد التلفّظ بالقول.

على هذا الأساس يكون الاعتقاد الأصل، أمّا العمل فهو متفرّع عليه.

من هنا نجد أنّ الرؤية الإسلامية ترى أنّ حسن الفعل لا يكفي في القيمة الواقعية لذلك الفعل، وإنّما يلزم أن يكون مشفوعاً بالحسن الفاعلي، وكون الدافع إلى الفعل هو القرب الإلهي.

وفي هذا الضوء دلّت جملة وافرة من الآيات القرآنية وبعبارات مختلفة، على أنّ العقيدة السيّئة أو النيّة السيّئة والدوافع المنقطعة عن الله تعالى تجرّ الإنسان إلى الحضيض، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٢). وبالرغم من نزول الآية الكريمة في مورد خاصّ، إلاّ أنّ مقطعها الأخير يدلّ على أنّ الله تعالى يؤاخذ الإنسان على النيّة السيّئة بشكل مطلق.

وثمّة موارد خاصّة ركّز فيها القرآن الكريم على موضوع النيّة، لأنّ عوامل الانحراف والمزالق تحيط بالإنسان لدى قيامه بتلك الموارد، كمسألة الإنفاق الذي جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣) فالآية تعطي درساً مهمّاً

---

(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) البقرة: ٢٢٥.

(٣) البقرة: ٢٦٤.

ترفض من خلاله اقتران الصدقة بالمنّ والأذى؛ لأنّ ذلك يسلب أثرها المعنوي ويسبّب الابتعاد عن الله، وفي قبال هذا النموذج يضرب الله مثلاً آخر للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(١)].

إذاً فالنيّة والاعتقاد لهما أثر تكوينيّ في الفعل الصادر عنهما، فالنيّة الصادقة والاعتقاد السليم يكونان سبباً في سعادة الإنسان وكماله والقرب من الله تعالى، أمّا الفعل الفاقد للنيّة الصادقة فلا يوصل صاحبه إلى القرب الإلهي؛ لذا ورد في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل على نيّته**»[(٢)] لأنّها تعيّن مضمون ومحتوى العمل.

أثر العمل في الاعتقاد

تقدّم أنّ دور العمل هو رفع الاعتقاد إلى الله تعالى، إلاّ أنّه لأجل إدراك مغزى هذه المسألة نقول: إنّ اعتقاد الإنسان في مراحله الأولى أن يكون بنحو المستودع لا المستقرّ الثابت كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[(٣)].

ومن خصائص الاعتقاد المستودع غير المستقرّ، أنّه يزول في دار الدنيا بمجرّد تعرّض الإنسان لأدنى اختبار أو امتحان، فضلاً عن زواله عند

(١) البقرة: ٢٦٥.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٨٤.

(٣) الأنعام: ٩٨.

ضغطة القبر، فإذا أراد الإنسان أن يجعل من اعتقاده بنحو المستقرّ الثابت، فلا طريق له إلاّ العمل الصالح الذي يكون بمثابة القاعدة التي ينهض عليها البناء العقائدي للإنسان.

وفي ضوء هذه النقطة المنهجية في أهمّية وضرورة تجذير وترسيخ العقيدة بالعمل الصالح نجد القرآن الكريم يقول: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ**﴾ [1] فالتعبير بـ(من جاء بالحسنة) بدلاً (بمن عمل الحسنة) له مغزى كبير في الدلالة على ضرورة وأهمّية جعل العقيدة بنحو المستقرّ الثابت. فالعامل للحسنة وإن كان عن اعتقاد سليم، إلاّ أنّ هذا الاعتقاد إذا لم يكن ثابتاً فسرعان ما يزول ومن ثم تزول معه قيمة العمل. فكثير من الناس يعملون الحسنات، إلاّ أنّ القليل منهم من يحفظ هذه الحسنة إلى يوم القيامة؛ لأنّها تحترق بنيران الذنوب في دار الدنيا.

إذاً من أهمّ معطيات وثمار العمل هو استقرار الاعتقاد وثباته، ومن أروع ما يرشدنا إلى هذه الحقيقة النصّ العلويّ القائل: «**العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل**»[2]، ومن هنا تغدو فلسفة تكرار العبادات في كلّ يوم وليلة واضحة، وهي لأجل حصول ثبات الاعتقاد وترسيخه وعدم تعرّضه للاهتزاز.

وقد أضاء القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[3].

فهذه الشجرة إنّما تكون طيّبة إذا كانت ثابتة، أمّا إذا لم تكن ثابتة فلا

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج١ص٤٤.

(٣) إبراهيم: ٢٤.

تكون طيّبة.

ومن هنا إذا أراد الإنسان أن يقف على حقيقة عقيدته وأنّها بنحو المستقرّ أم بنحو المستودع؟ فعليه أن ينظر إلى عمله الخارجي، فإن كان عمله مطابقاً وموافقاً لاعتقاده، فهذا يكشف عن استقرار عقيدته وثباتها، وأنّ عقيدته أعطت أكلها، أمّا إذا لم يكن عمله الخارجي مطابقاً لاعتقاده، فهذا يعني أنّ اعتقاده كان بنحو المستودع الذي يزول وتقتلع شجرته عند أوّل عاصفة أو شبهة يتعرّض لها.

وهذه المفردة مما صرّحت بها روايات أهل البيت عليهم السلام، حين إجابتهم لتلك الأسئلة المتعلّقة بكيفية معرفة قبول الأعمال أو قبول الصلاة وعدم قبولها، حيث كانت إجاباتهم تستبطن هذه الحقيقة المهمّة، وفق معادلة تؤطّر تلك الحقيقة المهمّة، فهم عليهم السلام يجيبون السائل بضرورة النظر إلى العمل الخارجي، وهل الصلاة أو العبادة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ فإن كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهو دليل قبولها عند الله تعالى، وإن لم تنهَ عن الفحشاء والمنكر فهو دلالة على أن ليس لها أصل ثابت ومستقرّ.

وهنالك جملة من النصوص الروائية التي فيها تأكيد واضح لهذا الأمر:

• فعن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال في كلام له: «**العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وإنّ أشدّ أهل النار ندامةً وحسرةً رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة، وأُدخل الداعي النار بتركه علمه واتّباعه الهوى وطول الأمل، أمّا اتباع الهوى فيصدّ**

عن الحقّ وطول الأمل ينسي الآخرة»[١].

• وعن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه»**[٢].

• وعن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا»**[٣].

• وعن عليّ بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: «جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام: **مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولّما تعملوا بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يُعمل به لم يزدد صاحبه إلاّ كفراً، ولم يزدد من الله إلاّ بعداً»**[٤].

• وعن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: بم يًعرف الناجي؟ قال: **من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع»**[٥].

وقال المجلسي معلّقاً على الحديث بقوله: «أي إيمانه غير مستقرّ وغير ثابت في قلبه بل يزول بأدنى شبهة، فهو كالوديعة»[٦].

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج١٤ص ٣٢٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) **بحار الأنوار**: ج٦٦، ص٢٢٧.

ونتهي من هذه النقطة إلى حصيلة مهمّة يتّضح من خلالها أنّ العمل يقوم بدورين رئيسيين:

الدور الأول تثبيت الاعتقاد.

الدور الثاني رفع الاعتقاد من درجة وجودية إلى درجة وجودية أخرى، وسوف نمكث قليلاً لمعرفة كيفية رفع العمل للاعتقاد.

كيفية رفع العمل للاعتقاد

لأجل معرفة الكيفية التي يقوم بها العمل لرفع العقيدة، ينبغي أن نعلم أنّ الاعتقاد أو الإيمان على درجات؛ ففي الحديث عن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**يا عبد العزيز إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يُصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست على شيء، حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقط من هو دونك فيُسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره**»(١).

وعن يحيى بن أبان، عن شهاب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً.** فقلت: أصلحك الله فكيف ذاك؟ فقال: **إنّ الله تبارك وتعالى خلق أجزاء بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً. ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار، ثم قسّمه بين الخلق فجعل في رجل عُشر جزء وفي آخر عُشرَي جزء حتى بلغ به جزءاً تامّاً، وفي آخر جزءاً وعُشر جزء وآخر جزءاً وعُشري**

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٤ - ٤٥.

جزء وآخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامّين، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعةً وأربعين جزءاً، فمن لم يجعل فيه إلاّ عُشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرين وكذلك صاحب العُشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار، وكذلك من تمّ له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين. ولو علم الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحد أحداً»(1).

وكلّ درجة من درجات الاعتقاد تستوجب عملاً معيّناً، فإذا آمن الإنسان بالمعاد فلابدّ أن يعمل على أساس هذا المعتقد، فينفق في سبيل الله تعالى ـ مثلاً ـ رجاء الثواب الأخروي، أمّا إذا كان الإنسان منكراً للمعاد فلا ينفق برجاء ذلك الثواب كما هو واضح، وفي هذا الضوء فإنّ كلّ درجة من الاعتقاد تستلزم وتستوجب درجة من العمل والسلوك الخارجي، فإذا عمل الإنسان بمقتضى تلك الدرجة الاعتقادية، فإنّ الله تعالى يولي لهذا الإنسان عناية خاصّة، فيأخذ بيده ويرفعه إلى درجة إيمانية أعلى، أمّا لو لم يعمل الإنسان على وفق ما أعطاه الله تعالى من ذلك الإيمان والاعتقاد فإنّ الله تعالى لا يعينه على الصعود والارتقاء إلى درجة إيمانية أعلى. وهذه حقيقة مهمّة في المعارف الإسلامية وسنّة إلهية ثابتة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(2).

فإذا وصل الإنسان إلى الدرجة الثانية من الإيمان والاعتقاد، يلزمه درجة من العمل يتلاءم ويتناسب مع هذه الدرجة الإيمانية، فإذا عمل

---

(1) المصدر السابق.

(2) الرعد: ١١.

الإنسان بمقتضى هذه الدرجة الإيمانية الجديدة للاعتقاد، فإنّ الله تعالى سوف يعينه للصعود إلى درجة إيمانية واعتقادية أعلى وهكذا، إلى أن يصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، وهذا ما نلمسه واضحاً في جواب الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله لمن سأله عن كثرة عبادته على الرغم من وصوله صلّى الله عليه وآله إلى المقام المحمود حيث أجاب صلّى الله عليه وآله «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[1] بمعنى أنّ هذا المقام هو مقام يستلزم ويستوجب هذه الدرجة من العبادة.

وعلى هذا الأساس يتّضح السبب في أنّ بعض الأشياء قد تكون مباحة لعامّة الناس، أمّا بالنسبة إلى مستوى الدرجة الإيمانية والمعرفية للنبي صلّى الله عليه وآله قد تكون محرّمة. وما ذلك إلاّ لأنّ درجته الإيمانية والاعتقادية تستلزم أن يكون هذا العمل المباح لعامّة الناس محرّماً عليه صلّى الله عليه وآله، وقد يكون العمل مستحبّاً لعامّة الناس، أمّا لمقام الرسالة وأهل البيت عليهم السلام يكون واجباً كما هو الحال في صلاة الليل فإنّ الدرجة الوجودية والإيمانية للنبيّ صلى الله عليه وآله تملي عليه أن تكون صلاة الليل واجبة عليه؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[2].

إذاً كلّما ازداد الإنسان معرفة واعتقاداً، ازداد مسؤولية. وفي هذا الضوء نفهم السرّ في تمايز الناس يوم القيامة في درجاتهم في الجنّة، مع أنّ عملهم في دار الدنيا واحد بحسب الظاهر. فصلاة الليل التي يصلّيها الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله توصله إلى المقام المحمود أمّا غيره من عامّة الناس فهو وإن

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٥.
(٢) الإسراء: ٧٩.

كان يصلّي صلاة الليل، إلاّ أنّها لا توصله إلى ما وصل إليه الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله؛ وما ذلك إلاّ لأجل التفاوت في الدرجات الإيمانية الاعتقادية، فالعمل وإن كان بحسب الظاهر واحداً، إلاّ أنّ التمايز على أساس الإيمان والاعتقاد.

والشاهد الآخر على هذه الحقيقة والسنّة الإلهية هو اختلاف العطاء الإلهي على أساس الدرجات الإيمانية الاعتقادية، وإن كان العمل بحسب الظاهر واحداً، ففي الروايات الواردة في باب الصلاة أو باب الصوم أو الحجّ أو في باب زيارة الإمام الحسين عليه السلام[١] نجد أنّ الأجر الذي يذكر لهذه الأعمال متعدّد، فبعض من يزور الإمام الحسين له ثواب يختلف عن الآخر[٢]، وبعض يصوم وليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش، كما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في قوله: «**كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والعطش**»[٣]، وبعض يصوم وأجره لا يعرفه إلاّ الله تعالى وإن كان الصوم بحسب الظاهر واحداً.

كذلك في قراءة القرآن مثلاً فالقراءة بحسب الظاهر واحدة، إلاّ أنّ البعض يقرأ القرآن فتكون بيوتهم كمصابيح زاهرة لأهل السماء، وبعض آخر يقرأ القرآن والقرآن يلعنه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كم من قارئ للقرآن، والقرآن يلعنه**»[٤].

---

(١) انظر **المزار** للشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ: ص٣٨

(٢) انظر **الكافي**، مصدر سابق: ج٤ص٥٨٠، باب زيارة أبي عبد الله الحسين.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٦٧ص٢٨٣.

(٤) **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، خاتمة المحدّثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٧ هـ: ج ٤ ص ٢٥٠.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يمايز في العطاء والثواب، فتارة يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(١) وتارة يقول: من جاء بالحسنة فله سبعمئة حسنة، كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾(٢).

ثمّ قالت الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يضاعف السبعمئة، ثمّ قالت: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، والوسعة الإلهية لا حدّ لها ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(٣). كلّ ذلك إنّما قائم على أساس الاستحقاق. فبعض يستحقّ عشرة وبعض يستحقّ سبعمئة ومنهم من يستحقّ أكثر، على أساس الاعتقاد والمعرفة.

والحاصل: أنّ العمل ـ أيّ نوع كان ـ هو من رشحات العلم يترشّح من اعتقاد قلبيّ يناسبه.

وهذه حقيقة يؤكّدها الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤)وهي واضحة الدلالة على أنّ التقوى على مراتب ودرجات متعدّدة، وإلاّ لو كانت للتقوى درجة واحدة فلا معنى لأن تقول الآية: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾. وهذه مفردة مهمّة سجّلها القرآن حيث بيّن أنّ للتقوى ـ وهي الانتهاء عما نهى الله عنه والإيتمار بما أمر الله به ـ مرتبة هي حقّ التقوى، ويُعلم بذلك أنّ هناك من التقوى ما هو دون

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) إبراهيم: ٣٤.

(٤) آل عمران: ١٠٢.

هذه المرتبة الحقّة، فللتقوى الذي هو بوجه العمل الصالح مراتب ودرجات بعضها فوق بعض. وقال أيضاً: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(١) فبيّن أنّ العمل مطلقاً سواء كان صالحاً أو طالحاً درجات ومراتب. والدليل على أنّ المراد بها درجات العمل قوله ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢) وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(٣) والآيات في هذا المعنى كثيرة وفيها ما يدلّ على أنّ درجات الجنّة ودركات النار بحسب مراتب الأعمال ودرجاتها.

وعلى هذا الأساس يأتي هذا السؤال وهو: إذا كان الاعتقاد يصعد فهل الإنسان يصعد معه؟

الجواب: إنّ النظرية العقلية تقول إذا اعتقد الإنسان اعتقاداً وعمل بذلك الاعتقاد وترسّخ، فإنّ الاعتقاد والمعتقِد (الإنسان) يكونان شيئاً واحداً، ويكون العمل والعامل شيئاً واحداً، فإذا صعد أحدهما وهو الاعتقاد، صعد المعتقد معه، حسب نظرية اتحاد العاقل والمعقول(٤).

وتقريب ذلك بمثال ماديّ، قطعة الفحم عندما تجعلها قريبة من النار

---

(١) آل عمران: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) الأحقاف: ١٩.

(٣) الأنعام: ١٣٢.

(٤) ليس معنى اتحاد العاقل والمعقول: اتحاد وجود الإنسان مع المعلوم (المعتقد)، بل إن النفس حيث تعلم بذلك المعتقد (المعلوم) تتحوّل إلى وجود علميّ وهو وجود ذلك الشيء الذي علمته، فليس المعلوم شيئاً والعالم شيئاً آخر، وإنّما يصيران شيئاً واحداً، انظر: **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة** للملا صدرا الشيرازي: ج٣ ص٣٢٧.

فهي سوداء ولكن بعد مدّة تتحوّل إلى قطعة حمراء نتيجة تأثير النار فيها، حيث فقدت صفاتها السابقة، ففي السابق كانت مظلمة والآن منيرة وتصدر منها حرارة، فحقيقة هذه الفحمة تحوَّلت إلى حقيقة أخرى، وهذا ما يعبَّر عنه في الفلسفة بالحركة الجوهرية؛ يعني أنّ الجوهر تحرَّك من حقيقة إلى حقيقة أخرى. فالإنسان حينما يعتقد بشيء ويعمل على أساس ذلك المعتقد، فإنّه يتحرَّك ويتقرَّب إلى الله تعالى تبعاً لصعود اعتقاده إلى الله تعالى، لصيرورة الاعتقاد والمعتقد شيئاً واحداً.

أثر العمل الطالح على عقيدة الإنسان

بعدما اتّضح أنّ العمل الصالح يقوم بدورين، أحدهما تثبيت العقيدة الصحيحة والآخر رفع العقيدة الصحيحة من درجة وجوديه إلى درجة وجودية أعلى، يكون من المنطقي أن نتمهّل قليلاً للوقوف على أثر العمل الطالح على عقيدة الإنسان.

فنقول: إنّ ما نستوحيه من الآيات القرآنية، هو أنّ العمل الطالح يقوم بدورين أيضاً.

الدور الأول: تثبيت الاعتقاد الباطل.

الدور الثاني: تكامل الاعتقاد الباطل في دركات الجحيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1].

فكما أنّ للجنة درجات ومراتب بحسب الاصطلاح القرآني، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2]

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) الأحقاف: ١٩.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[(١)]، كذلك الاعتقاد الباطل له دركات مترامية في نار جهنّم.

ومما يستدلّ به على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[(٢)] فالآية في صدد أمر في غاية الأهمّية والخطورة، وهو أنّ هؤلاء الذين عملوا السوء لم يكونوا كفاراً أو مشركين إلاّ أنّ عاقبة أعمالهم السيّئة ساهمت في وقوعهم في الضلال وتكذيبهم لآيات الله تعالى والسقوط في قاع الرذيلة والاعتقاد الباطل، والتكذيب بآيات الله تعالى.

وبنفس المضمون جاء التعبير القراني في آية أخرى بالقول: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[(٣)] حيث تصرّح الآية المباركة بأنّ هؤلاء لم يكونوا في البدء منافقين، إلاّ أنّ قيامهم بالأعمال السيّئة وإصرارهم على ذلك أوصلهم إلى هذه الدرجة من النفاق؛ لذا قال تعالى: ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾. فالسبب الذي كان وراء صيرورتهم منافقين هو كذبهم على الله تعالى؛ إذ إنّ العمل الصالح يقوم بتثبيت العقيدة الصحيحة والارتقاء بالإيمان في سلّم الدرجات الصاعدة، وكذلك العمل الطالح يقوم بتثبيت العقيدة الباطلة، وتنزّلها في دركات الجحيم.

---

(١) الأنعام: ١٣٢.

(٢) الروم: ١٠.

(٣) التوبة:٧٧.

الفصل الأوّل

في الحاجة إلى الدين والنبوّة

تساق في المقام أدلّة متعدّدة لإثبات حاجة الإنسان إلى الدين والارتباط بالله تعالى، من خلال الأنبياء والمرسلين، وسوف نكتفي بذكر دليلين فقط.

الدليل الأول على الحاجة إلى الدين

وهذا الدليل يبتني على بيان عدّة مقدّمات:

المقدّمة الأولى: أنّ لهذا العالم خالقاً وربّاً

وهذه المقدّمة تقدّم إثباتها في أبحاث التوحيد، حيث سيقت عدّة من الأدلّة تفيد أنّ لهذا العالم خالقاً وربّاً، وحاصل ما تقدّم:

إنّ الإيمان بوجود خالق للكون ضرورة وبديهية وجدانية تعلو على البرهنة والاستدلال، وغير قابلة للبحث والمناقشة حالها حال البديهيات الوجدانية الأخرى، وقد أشار إلى ذلك الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال عليه السلام: **فطرهم على التوحيد**[1].

من هنا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2]، والفقير هو الذي انكسر عموده الفقري، فلا يستطيع أن يستقيم، فلولا الغنيّ على الإطلاق تعالى، فلا يمكن أن يوجد أو يتقوّم فقير، فجميع المخلوقات فقيرة غير قائمة بنفسها ومحتاجة لمن يقوّمها، وهو الغنيّ الذي لا فقر فيه.

(١) **أصول الكافي**، مصدر سابق: ج٢ ص١٣.
(٢) فاطر: ١٥.

ومع ذلك نجد أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام استدلّوا لإثبات واجب الوجود، ففي كلام للإمام الرضا عليه السلام حينما دخل عليه رجل فقال له: يا بن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ قال عليه السلام: «**أنت لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنّك لم تُكوِّن نفسك، ولا كوَّنك من هو مثلك**»[1].

وفي حديث آخر عن إمامنا الرضا عليه السلام قال: «**إني لما نظرت إلى جسدي، ولم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره فيه، وجرّ المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررتُ به، مع ما درى من دور أنّ الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المبيّنات، علمت أنّ لهذا مقدِّراً ومنشأ**»[2].

ومعنى ذلك أنّ الموجود الذي لا يكون وجوده عين ذاته، يكون آية بيّنة وخير دليل على وجود موجود أزليّ يكون الوجود عين ذاته.

أمّا الشقّ الثاني من هذه المقدّمة وهي أنّ لهذا الكون ربّاً فقد تقدّمت أيضاً في أبحاث التوحيد[3] وحاصلها: أنّ كلمة الربّ في لغة العرب تدلّ على مزيج من معاني العظمة والرفعة، وفيها معنى السيادة والمالكية والرعاية والتربية الحكيمة.

والمراد من التربية تنشئة الكائن وتغذية جسمه وروحه وتنمية مداركه ومواهبه، وتعهّده بالتهذيب والتقويم حتى ينمو ويستكمل، لكي ينال غايته المرجوّة من النموّ والاستكمال، إذاً كلمة الربّ تدلّ على التدبير

(١) **التوحيد**، للصدوق: مصدر سابق: ص٢٩٣.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) انظر **التوحيد**: للسيد كمال الحيدري، مصدر سابق.

الحكيم للمربوب؛ قال الراغب في مفرداته: «الربّ مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الربّ مطلقاً إلاّ لله تعالى المتكفّل بمصلحة المجودات، نحو قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (١). وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٢) أي آلهة، وتزعمون أنّهم الباري مسبّب الأسباب، والمتولّي لمصالح عباده، أجل يجوز استعمال الربّ لغير الله سبحانه بالإضافة له ولغيره، من أمثلة الإضافة له سبحانه قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) و ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤) وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾(٥)» (٦).

فالمعنى اللغوي للربّ لا ينفكّ عن الخلق.

وفي المصطلح القرآني لا يختلف معنى الربّ عن المدلول اللغوي كما هو واضح مما تقدّم من الآيات المذكورة آنفاً.

وعلى هذا فالخالق لهذا الكون وهو الله تعالى هو الربّ والمدبّر له.

فالله تعالى خلق الأشياء لغاية، ولم يتركها عبثاً وسدى، وإنّما قدر هدايتها الخاصّة والمسار الذي يخرجها من النقص إلى الكمال لأجل تحقّق غايتها؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(٧).

---

(١) سبأ: ١٥.

(٢) آل عمران: ٨٠.

(٣) الفاتحة: ٢.

(٤) الشعراء: ٢٦.

(٥) يوسف: ٤٢.

(٦) **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني: ص١٨٤.

(٧) طه: ٥٠.

وهذه الحقيقة تذعن لها العقول ويشهد لها نظام الكون بكلّ مكوّناته وما فيه من التناسق المدهش بين أجزائه الذي يكشف عن قانون واحد عامّ في الإيجاد والتدبير، وقد بسط القول فيها الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(١) حيث قال: «التدبير هو الإتيان بالشيء عقيب الشيء ويراد به ترتيب الأشياء المتعدّدة المختلفة ونظمها بوضع كلّ شيء في موضعه الخاصّ به بحيث يلحق بكلّ منها ما يقصد به من الغرض والفائدة ولا يختلّ الحال بتلاشي الأصل وتفاسد الأجزاء وتزاحمها؛ يقال: دبّر أمر البيت أي نظّم أموره والتصرّفات العائدة إليه بحيث أدّى إلى صلاح شأنه وتمتّع أهله بالمطلوب من فوائده. فتدبير أمر العالم نظم أجزائه نظماً جيّداً متقناً بحيث يتوجّه به كلّ شيء إلى غايته المقصودة منه، وهي آخر ما يمكنه من الكمال الخاصّ به، ومنتهى ما ينساق إليه من الأجل المسمّى وتدبير الكلّ أجراء النظام العام العالمي بحيث يتوجّه إلى غايته الكلّية وهى الرجوع إلى الله وظهور الآخرة بعد الدنيا»(٢).

المقدّمة الثانية: أنّ الخالق عادل حكيم وله غاية في فعله

وهذه المقدّمة تقدّمت أيضاً في أبحاث العدل الإلهي، والمراد من عدله سبحانه أنّه لا يهمل فعلاً تحتمه المصلحة، ولا يصدر قبيحاً تمنعه الحكمة؛ لأنّ ذلك لا يكون إلاّ لحاجة تضطرّ الفاعل إلى المخالفة، وقد تنزَّه الباري عن الحاجة؛ لغناه، لأنّ الفعل الخالي من المصلحة يكون منشأ صدوره إمّا

(١) يونس: ٣.
(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج١١، ص٢٨٩ - ٢٩٠.

لجهل الفاعل بصلاح الشيء وفساده، وقد ثبت أنّ الله تعالى عالم بكلّ شيء، وإمّا لعبث يريده بذلك الفعل، وهو تعالى منزَّه عن العبث؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾(١).

المقدّمة الثالثة: الغاية من خلق الإنسان تحقيق سعادته في الدارين

لاشكّ أنّ الهدف الأسمى لخلق الإنسان هو إيصاله إلى الطهارة الباطنية والقرب الإلهي، بحيث ينعكس التوحيد في ذاته وصفاته وأفعاله وهذا هو الكمال النهائي لخلق الإنسان.

ولهذا نجد أنّ جميع المعارف والتعاليم الأخلاقية الإسلامية منتظمة بشكل يصبّ في هذا الهدف وهو الوصول إلى الله تعالى والقرب منه.

إلاّ أنّ هذا لا يعني عدم وجود أهداف أخرى لخلق الإنسان، ولعلنّا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا بوجود أهداف أخرى لخلق الإنسان تمثّل أهدافاً متوسِّطة ومقدِّمة للهدف الأساسي وهو القرب الإلهي، ومن جملة أهداف خلق الإنسان سعادته في الدار الآخرة.

وهذا الهدف والغاية من فعل الإنسان مما تقتضيه حكمة الله تعالى وعدله، فلو قدّرنا أنّ الموت هو النهاية التي ليس وراءها منقلب، وليس بعدها مصير، لكان مخالفاً لحكمة الله تعالى في الجزاء، إذاً فلا مناص أن ننتظر وراء الموت منقلباً آخر يوفّى فيه المطيع ثوابَ إطاعته ويتلقّى العاصي جزاء عصيانه، فليس من الحكمة أن يوجد موجود لا لغاية، وليس من

(١) الأنبياء: ١٦ - ١٨.

العدل أن يجعل المؤمنين العاملين للطاعات والكافرين المفسدين في الأرض سواء في الثواب والعقاب.

وعلى هذا الأساس تضافرت النصوص القرآنية والروائية في التأكيد على أنّ غاية خلق الإنسان هو البقاء خالداً في الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(١) وهذا استفهام في معنى الإنكار على أولئك الذين ينكرون النشور، أي حسبتم أن لا غاية حكيمة لخلقكم، فيأتي عطف البيان ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ وهذا يعني إذا لم يكن هناك رجوع إلى الله فالخلقة عبث والله تعالى منزَّه عن العبث.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾(٣). وهذه مقارنة قرآنية مكررة مراراً بين مسألة العبث واللهو واللعب من جهة وبين مسألة كون الخلق بالحقّ وعدم كونه عبثاً ولهواً ولعباً من جهة أخرى.

وهذا هو أحد أنماط الاستدلال القرآني على الآخرة وهو ما يسمّى بالاستدلال اللمّي ـ حسب المصطلح المنطقي ـ بمعنى أنّه بعد الإيمان بوجود إله لهذا العالم، وأنّه لا يفعل عبثاً، وأنّ عمله هو الحقّ ولا مجال للباطل واللعب فيه، وبعد الإيمان بأنّ الخليقة لها خالق حكيم، يأتي الإيمان بالرجوع إلى الخالق يوم القيامة. إذاً لمّا كان الله حكيماً فلا يصدر منه فعل إلاّ

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) الدخان: ٣٨ ـ ٤٠.

(٣) ص: ٢٧.

طبق المصلحة، فما هو حسن يفعله بمقتضى حكمته وإلاّ لكان مخالفاً لحكمته وهو مستحيل؛ لأنّه قبيح وهو تعالى منزَّه عن كلّ قبيح.

إذاً لم يُخلق الإنسان عبثاً وسدى، وإنّما خلق لهدف وغاية وهي البقاء أبداً في النشأة الآخرة، ففي الرواية عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: «سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: لم خلق الله الخلق؟ فقال: **إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد**»[1].

وفي رواية للإمام الرضا عليه السلام في إثبات الخلود والأبدية في الآخرة قال عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2] **ويقول عزّ وجلّ:** ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[3] **ويقول عزّ وجلّ:** ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[4] **ويقول عزّ وجلّ:** ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[5] **ويقول عزّ وجلّ:** ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[6]»[7].

وقال الشيخ الطوسي في «التبيان» في قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾:

---

(١) **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ: ج ١ ـ ص ٩.

(٢) ق: ٣٥.

(٣) هود: ١٠٨.

(٤) الحجر: ٤٨.

(٥) النساء: ٥٧.

(٦) الواقعة: ٣٢ ـ ٣٣.

(٧) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ١٠ ص ٣٣٣. والآية ٣٣ من سورة الواقعة.

«يعني غير مقطوع»[١].

وقال الطباطبائي في الميزان: «الجذّ: هو القطع، وعطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع...» ثم قال: «إنّ من الجائز أن يخرج من نار الآخرة بعض من دخل لكن لا يخرج من جنّة الآخرة وهي جنّة الخلد أحد ممن دخلها أبداً، وهو كالضروريّ من الكتاب والسنّة، وقد تكاثرت الآيات والروايات في ذلك بحيث لا يرتاب في دلالتها على ذلك ذو ريب»[٢].

وهذه حقيقة لا خلاف فيها بين جميع الشرائع الهادية وإن وجد اختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين من جهة أنّ العالم هل له ابتداء، إلاّ أنّه من ناحية النشأة الأخرى لا خلاف في دوامها[٣].

خصوصيات الإنسان

بعد أن انتهى البحث إلى هذه النتيجة وهي أنّ الإنسان خُلق لأجل البقاء في الدار الآخرة، يكون من المنطقي أن نعطي لمحة مختصرة عن بعض خصوصيات الإنسان. فقد امتاز الإنسان بجملة من الخصوصيات التي انفرد بها عن سائر المخلوقات، ومن هذه الخصوصيات والامتيازات:

---

(١) **التبيان في تفسير القرآن** للطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٢٠٩ هـ: ج٦ ص٧٥.

(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج١١ ص٣٤ - ٣٥.

(٣) إن قيل إنّ الله تعالى قيّد الخلود والبقاء بدوام السماوات الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٧) مع وجود آيات أخرى تفيد أنّ السماوات والأرض لا تدوم، كما في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الروم: ٨) وقوله ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٤) ونحوها.

فالجواب: إنّ الله تعالى يذكر في آيات أخرى أن في الآخرة أرضاً وسماوات وإن كانت غير ما في الدنيا بوجه ما؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ انظر **الميزان**، مصدر سابق: ج١١ ص٢٤.

الخصوصية الأولى: اختيارية الفعل الإنساني

هذه الخصوصية تقدّم الكلام عنها في بحث الجبر والاختيار[١] والتي انتهينا فيها إلى أنّ الإنسان كائن مختار قبال الأشاعرة القائلين بالجبر.

فعند إلقاء نظرة سريعة على القرآن الكريم نجد آياته طافحة في إثبات أنّ الإنسان موجود مختار، ومن جملة هذه الآيات:

• قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

• وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

• وقوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤].

• وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٥].

• وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

---

(١) انظر **التوحيد** للسيد كمال الحيدري، مصدر سابق: ج٢ ص٨٧.

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) آل عمران: ٢٠.

(٥) الكهف: ٢٩.

﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾[١].

• وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[٢].

• وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾[٣] وغيرها من الآيات التي تشاركها في المضمون الذي يثبت وبصراحة أنّ للإنسان الحرية والاختيار في اعتقاده وسائر أعماله.

مضافاً إلى أنّ نفس بعث الأنبياء وإنزال الكتب السماوية يصبح لغواً لو كان الإنسان غير مختار، وهذا يدلّ بوضوح على كون الإنسان حرّاً مختاراً في أفعاله واعتقاداته.

ويستعرض القرآن الكريم تاريخ البشرية، ويفصّل الحديث عما لقي الأنبياء من تكذيب واضطهاد في سبيل دعوة الناس إلى الحقّ.

وقد أجمعت الشرائع على أنّ الله تعالى لو شاء أن يهدي الناس جميعاً لتمّت مشيئته، لكنه تعالى ترك الإنسان يتحمّل مسؤولية هذا الاختيار وتبعاته، بعدما تهيّأت له وسائل التمييز والهدى من مادّية ومعنوية؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٤] وقال: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[٥] وقال: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾[٦]

فالأنبياء ليس لهم إكراه الناس على الهداية، كما أنّ الشيطان ليس له

(١) الشورى: ٤٨.
(٢) الغاشية: ٢١ - ٢٢.
(٣) الزمر: ٤١.
(٤) الإنسان: ٣.
(٥) البلد: ١٠.
(٦) الشمس: ٧ - ٨.

إكراههم على الضلال والغواية، وهذه الحقيقة يقرّرها القران الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(١) وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

إذاً حرية الإرادة عنصر أساسيّ في خلقة الإنسان، قد أكّده القرآن الكريم بأساليب متعدّدة، فمن بعث الأنبياء لهدايتهم وإرشادهم وإنذارهم إلى وعده بالثواب على الأعمال الصالحة ووعيده له بالعقاب على معاصيه إلى تكليفه وتحميله المسؤولية في الحياة الدنيا ونحوها مما أكّده القرآن الكريم كلّ ذلك يعدّ خير دليل على اختيار وحرية الإنسان.

وقد حاول البعض أن يستدلّ ببعض الآيات على كون الإنسان مجبوراً، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(٤).

إلّا أنّ الجواب عن هذه الشبهة بات واضحاً من خلال ما تقدّم آنفاً من الآيات القرآنية التي تصرّح بأنّ العمل الصادر من الإنسان هو عمله وهو المسؤول عنه والمثاب عليه أو المجازى به.

---

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) إبراهيم: ٢٢.

(٣) الصافات: ٩٦.

(٤) فاطر: ٨.

بل هنالك آيات جمعت في سياق واحد بين المشيئتين (مشيئة الإنسان ومشيئة الله تعالى) كقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١) وهي صريحة في أنّ الإنسان هو صاحب المشيئة، وأنّه هو الذي يختار أن يستقيم، وما ذلك إلاّ لأنّ الله تعالى أراد أن يكون الإنسان مختاراً وحرّاً في تصرفاته.

مضافاً إلى تصريح القرآن الكريم بأنّ الله تعالى لو شاء أن يهدي الإنسان هداية جبرية لأمكن ذلك، ولكنه لم يشأ ذلك، بل شاء أن تكون هدايته للإنسان من خلال إرادة الإنسان نفسه؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾(٢).

فهذه الآيات القرآنية تكشف لنا أنّ لله تعالى القدرة المطلقة من جهته، كما تكشف من جهة أخرى أنّ الله تعالى قد شاء أن يكون الإنسان حرّاً مختاراً في قبوله الحقّ أو رفضه.

كذلك ثمة آيات أخرى تقرّر أنّ الإنسان هو الذي يختار ويريد وأنّ الله تعالى يعامله في ضوء ما يختار من حرث الدنيا أو حرث الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ

---

(١) التكوير: ٢٨ - ٢٩.

(٢) النحل: ١٤٩.

(٣) الشورى: ٢٠.

﴿ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(١).

إذاً اختيار وحرّية الإنسان عنصر جوهريّ في حياة الإنسان، وبغيرها تنتفي حكمة إرسال الرسل وحكمة التكليف والاختبار وينتفي قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(٢).

فحريّة الإنسان وقدرته على الانتقاء هي السرّ في قابلية أفعاله للتقييم بالحسن أو القبح، وبدون ذلك لا يستحقّ أحد أن يلام أو يدان.

الخصوصية الثانية: الإنسان واقف على مفترق طريقين

هذه الخصوصية يعكس مضمونها القرآن الكريم في آيات متضافرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٤) ونحوها.

فإنّ الله تعالى خالق هذا الإنسان ومقدّره ومدبّره وخالق قواه وطاقاته ومهديها وموجّهها، فهو واهب القدرة له على الفعل وعلى الترك، وقد شاءت حكمته تعالى أن يجعل هذا الإنسان مختاراً واقفاً على مفترق طريقين إمّا طريق الخير وإمّا طريق الشرّ.

وهذا يكشف عن أنّ مقتضى واستعداد الإنسان للإيمان موجود فيه، كذلك مقتضى واستعداده للكفر، فيستطيع أن يؤمن ويستطيع أن يكفر،

---

(١) هود: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) البقرة: ٣٨ ـ ٣٩.

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) الكهف: ٢٩.

ومردّ ذلك إلى أنّ الإنسان مركّب من جوهرين نفس وبدن أو عقل وشهوة وغيرها من التعابير التي تشير كلّ واحدة منها إلى زاوية من زوايا وجوده، فالروح من عالم الملكوت والبدن في عالم الملك؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1].

والبعد البدني «المتمثّل بالشهوة» الذي يقوم بجذب الإنسان نحو الشهوات والميوعة والتعدّي والإسراف على النفس والمجتمع، ومن ثمّ فالشهوة تدفع الإنسان نحو الرذيلة التي تزلّه وتذلّه، وإن كانت الشهوة في حدّ نفسها كمالاً وليست رذيلة.

أمّا البعد الروحي فهو قوّة تدفعه إلى ترك الشهوات وتعديلها والجنوح إلى الأعمال الحكيمة والأفعال الفاضلة فتسعده وتصعد به إلى ارتقاء الدرجات العالية من الكمال، فبواسطة العقل يمكن للإنسان أن يجعل الشهوات والغرائز تحت زعامته، فكلّما كان العقل أقوى حكماً في أفعال الإنسان وسياساته وشؤونه، كان أقرب إلى الكمال وأبعد من الرذائل والانحطاط.

ومن هنا نجد المباحث الأخلاقية تتحدّث عن صراع بين النفس والعقل أو تقول إنّ هناك صراعاً دائماً بين النفس والعقل في وجود الإنسان فتتغلب النفس تارة وينتصر العقل تارة أخرى، فالإنسان يحمل في أغوار نفسه خصمين متناحرين لا ينتهي خصامهما ولا يهدأ تناحرهما.

ففي كلّ إنسان اتجاهان، أحدهما يدفعه إلى الرقّي والسموّ، والآخر يحثّه نحو الإخلاد إلى الأرض والغور في المادّيات والشهوات.

إذاً الإنسان واقف على مفترق طريقين إمّا طريق الكمال وإمّا طريق

---

(١) الحجر: ٢٩.

الانحطاط والسقوط؛ لأنّ الإنسان خُلق مقروناً بغرائز علوية وسفلية، فله ميول حيوانية كالشهوة والغضب وحبّ المال والثروة والأنانية وغيرها من الأفعال الناشئة من الشهوة والبدن.

وأمّا جانب العقل والروح فيرتبط من خلاله بما وراء الطبيعة فيميل إلى العدل والصدق والوفاء وغير ذلك من الصفات الكمالية.

وحاصل ما تقدّم أنّ الإنسان واقف على مفترق طريقين: طريق الخير والشرّ، وبإرادته يقرّر مصيره ويوجّه مسيره، فيفوز أو يهلك باختياره.

إنسانية الإنسان بروحه

يمكن الاستدلال على هذه الحقيقة بالنحو التالي:

لو لم نعتبر إنسانية الإنسان بروحه وأنّها الأصل في وجود الإنسان وقلنا أنّ تأثير الروح في تحقّق الإنسان على حدّ مساوٍ مع تأثير البدن، فلابدّ عندئذٍ من القول بانعدام الهوية الإنسانية للإنسان حين فناء بدنه، لأنّ الشيء المركب من جزئين والذي تتوقّف شيئيّته عليهما معاً، إنّ هذا الشيء ينعدم بانعدام أحدهما كما يقال «إنّ الكل ينتفي بانتقاء أحد أجزائه» فالماء المركّب من الأوكسجين والهيدروجين فإنّه ينعدم بانعدام أحد جزئيه، في حين إننا حينما نأتي إلى الإنسان نلاحظ أنّ بدنه يتحلّل تدريجياً في هذه الدنيا، فبعد عدّة سنين لا تكون الخلايا السابقة موجودة بعينها، من دون أن يضرّ ذلك ببقاء الإنسان بل إنّ هويته الإنسانية محفوظة وثابتة على طول عمر الإنسان، كذلك نجد أنّ الجسم يتحلّل بموت الإنسان ومع ذلك لا تنعدم الهوية الإنسانية للشخص، وإنّما هي محفوظة إلى يوم القيامة، ومن هنا ندرك أنّ الروح هي الأصل في إنسانية الإنسان وأنّها سنخ وجود مغاير للبدن.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يذكر في سورة السجدة شبهة منكري المعاد القائلة بأنّ الموت سبب لتفسّخ أعضاء البدن وهو يلازم انحلال شخصيّته، فكيف يمكن إعادته وجمع بدنه المتناثر، فإنّ الاجتماع بعد التفرقة لا يعيد شخصيته الأولى، بل يضفي عليه شخصية أخرى ليست مسؤولة عن أعمال الإنسان؟

هذه الشبهة يقرّرها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[١].

والجواب التفصيلي يبيّنه القران الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾[٢] فالله تعالى يقول إنّ واقع الإنسان ليس هو البدن وأجزاءه المتفرقة، وإنّما واقعه محفوظ بالروح الذي يأخذه ملك الموت ويرجعه إلى ربّه وهو لا يمسّه الانحلال والتحلّل.

لذا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[٣].

فالآية المباركة في صدد بيان بداية خلق الإنسان ونشأته، وأن النشأة الأولى كانت من طين؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ * ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ * ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

---

(١) السجدة: ٧.
(٢) السجدة: ١١.
(٣) سورة ص: ٧٢.
(٤) الأنعام: ٢.
(٥) الصافات: ١١.

﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[(١)] ومن هنا عندما جاءت الآية المباركة تقول: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ جاء الجواب: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[(٢)] بمعنى أنّ الله تعالى يقول في جواب السائلين عن حقيقة الروح أنّ الروح حقيقة توجد عن طريق أمر الله فحسب.

أمّا لماذا يخصّص الروح من أمر الربّ مع أنّ البدن من أمره أيضاً؛ إذ لا يوجد شيء من غير أمر الله تعالى كما في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]؟

فالجواب: أنّ البدن له قوانين، والروح لها قوانين أخرى، بمعنى أنّ نشأة البدن تبدأ من المادّة ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾[(٤)]، أمّا الروح فهي تبدأ من الأمر الإلهي الخاصّ، ولهذه الخصوصية امتيازات الروح عن البدن.

بعبارة أخرى: تريد الآية أن تقول إنّ الذي يبدأ من نشأتكم هو البدن وهو الذي ينتهي ويفنى، أمّا الذي يأتي مباشرة منه تعالى فهو باقٍ لا يفنى ولا يزول.

الفرق بين الإنسان والملائكة

بعد أن تبين أنّ الإنسان مختار وأنّه على مفترق طرق، يتّضح أنّه يفترق عن الملائكة، من جهة أنّ الملائكة وإن كانت مختارة إلاّ أنّها غير واقفة على

(١) المؤمنون: ١٢ - ١٤.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) السجدة: ١١.

مفترق طرق، والسبب في ذلك أنّ الملائكة لم تركَّب من عقل وشهوة كما هو الحال في الإنسان، وإنّما ركّبت من عقل بلا شهوة، كما أنّ الحيوان كذلك غير واقف على مفترق طريقين؛ لأنّه ركِّب من شهوة بلا عقل.

ففي الرواية عن عبد الله بن سنان قال: «سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم**»(١).

إذاً: الخصوصية الثانية في الإنسان أنّه على مفترق طرق لتركُّبه من عقل وشهوة.

وعلى هذا الأساس، يمكنه أن يتسامى ويصعد إلى الله تعالى ويصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى؛ ذلك المقام الذي قال فيه جبرائيل للنبي صلّى الله عليه وآله: «**لو دنوتُ أنمله لاحترقت**»(٢).

وفي المقابل، فإنّ هذا الإنسان يمكنه أن يتسافل ويتسافل ويبتعد عن الله تعالى، كما في الآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٣).

---

(١) **علل الشرائع**، مصدر سابق: ج ١ ص ٤ - ٥.

(٢) **مناقب آل أبي طالب**، ابن شهراشوب المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ: ج١ ص١٥٥.

(٣) التوبة: ٣٨.

وحاصل ما تقدّم:

١ ـ أنّ الإنسان موجود مختار واقف على مفترق طرق.

٢ ـ أنّه يستطيع أن يتسامى ويستطيع أن يتسافل.

المقدّمة الرابعة: حقيقة الرابطة بين العمل والجزاء

أنواع الجزاء

قبل الولوج في بيان حقيقة الرابطة بين العمل والجزاء، ينبغي أن نستعرض أنواع الجزاء المترتّب على العمل في الحياة الدنيا. هي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الجزاء الاعتباري

المقصود من الجزاء الاعتباري هو عدم وجود أيّ ارتباط حقيقيّ وواقعيّ بين العمل وجزائه، فهو جزاء اعتباريّ يضعه من يتصدّى لذلك، من قبيل وضع غرامة أو حبس لمدّة معيّنة لمن يخالف قانون المرور مثلاً.

وبطبيعة الحال فإنّ الجزاء الاعتباري يختلف من مكان لآخر ومن زمان إلى زمان ومن بيئة إلى أخرى، بل قد نجد عملاً معيّناً يعاقَب عليه في مكان ويكافأ عليه في مكان آخر كما هو الحال في إنجاب الأطفال، ففي دولة معيّنة كالصين يعاقب على ذلك بينما يكافأ عليه في دولة أخرى قليلة السكان.

النوع الثاني: الجزاء الحقيقي المتأخّر عن العمل

بمعنى أنّ هناك رابطة وعلاقة تكوينية بين العمل والجزاء، كالعلاقة بين شرب السمّ القاتل والموت، والعلاقة بين أكل السكريات بكثرة والإصابة بمرض السكّري ونحو ذلك، وهذه العلاقة بين الأسباب ونتائجها علاقة تكوينيه لا اعتبارية؛ إذ لا ربط لها بعلمنا بذلك أو عدم

علمنا به، أو بإخبار المخبر الخبير عنها أو عدم إخباره، فالنتيجة تترّتب وإن لم نعلم ذلك.

وهذا النوع من العلاقة وإن اتّصف بأنّه نوع علاقة حقيقية تكوينية واقعية وأنّ النتيجة ـ وهي الجزاء ـ لا تتخلّف ولا تنفكّ عن مسبّباتها، إلاّ أنّ النقطة التي ينبغي الالتفات لها هي أنّنا نجد أنّ العمل يحصل في ظرف وزمن سابق على ظرف وزمن الجزاء والأثر المترتّب على ذلك العمل.

النوع الثالث: الجزاء الحقيقي حين العمل

هذا النوع من الجزاء يختلف عن سابقه، حيث إنّ هذا الجزاء يكون نفس العمل أو الفعل مستبطناً للجزاء المترتّب عليه، بمعنى أنّ الفعل هو نفس الجزاء والجزاء هو باطن الفعل، وأن ظرف وزمان حدوث الفعل هو نفس ظرف وزمان تحقّق الجزاء.

ومثال ذلك في رفع السيف وضرب عنق الكافر؛ فإنّ ضربة السيف وقتل الكافر أمر واحد، إذ بنفس الضربة يتحقّق القتل، كذلك نجد أنّ الاحتراق هو نفس اللعب بالنار غير متأخّر عنه.

إذاً هذا النوع من العلاقة بين العمل والجزاء هو أنّ حصول الجزاء مع العمل في آن واحد لا انفصال بينهما، نعم في بعض الأحيان قد يلتفت الإنسان إلى الجزاء، وقد لا يلتفت إليه.

للعمل والجزاء الأخروي رابطة حقيقية من النوع الثالث

بعد أن اتّضحت أنحاء وأنواع العلائق بين العمل والجزاء نأتي إلى تحديد العلاقة بين العمل والجزاء الأخروي.

وبالتأمّل في الآيات القرآنية والنصوص الشريفة لأهل البيت عليهم السلام نجد أنّها تؤكّد على أمر بالغ الخطورة على صعيد العلاقة بين العمل والجزاء الأخروي، أي أنّ الإنسان بفعله يتلقّى جزاء العمل مباشرة بنفس الفعل، وأنّه يدخل النار في نفس ظرف وزمان صدور الحرام منه لا أنّه سيعاقب بعقوبة وجزاء مؤجّل إلى زمان لاحق.

دلالة الآيات على أنّ باطن العمل هو الجزاء

عند إجراء مسح ميدانيّ لآيات القرآن الكريم نجد أنّها تؤكّد وبوضوح على أنّ الجزاء هو باطن العمل، فحيث إنّ لكل شيء ظاهراً وباطناً، فيكون العمل ظاهراً وجزاؤه باطناً، ومن الآيات التي تشير إلى هذه الحقيقة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١] وهذه الآية تشير إلى أنّ الجزاء يتحقّق بنفس العمل وإن لم يشعر الإنسان بذلك؛ لأنّ الغفلة لا تكون إلاّ عن شيء موجود وحاضر، فهذا يعني أنّ الجزاء حاضر مع العمل؛ قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ ...﴾: «ولعمري لو لم يكن في كتاب الله تعالى إلاّ قوله: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ ...﴾ لكان فيه كفاية؛ إذ الغفلة لا تكون إلاّ عن معلوم حاضر، وكشف الغطاء لا يستقيم إلاّ عن مغطّىً موجود، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجوداً حاضراً من قبل لما كان يصحّ أن يقال للإنسان إنّ هذه أمور كانت مغفولة لك ومستورة عنك، فهي اليوم مكشوف عنها الغطاء مزال عنها الغفلة»[٢].

---

(١) سورة ق: ٢٢.

(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج١ ص٩٢ - ٩٣.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] وهي واضحة الدلالة بأنّ جهنّم موجودة فعلاً، وهي عبارة عن باطن هذه الدنيا وأنّ الكفار والمجرمين قابعون في وسط جهنّم في حياتهم الدنيوية.

قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: «لأنّ الأخلاق السيّئة والأعمال القبيحة محيطة بهم وهي النار بعينها؛ غاية الأمر أنّها ظهرت في هذه النشأة بصورة الأخلاق والأعمال، وستظهر في النشأة الأخرى بالصورة الأخرى»[٢].

إذاً يتّضح من الآية المباركة أنّ الجزاء الأخروي هو باطن العمل في هذه الدنيا.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٣] وهي ظاهرة في أنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً أنّهم الآن يأكلون النار. وسيأتي لاحقاً تتمّة لهذا البحث تحت عنوان تجسّم الأعمال.

لم لا يشعر الإنسان بالجزاء؟

إلى جوار ما وصلنا إليه من نتيجة ـ والتي تتلخّص بأنّ الجزاء باطن العمل ـ قد يثار استفهام حاصله: لم لا نشعر ولا نحسّ بالجزاء حين صدور العمل؟ فمثلاً لماذا لا نتحسّس ولا نتألّم من النار التي هي حقيقة أكل مال اليتيم ظلماً ـ كما تقدّم ـ أو لا نلتذّ بالجنّة حين القيام بعمل من أعمال الخير؟

(١) التوبة: ٤٩.
(٢) **روح المعاني**، الآلوسي: ج١٠ ص١٤١.
(٣) النساء: ١٠.

يمكن استيفاء الجواب من خلال عدّة من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (١) الذي يكشف بوضوح عن أنّ غفلة الإنسان وانشغاله في الحياة الدنيا يحول دون التفاته إلى حقيقة الجزاء، حيث إنّ في الآية إشارة لطيفة؛ وهي أنّها لا تقول كشفنا عنها غطاءها ـ أي غطاء الأعمال ـ وإنّما كشفنا غطاءك أيّها الإنسان، فالغطاء كالحجاب على النفس الإنسانية لا على الأعمال.

ولو تأمّلنا في حياتنا الدنيوية نجد عدّة من الأمثلة والشواهد التي تؤكّد هذه الحقيقة. فمثلاً حينما يتعرّض الإنسان لجرح مّا أو ألم في جسمه، قد لا يشعر به إلاّ بعد مدة من حدوثه، وما ذلك إلاّ للانشغال عنه وعدم الالتفات إليه.

التأييد الروائي

هناك جملة من الروايات تؤكّد أنّ الإنسان لا يشعر بالجزاء في دار الدنيا؛ لغفلته عن ذلك، ومن هذه الروايات:

١ ـ عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي طبع الله عليها فلا تعقل ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ عليها غطاء عن الهدى لا يبصرون بها ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، أي جعل في آذانهم وقراً فلن يسمعوا الهدى»** (٢).

٢ ـ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **«إنّما الأعمى أعمى القلب؛**

---

(١) سورة ق: ٢٢.

(٢) **تفسير القمي**، علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرنين الثالث والرابع) مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ـ إيران: ج ١ ص ٢٤٩.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١].

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبّر**»[٢].

٣ ـ في الدعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**وإنّ الراحل إليك قريب المسافة إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك**»[٣]. ونحوها من الروايات التي تؤكّد هذه الحقيقة.

هل يمكن الاطلاع على باطن الأعمال؟

في ضوء ما سلف، وأنّ لكلّ عمل ظاهراً وباطناً، مع ضرورة عدم تطابق الظاهر مع الباطن ـ إذ قد يكون ظاهر العمل لذيذاً كأكل مال اليتيم، إلاّ أنّ باطنه نار، وقد يكون ظاهر العمل مؤلماً كالصبر على الصوم والجهاد في سبيل الله مع أنّ باطنه لذيذ، ولذا ورد «**أنّ الجنة حُفّت بالمكاره وأنّ النار حُفّت بالشهوات**»[٤] ـ في ضوء هذا الاختلاف بين ظاهر العمل وبين باطنه ينبثق السؤال التالي وهو: من الذي يستطيع أن يطّلع على باطن الأعمال لكي يُطلعنا عليه؟

الجواب: لا يمكن لأيّ أحد أن يطّلع على باطن الأعمال إلاّ المعصوم،

---

(١) **من لا يحضره الفقيه**، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم المقدّسة: ج ١ ص ٣٧٩.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١ ص ١٨١ - ١٨٣.

(٣) **مصباح المتهجّد**، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ: ص١٦٢.

(٤) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج٢ ص١٥٣.

وسيأتي البحث عن حقيقة وماهيّة العصمة وسوف يتبيّن عدم وجود ظاهر وباطن بالنسبة إلى المعصوم عليه السلام، ومن هنا نفهم مقولة أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو كُشف لي الغطاء ما ازددت إيماناً**»(١).

حاصل ما تقدّم: أنّ لكل عمل يعمله الإنسان ولكلّ ملكة من ملكات الإنسان وأخلاقه وعقائده جميعاً ظاهر وهو العمل الخارجي، وله وباطن وهو الجزاء المترتّب عليه وإن كنا لا نشعر به، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بتعبيرات متعدّدة، حيث عبّر تارة عن الظاهر بالملك أو التنزيل وعن الباطن بالملكوت أو التأويل كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ** ﴾(٢) وهي تعبيرات تشير إلى حقيقة واحدة حاصلها أنّ للأعمال والملكات والعقائد ظاهراً وباطناً.

المقدّمة الخامسة: في بيان قوانين الآخرة

لا شكّ أنّ لكل من النشأتين الدنيا والأخرى قوانين خاصّة وإن اشتركا في بعض القوانين العامّة كقانون العلّية وكامتناع اجتماع النقيضين أو الضدّين ونحوهما، وبالتأمّل في آيات القرآن الكريم نجد عدّة من الآيات القرآنية تؤكّد أنّ للنشأة الآخرة قوانين خاصّة تختلف عن قوانين هذه النشأة، ومن هذه الآيات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ**﴾(٣).

فبقرينة (لا تعلمون) تدلّ الآية على أنّ النشأة الأخرى تختلف عن هذه النشأة، وإلاّ فلا معنى لقوله: ﴿**وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ**﴾.

---

(١) **مناقب آل أبي طالب**، مصدر سابق: ج١ ص٣١٧.

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) الواقعة: ٦١.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾(١). فزلزلة الأرض من جملة الحوادث التي تقع قبل يوم القيامة، ولا يمكن مقارنتها بالزلازل التي تحصل في الدنيا وإنّما هي من نوع آخر، كما وصفها تعالى في آية أخرى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾(٢) حيث تفيد الآية المباركة بأنّ الأرض لا تبقى على شكلها الحالي، وإنّما تكون هباءً منثوراً، كما يقول تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾(٣) ومعنى الرجّ قريب من معنى الزلزال، فهذا يعني أنّ قانون الزلزلة في الآخرة يختلف عمّا هو في الدنيا.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٤) لكن كيف تُبَدَّلُ الأرض والسماء إلى أرض وسماء أخرى، وما هو الفرق بينهما؟ فإنّ الآية لم تبيّن ذلك ولو بيّنته لم نفهمه؛ لأنّها ظاهرة لم يسبق لها مثيل.

كذلك توجد تعبيرات قرآنية أخرى يلفّها الإبهام أيضاً كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٦).

أليس كلّ شيء في دار الدنيا هو بيده، فلماذا خصّ السماوات بيمينه؟

---

(١) الحجّ: ١.
(٢) الزلزلة: ١ - ٢.
(٣) الواقعة: ٤ - ٦.
(٤) إبراهيم: ٤٨.
(٥) الأنبياء: ١٠٤.
(٦) الزمر: ٦٧.

فماذا سيحدث يوم القيامة بحيث عبّر الله تعالى أنّه في يوم القيامة تكون الأرض في قبضته والسماوات في يمينه، وما يفهم إجمالاً من الآيات آنفة الذكر أنّ النظام الموجود في دار الدنيا يتبدّل يوم القيامة؟

وهناك تعابير عجيبة في القرآن والروايات يظهر منها أنّ حساب ذلك اليوم لا يمكن مقارنته مع نظام هذا العالم أبداً.

وقد ورد في الروايات أنّ قطرة من نار جهنّم لو سقطت على هذا العالم لأحرقته، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وقد أطفئت سبعين مرّة بالماء ثم التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدميّ أن يطيقها، وإنّه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلاّ جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها**»(١)

إذاً نشأة الآخرة تختلف عن نشأة الدنيا، ولها قوانين تختلف اختلافاً كاملاً عن قوانين هذه النشأة إلاّ في بعض القوانين العامّة كقانون العليّة وامتناع اجتماع النقيضين. وفيما يلي نتعرّض لجملة من قوانين تلك النشأة:

القانون الأول: قانون تجسّم الأعمال

يعتبر هذا القانون من أهّم قوانين عالم الآخرة، وقد أشار إلى هذا القانون حشد متنوّع من الآيات والروايات.

وحاصل هذا القانون هو: أنّ أعمال الإنسان ـ سواء كانت أخلاقاً أو ملكات أو عقائد ـ تُهيّأ وتحضر بنفسها يوم القيامة وأن الإنسان يطّلع عليها يوم القيامة وتتجسّد بوجهها الواقعي.

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨ ـ ص ٢٨٨

الآيات الدالّة على تجسّم الأعمال

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١) وهي واضحة الدلالة من توجيه الخطاب للمؤمنين وإخبارهم بأنّ هذه أعمالكم وعقائدكم وملكاتكم وكلّ ما تقدّمونه وتعملونه من هذه الحياة الدنيا، فإنّها تبني نشأتكم الآخرة وتكون حاضرة في تلك النشأة، فانظروا ماذا تقدّمون.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(٢) وهي واضحة في الإشارة إلى أنّ الأعمال الصالحة والسيّئة تحضر يوم القيامة وتتجسّد على واقعها، فيرى كلّ إنسان ما عمل من خير وشرّ حاضراً أمامه. فإن كان العمل كريماً أكرمه وإن كان أثيماً أسلمه.

فالعمل في الدنيا تابع، والعامل متبوع، أمّا في الآخرة فتنعكس المعادلة ويكون العمل هو المتبوع، ويكون العامل ـ الإنسان ـ مأموماً وتابعاً للعمل.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾(٣) فهي صريحة بأنّ الوجه الواقعي لأكل مال اليتامى ظلماً إنّما هو النار، وإن كان ظاهر فعلهم هو الأكل من الأطعمة اللذيذة.

ومن الواضح أنّ ذكر أكل مال اليتيم من باب المثال والمصداق؛ لأنّه من أوضح المصاديق للأكل الحرام فيشمل كلّ عمل محرّم كالسرقة ونحوها.

قال الطباطبائي: «إنّ كلامه تعالى موضوع على وجهين؛ أحدهما: وجه

(١) الحشر: ١٨.

(٢) آل عمران: ٣٠.

(٣) النساء: ١٠.

المجازاة بالثواب والعقاب، وعليه عدد جمّ من الآيات تفيد أنّ ما سيستقبل الإنسان من خير أو شرّ كجنّة أو نار إنّما هو جزاء لما عمله في الدنيا من العمل. وثانيهما: وجه تجسّم الأعمال، وعليه عدّة أخرى من الآيات، وهي تدلّ على أنّ الأعمال تهيّئ بأنفسها أو باستلزامها وتأثيرها أموراً مطلوبة أو غير مطلوبة أي خيراً أو شرّاً هي التي سيطّلع عليها الإنسان يوم يكشف عن ساق. وإيّاك أنّ تتوهّم أنّ الوجهين متنافيان، فإنّ الحقائق إنّما تقرَّب إلى الأفهام بالأمثال المضروبة، كما ينصّ على ذلك القرآن»[(١)].

فالآية واضحة الدلالة على أنّ الجزاء يوم القيامة بنفس الأعمال بعد ظهورها على حقيقتها الواقعية.

كذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[(٢)] ونحوها من الآيات التي تشاركها المضمون ذاته.

الروايات الدالّة على تجسّم الأعمال

هنالك عدد وافر من الروايات تؤكّد أنّ أعمال الإنسان تتجسّم له وتظهر على حقيقتها، ومن هذه الروايات:

١ ـ عن قيس بن عاصم قال: «وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: يا نبيّ الله عظنا موعظة ننتفع بها، فإنّا قوم نعبر في البرية، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**يا قيس إنه لابدّ لك يا قيس من قرين يُدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يُحشر**

---

(١) **الميزان**، مصدر سابق: ج١ ص٩٣.

(٢) الزلزلة: ٧ - ٨.

إلاّ معك، ولا تُبعث إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنّه إن صلح آنست به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فعلك»[١].

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «... **وأعمال العباد في عاجلهم نُصب أعينهم في آجالهم**»[٢].

٣ ـ عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: **يا محمد عش ما شئت فإنّك ميّت، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك لاقيه**»[٣].

٤ ـ عن سويد بن غفلة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم محبّاً وإني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك نواريك فيها. قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت عليّ لثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أُعرض أنا وأنت على ربّك. قال: فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنّة نعيم، ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح**»[٤].

فيكون نفس العمل أي ملكوته صاحبه يوم القيامة، فملكوت الصلاة

(١) **الأمالي**، الشيخ الصدوق: ص٥١؛ **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٧ ص٢٢٨.

(٢) **تحف العقول عن آل الرسول** صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني: ص٢٠٢؛ **بحار الأنوار**: ج٦٦ ص٤٠٩.

(٣) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٥٥.

(٤) **الكافي**: ج ٣ ص ٢٣١ - ٢٣٢.

والصوم يأتي مع الإنسان يوم القيامة.

أمّا العمل بصورته الملكية فيفنى في هذه الدنيا، وأما ملكوته فيبقى فإمّا نور وإمّا ظلمة.. جميل أو قبيح، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

٤ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا وُضع الميّت في قبره مثُل له شخص فقال له: «**يا هذا كنّا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفّوك وانصرفوا عنك، وكنتُ عملك فبقيتُ معك، أما إني كنت أهون الثلاثة عليك**»[2].

وقال المازندراني في شرح أصول الكافي: «الأعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة تظهر صوراً نورانية مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج، والأعمال السيّئة والاعتقادات الباطلة تظهر صوراً ظلمانية»[3].

وعلّق الشيخ البهائي في شرح الحديث الشريف «**أنا السرور الذي كنت قد أدخلته**» بقوله: «فيه دلالة على تجسم الأعمال في النشأة الأخروية، وقد ورد في بعض الأخبار تجسّم الاعتقادات أيضاً، فالأعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة تظهر صوراً نورانية مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج، والأعمال السيّئة والاعتقادات الباطلة تظهر صوراً ظلمانية مستقبحة توجب غاية الحزن والتألّم كما قاله جماعة من المفسّرين عند قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾

(١) الزلزلة: ٦.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج٣ ص ٢٤٠.

(٣) **شرح أصول الكافي**، المولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١ هـ: ج ٩ ص ٧٣.

ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»[١].

إذاً القانون الأول من قوانين النشأة الآخرة هو قانون تجسّم الأعمال، والمراد من الأعمال هي الأعمّ من الجوانح والجوارح الشاملة للعقائد والملكات والأعمال الخارجية وأنّ العمل سواء كان خيراً أم شرّاً في هذه النشأة وإن انتهت مدّته إلاّ أنّه في تلك النشأة باقٍ ويرجع إلى صاحبه كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢] فكلّ شيء يعمله الإنسان فهو باقٍ بحسب قوانين تلك النشأة، فالأعمال ليست محدّدة بمدّة معيّنة وإنّما هي باقية لا تنتهي «**إنّما هي أعمالكم ترد إليكم**»[٣].

القانون الثاني: قانون مجازاة الأعمال

وهو من القوانين التي يعجز العقل والتجربة من اكتشافها، وهذا القانون يعكس مضمونه جملة وافرة من الآيات والشواهد الروائية، التي تؤكّد أنّ بعض الأعمال من طاعات ومعاصٍ تكون سبباً في انتقال حسنات أو سيّئات فاعلها إلى الغير أو انتقال حسنات الغير أو سيّئاته إلى فاعل تلك الحسنات أو السيّئات، وفيما يلي نتعرّض لبعض الموارد:

١ـ بعض المعاصي التي يرتكبها الإنسان في الدنيا ـ كالارتداد ـ تحبط حسناته. فالإنسان المرتدّ تحبط حسناته؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[٤].

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٧١ ص ٢٩١ - ٢٩٢.
(٢) الكهف: ٤٩.
(٣) **التوحيد** (إملاء الإمام الصادق عليه السلام على المفضّل بن عمر الجعفي)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ: ص٨٥؛ **بحار الأنوار**: ج٣ ص٩٠.
(٤) **الميزان**، مصدر سابق: ج٢ ص١٧٦.

كذلك من المعاصي التي تحبط الحسنات: الكفر بآيات الله والعناد فيه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾(١). فالآيتان واضحتا الدلالة على أنّ الكفر والارتداد يوجب بطلان العمل.

٢ـ بعض الطاعات تكفّر سيّئات الدنيا والآخرة، كالإسلام والتوبة؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾(٢) وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ * وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾(٣).

٣ـ بعض المعاصي تحبط بعض الحسنات،كالمشاقّة مع الرسول صلّى الله عليه وآله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾(٤). فمقتضى المقابلة بين الآيتين يكون الأمر بإطاعة الرسول في معنى النهي عن مشاقّته صلّى الله عليه وآله، أمّا قوله (تبطلوا أعمالكم) فهو بمعنى الإحباط.

إذاً مشاقّة الرسول صلّى الله عليه وآله تحبط الأعمال الصالحة والحسنات.

---

(١) آل عمران: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) الزمر: ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) طه: ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٤) محمد: ٣٢ ـ٣٣.

وكذلك من السيّئات التي تحبط الحسنات رفع الصوت فوق صوت النبي صلّى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1].

٤ـ بعض الطاعات تكفّر بعض السيّئات كالصلاة المفروضة؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[2] وكذلك الحجّ؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[3] واجتناب الكبائر؛ قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[5].

٥ـ بعض المعاصي التي يرتكبها الإنسان تكون سبباً في انتقال حسناته إلى غيره، فالقاتل تنتقل حسناته إلى المقتول، قال تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[6] أي تتحمّل ذنوبي السابقة أيضاً؛ لأنّك سلبت مني حقّ الحياة. وقد ورد هذا المعنى في الغيبة والبهتان كما في روايات أهل البيت عليهم السلام.

٦ـ بعض المعاصي تكون سبباً في انتقال سيّئات الغير إلى مرتكبها؛ قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

---

(١) الحجرات: ٢.

(٢) هود: ١١٤.

(٣) البقرة: ٢٠٣.

(٤) النساء: ٣١.

(٥) النجم: ٣٢.

(٦) المائدة: ٢٩.

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[١] وقال أيضاً: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[٢].

٧ـ بعض الحسنات التي يعملها الإنسان تبدِّل سيّئاته إلى حسنات؛ قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[٣].

٨ـ بعض الحسنات التي يعلمها الإنسان تكون سبباً في انتقال نفس هذه الحسنات إلى إنسان آخر كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[٤].

وكذلك بعض السيّئات تنتقل بنفسها إلى إنسان آخر كظلم الناس فإنّه يوجب نزول مثل هذا الظلم على الظالم كما قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾[٥].

وبالتأمّل في الآيات السابقة والتدبّر فيها يظهر أنّ في الأعمال من حيث المجازاة أي من حيث تأثيرها في السعادة والشقاوة نظاماً يخالف النظام الموجود من حيث طبعها في هذا العالم، وذلك أنّ فعل الأكل مثلاً من حيث إنّه مجموع حركات جسمانية فعلية وانفعالية، إنّما يقوم بفاعله نحو قيام يعطيه الشبع مثلاً ولا يتخطّاه إلى غيره، ولا ينتقل عنه إلى شخص آخر دونه، وكذا يقوم نحو قيام بالغذاء المأكول يستتبع تبدّله من صورة إلى صورة أخرى مثلاً، ولا يتعدّاها إلى غيرها، ولا يتبدّل بغيرها، ولا ينقلب عن هويّته وذاته، وكذا إذا ضرب زيد عمراً كانت الحركة الخاصّة ضرباً لا غير وكان زيد ضارباً لا غير، وكان عمرو مضروباً لا غير، إلى غير ذلك من

(١) النحل: ٤٥.

(٢) العنكبوت: ١٣.

(٣) الفرقان: ٧٠.

(٤) الطور: ٢١.

(٥) النساء: ٩.

الأمثلة، لكن هذه الأفعال بحسب نشأة السعادة والشقاوة على غير هذه الأحكام كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٤].

وبالجملة: عالم المجازاة ربّما بدّل الفعل من غير نفسه، وربّما نقل الفعل وأسنده إلى غير فاعله، وربّما أعطى للفعل غير حكمه إلى غير ذلك من الآثار المخالفة لنظام هذا العالم الجسماني. وفي ضوء ما سلف يتّضح أنّ قانون المجازاة يختلف عن بقية قوانين نشأة الدنيا.

القانون الثالث: تحقّق الأشياء في الآخرة بمجرّد الإرادة

لكي يتّضح هذا القانون لابدّ من تقديم مقدّمة تساهم في الوقوف على مغزى هذا القانون الأخروي.

وحاصل هذه المقدّمة: هي أنّ قانون الأسباب والمسبّبات قانون عامّ يحكم على جميع العوالم بما فيها عالم الآخرة، إلاّ أنّ في نشأتنا هذه وهي نشأة الدنيا نلمس وبوضوح أسباباً ومسبّباتٍ خاصّة بهذا العالم وهذه النشأة. فعندما يريد الإنسان أن يحصل على ثمرة التفاح مثلاً، فلكي يصل إلى هذه النتيجة لابدّ أن يزرع بذرة التفاح مع تهيئة كلّ مقدّماتها من الأرض

(١) البقرة: ٥٧.
(٢) فاطر: ٤٣.
(٣) الأنعام: ٢٤.
(٤) غافر: ٧٣.

الصالحة والبذرة والشمس والماء ونحوها، فهذا هو النظام الموجود في عالم الطبيعة ولا نظام غيره، نعم قد يزداد الطريق وقد ينقص، ففي السابق كانوا يتوصّلون إلى النتيجة خلال سنة والآن قد نصل إليها خلال ستة أشهر، إلاّ أنّه لابدّ من اتّباع هذا النظام وهذه القوانين التي تحكم نشأة الطبيعة.

إذا اتّضحت هذه المقدّمة، نقول: إنّ الإنسان لو كان في عالم الآخرة وأراد شيئاً فهل يجب عليه أن يهيّئ مقدّماته كما هو الحال لو كان في نشأة الدنيا؟ مثلاً: لو كان الإنسان في الجنة وأراد تفاحاً، فهل يوجد نفس القانون الموجود في نشأة الدنيا وعالم الطبيعة للحصول عليه؟

الجواب: إنّ في النشأة الآخرة التي فيها ما تشتهي الأنفس، يحصل الإنسان على ما يريده بمجرّد إرادته لذلك الشيء بلا احتياج إلى تهيئة المقدّمات التي كان يهيّئها في نشأة الطبيعة من أرض وماء..

في النشأة الآخرة تكون الإرادة هي الحاكمة، فإذا أراد الإنسان شيئاً تحقّق ذلك المراد بمجرّد إرادته أي يقول للشيء كن فيكون؛ لذا ورد عن جابر بن يزيد الجعفي قال: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: **إنّ المؤمن ليفوّض الله إليه يوم القيامة فيصنع ما شاء.** قلت: حدّثني في كتاب الله أين قال؟ قال: **قوله:** ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥)»[1].

وقال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾: «أي لهم في الجنّة ما تشتهيه أنفسهم، ويريدونه من أنواع النعم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: وعندنا زيادة على ما يشاءونه مما لم يخطر ببالهم، ولم تبلغهم أمانيهم»[2].

---

(١) **مشكاة الأنوار**، أبو الفضل علي الطبرسي (ت: أوائل القرن السابع الهجري)، دار الحديث، قم: ص ١٧٨.

(٢) **مجمع البيان**، الشيخ الطبرسي: ج ٩ ص ٢٤٨.

دفع وهم

بالالتفات إلى قوله تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ ينشأ لدى البعض هذا السؤال: إذا أخذنا في الاعتبار المفهوم الواسع لهذه العبارة وهي أنّ لكل إنسان ما يريد، فنتيجة هذا أنّ أهل الجنّة إذا أرادوا مقام الأنبياء والأولياء يعطى لهم، أو إذا طلبوا نجاة أقربائهم وأصدقائهم المذنبين المستحقّين لجهنّم، يعطَون سؤلهم، وغير ذلك من الرغبات؟

الجواب: إنهم لا يخطر ببالهم أبداً أن يطلبوا من الله طلبات كهذه؛ لعدم تهيئتهم لمقدّمات تلك الطلبات وهم في دار الدنيا.

إذاً في ضوء ما سلف يتبين أنّ نشأة الآخرة تختلف عن نشأة عالم الطبيعة.

القانون الرابع: ارتباط نظام التكوين بنظام التشريع

هذا القانون وإن كان غير مختصّ بالنشأة الآخرة، إلاّ أنّه يعدّ من قوانينها أيضاً. وحاصل هذا القانون أنّنا حينما نرجع إلى حياتنا نجد أنّ هنالك ارتباطاً وثيقاً بين النظام التشريعي والنظام التكويني لهذا الكون بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، فلا يتمكّن الإنسان أن يكتشف هذا القانون في المختبرات العلمية، أو من خلال الأدلّة الفلسفية. وهذا المعنى له مفردات ومصاديق متعدّدة، كالعلاقة بين صلاة الاستسقاء ونزول المطر. فالصلاة التي هي من الأحكام التشريعية، لها تأثير في نظام التكوين ونزول المطر، ونحو ذلك من الأمثلة المتعدّدة.

وهنالك جملة من الآيات الشريفة تكشف هذه الحقيقة من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾[1].

---

(١) الشورى: ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾(٤).

فالآيات واضحة الدلالة في وجود ارتباط وثيق بين أعمال الإنسان الشاملة للحسنات والسيّئات وبين الحوادث الكونية.

قال الطباطبائي: «الأمّة الطالحة إذا انغمرت في الرذائل والسيّئات أذاقها الله وبال أمرها وآل ذلك إلى إهلاكها وإبادتها؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا

(١) الرعد: ١١.
(٢) الأنفال: ٥٣.
(٣) الأعراف: ٩٦.
(٤) الروم: ٤١.
(٥) المؤمن: ٢١.
(٦) الإسراء: ١٦.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾[١]، هذا كلّه في الأمة الطالحة، والأمة الصالحة على خلاف ذلك. والفرد كالأمّة يؤخذ بالحسنة والسيّئة والنقم والمثلات...».

ثم قال: «وإذا أنزلت النوازل وكثرت المصائب والبلايا على قوم أو على فرد، فإن كان المصاب صالحاً كان ذلك فتنة ومحنة يمتحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيّب، وكان مثله مع البلاء مثل الذهب مع البوتقة والمحكّ؛ قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[٣]. وإن كان المصاب طالحاً كان ذلك أخذاً بالنقمة وعقاباً بالأعمال»[٤].

إذاً الحوادث الكونية تتبع أفعال وأعمال الناس ، فطاعة الناس لله تعالى والسير في طريق الرضا الإلهي يستتبع نزول الخيرات والبركات، أمّا إذا كانت أعمال الناس في طريق الضلال والفساد فإنّها تستوجب ظهور الفساد وانتشار الحروب والمصائب، وكذلك العلاقة بين الصدقة ودفع البلاء والعلاقة بين صلة الرحم وطول العمر ونحوها.

إنّ لذلك العالم نظاماً آخر لا يتيسّر لإفهامنا، وإنّ للآخرة نشأة تختلف عن نشأة الدنيا، وقوانين تختلف اختلافاً كاملاً عن قوانين هذه النشأة إلاّ في بعض القوانين العامّة كقانون العلّة والمعلول وامتناع اجتماع النقيضين.

---

(١) المؤمنون: ٤٤.

(٢) العنكبوت: ٢ ـ ٤.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) **الميزان**، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٨٠ - ١٨٣.

خلاصة مقدمات الدليل الأول

١ـ إنّ لهذا العالم خالقاً وربّاً.

٢ـ إنّ الخالق عادل وحكيم وله غاية في خلقه، وإنّ غاية خلق الإنسان هو البقاء خالداً في دار الآخرة.

٣ـ الرابطة بين الجزاء والعمل رابطة تكوينية، وإنّ نتيجة العمل هي ظرف العمل نفسه.

٤ـ إنّ للآخرة قوانين خاصّة لا يستطيع الإنسان أن يكتشفها.

نتيجة الدليل الأول

بناء على ما تقدّم من مقدّمات وأنّ الآخرة غاية الإنسان وهدفه وأنّه قاصر عن معرفة واكتشاف قوانين النشأة الآخرة، فمقتضى حكمة الله وعدله أن يدعو الإنسان إلى السعادة ويهديه إلى الرشاد وهو ما يسمّى بالدين، فإنّ الدين مجموعة من الأوامر والنواهي الإلهية التي تقوم على أساس الحاجات الواقعية والحقيقية للإنسان.

إذاً مقتضى عدالة الله تعالى وحكمته أن يهدي الإنسان ويوصله إلى كماله اللائق به، من خلال إرشاده وتوجيهه نحو سبيل السعادة.

طريقان لإيصال خبر السماء إلى الإنسان

من هنا ينبثق السؤال التالي: لمّا كان الإنسان يحتاج إلى من يخبره بخبر ربّ العالمين الذي كتب على نفسه هداية كلّ شيء، فما هي الطريقة والآلية لذلك الإيصال؟

هناك طريقان في المقام:

الطريق الأول: أن يوصل الله تعالى الأوامر والنواهي التي تحقّق للإنسان كماله اللائق به إلى جميع أفراد الإنسان بنحو مباشر، بمعنى أن يرتبط كلّ إنسان ارتباطاً مباشراً مع الله الباري ويخبره تعالى بهذه القوانين.

إلاّ أنّ هذا الطريق غير ممكن، وبعبارة أدق إنّ الحكمة الإلهية لم تقتضِ هذا الطريق؛ لأنّه خلاف النظام الأحسن.

الطريق الثاني: هو أن يبعث الله إلى الناس شخصاً من نبيّ أو رسول يقوم بهداية الناس إلى مصالحهم ومنافعهم وما ينبغي فعله وما لا ينبغي، وهذا الطريق هو الموافق للحكمة الإلهية وللنظام الأصلح ولا سبيل سواه.

إذاً لا محيد عن النبوّة؛ لأنّ مصدر التشريع في الدين هو الله تعالى، وليس بمقدور الناس أن يتفهّموا دينهم عن الله تعالى مباشرة دون وسيط.

فالنبوّة سفارة عن الله تعالى تقوم بشرح العقيدة وإبلاغ الشريعة، وإيضاح الحجّة، ودعوة الناس إلى الله تعالى، وبذلك يكون قول النبي سنداً لثبوت كلّ رسم من رسوم الدين وكلّ بند من بنود الشريعة، فهو النموذج الأعلى الذي أعدّه الله للناس ليصوغوا أنفسهم على مثاله، بأقواله يهتدون وبأعماله يقتدون، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[(١)].

وكلّ ذلك يدلّنا على أنّ الدين وبعث الرسل ضرورة لا غناء للبشر عنها؛ لذا ورد في الرواية عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبتّ الأنبياء والرسل؟ قال:

«إنه لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يُجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم

(١) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس ـ على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ـ في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته»[١].

إذاً اتّضح أنّ مقتضى حكمة الله تعالى وعدله أن يبعث من يخبر الإنسان بخبر السماء ويسوقه صوب كماله ومنافعه وهدفه الذي خلق لأجله.

الدليل الثاني في الحاجة إلى الدين والنبوّة

يتألفّ هذا الدليل من مجموعة من المقدّمات، تشترك بعضها مع مقدّمات الدليل الأول؛ لذا نقتصر على الإشارة للمقدّمات غير المشتركة:

المقدمة الأولى: الإنسان مركّب من عقل وشهوة

تقدّم تفصيل هذه المقدّمة في الدليل الأول واتّضح أنّ الإنسان مركب من بعدين بعد روحيّ وبعد مادّي ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٢]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[٣] والبعد الروحي هو الأصيل وهو

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ١٦٨.

(٢) المؤمنون: ١٢.

(٣) سورة ص: ٧٢.

المحققّ لإنسانية الإنسان، وبه ينال الإنسان كماله، وهو الذي يلتذّ ويتألم ويصل إلى السعادة أو الشقاوة، أمّا البعد المادّي فهو تابع للبعد الروحي، وقد تقدّم أنّ الإنسان لا يمكنه أن ينمّي كمالات روحه إلاّ من خلال المادّة، بمعنى أنّ الروح لا يمكن أن تنال كمالها إلاّ من خلال نشأة الابتلاء والامتحان.

وعلى هذا الأساس جاءت كلمات أهل البيت عليهم السلام مادحة للدنيا تارة وذامّة لها تارة أخرى، فمن جهة تعتبر الدنيا فضلاً من الله تعالى ورحمة وأنّها محبوبة عند الله تعالى، ومن جهة أخرى نجد كلماتهم عليهم السلام تصف الدنيا بأنّها دار الغرور وأنّها دار لهو ولعب وأنّها متاع، وأنّ الحرص عليها مذموم ونحوها من الكلمات.

والجمع بين كلماتهم هذه عليهم السلام لعلّه واضح؛ إذ إنّ الدنيا الممدوحة هي إذا استُثمِرت بتحصيل الكمالات والإعداد لحياة أبدية سرمدية، واتّجر فيها الإنسان لاكتساب الثواب في الآخرة؛ لذا جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ردّاً على من ذمّ الدنيا بقوله: «**إنّ الدنيا دار صدق لمن صدَقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها. مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله. اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنّة. فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، فمثّلت لهم ببلائها البلاء، وشوّقتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعافية وابتكرت بفجيعة؛ ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمّها رجال غداة الندامة، وحمدها آخرون يوم القيامة؛ ذكرتهم الدنيا فتذكّروا، وحدّثتهم فصدّقوا، ووعظتهم فاتّعظوا**»[1].

(١) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٢.

وعن ابن مسكان عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) قال: «**الدنيا**»(٢).

فهي بهذا المعنى ليست مذمومة، باعتبار أنّها الطريق للكمال «**لا ينال ما عنده إلاّ بترك ما فيها**» فهذه الدنيا دار ممرّ لا دار مقرّ، فهي وسيلة لا هدف، ولا طريق لذلك الهدف إلاّ من خلالها؛ لهذا قسّم أمير المؤمنين عليه السلام الناس إلى قسمين: **قسم منها تزوّد، وقسم لها تزوّد**.

إذاً إذا أراد الإنسان أن يصعد ويترقّى في درجات القرب الإلهي، أو يتسافل في دركات الجحيم، فالميدان هو هذه الدنيا.

أمّا المذموم من الدنيا فهو التوجّه إليها والتعلّق بها وحبّها، وهذا هو رأس كلّ المفاسد والخطايا؛ لذا قال الإمام الصادق عليه السلام «**رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا**»(٣)، فالذمّ إنّما هو باعتبار أنّ هذه الدنيا قد تؤدّي بالإنسان إلى دركات الجحيم.

وفي ضوء هذه المقدّمة، تكون الحاجة إلى الدين لبيان كيفية الاستفادة من هذه الدنيا لأجل السعادة الأخروية.

المقدمة الثانية: الإنسان يحبّ ذاته بالفطرة

هذه المقدّمة تقدّمت في أبحاث علم الكلام أيضاً وحاصلها: أنّ الفطرة ـ كما في الكتب اللغوية ـ هي الخلقة التي خُلق عليها المولود في رحم أمّه(٤).

(١) النحل: ٣٠.

(٢) **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠ هـ)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٣) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢ ص٣١٥.

(٤) انظر: **الصحاح**، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، لبنان.

وفي الاصطلاح القرآني: الفطرة هي الكيفية التي خُلق الناس عليها. ومن أهمّ أحكام الفطرة أنّها شاملة لكلّ أفراد البشر، فلا يخلو منها أحد، ولا تختصّ بطائفة معيّنة من البشر أو فئة خاصّة، لذا يقول تعالى: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[1] مضافاً إلى أنّ الأحكام الفطرية لا تحتاج لتعليم، وأنّها لا تتغيّر ولا تتبدّل نتيجة العوامل الخارجية والداخلية والبيئية، فلا يمكن تبديل الفطرة وإماتتها بنحو يكون هذا الإنسان غيره، نعم يمكن دفنها ودسّها كما عبّر القرآن الكريم، بقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2] أي دفنها، فالأمر الفطري لا تبديل له كما قال تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾[3].

والنقطة الجديرة بالذكر، هي أنّه بالرغم من عدم وجود اختلاف في الأمور الفطرية، إلاّ أنّ الناس غافلون عن ذلك ويظنّون أنّهم مختلفون، ما لم ينبّههم أحد إلى ذلك، فيدركون أنّهم كانوا متّفقين رغم اختلافهم في الظاهر؛ لذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4].

ومن أبرز الأمور التي فطر الله الناس عليها ولا يمكن تبدّلها، أنّ فطرة الإنسان تعشق وتحبّ الكمال، وهو شعور يلتقي عليه جميع أفراد البشر، وقد عبّر القرآن الكريم عن الفطرة بتعبيرات مختلفة، فتارة عبّر عنها بالفطرة وأخرى بالصبغة ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[5] وأخرى ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾[6].

---

(١) الروم: ٣٠.
(٢) الشمس: ١٠.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) الأعراف: ١٨٧.
(٥) البقرة: ١٣٨.
(٦) آل عمران: ٦٧.

كذلك نجد الروايات فسّرت الفطرة بتفسيرات متعدّدة أيضاً:

• ففسّرت الفطرة بالتوحيد (١)؛ فعن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: «**فطرهم على التوحيد**».

• وفسّرت الفطرة أيضاً بالإسلام، كما في صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: **هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ **وفيه المؤمن والكافر**»(٢).

• وفسّرت الفطرة أيضاً بالدين وبشهادة لا إله إلاّ الله. وظاهر هذه التفسيرات المتعدّدة للفطرة أنّها من باب ذكر المصاديق.

فكلّ أفراد البشر بلا استثناء، وكلّ طائفة وكلّ ملّة وفي جميع الأدوار التي يمرّ بها الإنسان، يجد في نفسه حبَّ الكمال، والنفورَ من النقص. فالفطرة الإنسانية تتّجه صوب الكمال، فلا يوجد إنسان يسعى نحو خسران ما يملكه من كمالات بحسب تصوّره، فالكمال غاية الإنسان في جميع أعماله وفي جميع تصرّفاته وأفكاره ومطامحه وعلاقاته وفي كلّ شؤونه.

أمّا منشأ حبّ الإنسان للكمال ـ الذي هو أمر فطريّ ـ فهو حبّ الإنسان لذاته، فيحبّ كلّ كمال يرتبط بذاته، وهو ما نشاهده ونلمسه من سعي الإنسان حثيثاً لتحصيل كمالات ذاته، ومن هنا نجد الإنسان يطلب العلم؛ لأنّه كمال لذاته، فلو لم يكن محبّاً لذاته لما طلب العلم، كذلك يهرب الإنسان من الجهل؛ لأنّه نقص، بل قد يوصل حبّ الإنسان لذاته أن يقدم

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٣.

(٢) **الكافي**: ج ٢ ص ١٢.

على الانتحار إذا رأى عدم تحمّله للآلام التي تمرّ بها حياته وإنقاذه من الظروف المؤلمة التي تحيط به فيهرب من هذا الألم من خلال الانتحار، وسرّ ذلك يكمن في أنّ المنتحر لا يجد أمامه طريقه تخلّصه من هذا الألم إلاّ الانتحار، وهذا المعنى يوجد أيضاً عند تناول الإنسان للدواء المرّ، وليس ذلك إلاّ لأجل رفع الألم الحاصل عنده، فلو لم يكن الإنسان محبّاً لذاته لما سعى لرفع الألم والنقص الحاصل عنده.

وخلاصة الفكرة أنّ الإنسان إذا وجد في نفسه ميلاً شديداً نحو العلم أو إلى الأخلاق أو الفنّ أو الجمال، فإنّ هذا الميل هو شعبة نابعة من ذلك العشق للكمال وإشعاعة من إشعاعاته، كلّ ذلك نتيجة حبّ الإنسان لذاته الذي يدفع بالإنسان إلى كسب كمالات ذاته ودفع النقص عنها.

اختلاف الناس في تشخيص الكمال

بعدما تقدّم في مطاوي البحث أنّ الإنسان مفطور على حبّ الكمال ورفع النقص عن نفسه، ينبغي الإلفات إلى شيء مهمّ، وهو أنّ الناس يختلفون في تحديد وتشخيص مصداق الكمال والنقص.

فكلّ إنسان يطلب الكمال والسعادة ويسعى إلى تحقيقها، إلاّ أنّ الشيء المهمّ هو الاختلاف في تحديد مصداق ذلك الكمال والسعادة، فالبعض يحسب أنّ كماله في الثروة والمال فيتفانى في سبيل تحصيلها وبعض يرى كماله في الجاه والسلطة، والبعض يرى كماله في العلم وهكذا، والسبب في ذلك هو أنّ في المرء جنوحاً في الغرائز وتقلّباً في الأهواء، كذلك له طباع يرثها من أسلافه وقد تكون رديئة، ولديه تقاليد يألفها من مجتمعه وقد تكون مذمومة، وله عادات يكسبها بإرادته وقد تكون ساقطة، كلّ ذلك يؤثّر في تحديد وتشخيص الإنسان لكماله الحقيقي.

إذاً حاصل هذه المقدّمة أنّ الإنسان يحبّ وجوده وكمالات وجوده ويهرب من عدم وجوده، ومن عدم كمالات وجوده، إلاّ أنّه يخطئ في تشخيص مصداق ذلك الكمال.

المقدمة الثالثة: الإنسان يطلب الكمال اللامتناهي

وهذه المقدّمة يشهد لها الوجدان والتجربة، حيث نجد أنّ هنالك شعوراً واضحاً في أعماق كلّ إنسان، وهو أنّ الإنسان لا يحبّ الأمور المحدودة والمعرّضة للزوال، وإنّما هو عاشق للسعادة اللامحدودة والحياة اللامحدودة، وقد نقل القرآن الكريم عن بني إسرائيل أنّهم كانوا يحبّون أن تطول أعمارهم، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[(١)] ـ ومن الواضح أنّ التعبير بهذا العدد كناية عن الكثرة، وهذه رغبة عامّة مركوزة في أعماق كلّ إنسان، فلو حصلت للإنسان القدرة على إدارة كلّ الأرض لأراد الاقتدار على السماء، وعلى الكواكب والنجوم وهكذا، ولو خطر بباله وجود عالم آخر لطلب الاقتدار عليه ولا يتوقّف طلبه عند حدّ، فهو يطلب علماً غير محدود وقدرة غير محدودة وجمالاً غير محدود. وقد أضاءت هذا المعنى جملة وافرة من الروايات، منها ما روي عن سليم بن قيس قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **منهومان لا يشبعان، طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلّ الله له سلم، ومن تناولها من غير حلّها هلك، إلاّ أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظّه**»[(٢)].

(١) البقرة: ٩٦.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١ ـ ص ٤٦.

إذاً كلّ إنسان يطلب ـ بحسب حبّه لذاته ـ كمالاً لا متناهياً[(١)].

إذاً من خلال التّأمل في الميول الفطرية للإنسان، نجد أنّها تسوقه نحو اللانهاية، وأنّ إشباعها لا يحصل إلاّ بالاتّصال بمنبع العلم والقدرة والارتباط بمعدن الجمال والكمال اللامتناهي، وبهذا الارتباط يُشبع الإنسان ميله للقدرة التي لا تقهر والعلم الذي لا ينتهي...، وفي هذه المرتبة يصل إلى محبوبه ذي الجمال والكمال اللامتناهي، ويجد نفسه في أحضان اللطف والعناية اللامحدودة، فيروي بذلك كلّ ظمئه وحاجاته؛ لذا ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ الله تعالى قال في الحديث القدسي:

«ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن موت المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[(٢)].

أي أنّ الكمال الحقيقي والسعادة الحقيقية للإنسان هو القرب الإلهي، إلاّ أنّ المؤسف أنّ كثيراً من الناس يرى أنّ كماله المطلق في غير القرب من الله تعالى، وما ذلك إلّا بسبب الوقوع في حبائل الدنيا والشهوات.

بعبارة أخرى: إنّهم أخطؤوا في تطبيق مفهوم الكمال المطلق على

---

(١) يعدّ طلب الإنسان للكمال اللامحدود من أهمّ أدلّة إثبات الواجب، بتقريب: أنّ اللامحدود واللامتناهي غير موجود في المخلوقات؛ لأنها محدودة متناهية، ومن الواضح أنّ المتناهي لا يستطيع أن يجعل نفسه غير متناهٍ؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فلابدّ من وجود موجد لا متناهٍ، وهو الواجب تعالى، فالله تعالى هو الذي عنده القدرة اللامتناهية والعلم اللامتناهي والجمال اللامتناهي.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢، ص٣٥٣.

مصداقه الحقيقي الذي هو الله تعالى، وزعموا أنّه متاع الدنيا.

إذاً حاصل هذه المقدّمة: أنّ الإنسان يطلب كمالاً لا متناهياً.

المقدمة الرابعة: كلّ شيء خُلق لأجل الإنسان

حظي الإنسان بعناية كبيرة من قِبل الباري تعالى، وقد عكس القرآن الكريم هذه العناية الإلهية في عدّة من النصوص القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]، حيث نجد أنّ الله تعالى تباهى بهذا الإنسان على كلّ المخلوقات الأخرى فقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[3].

وقد أودع الله تعالى حبّ الكمال في فطرة ذلك الإنسان وأوجد فيه الاستعداد للوصول إلى كماله اللائق به وهو القرب الإلهي ـ كما تقدّم ـ.

ومن هذا المنطلق، جعل تعالى كلّ شيء في عالم الإمكان في خدمة المسيرة التكاملية للإنسان، فسخّر له كلّ شيء.

ومعنى كون المخلوقات مسخَّرة في خدمة الإنسان هو أنّ العلة الغائية لخلقها إنّما هي لأجل استفادة الإنسان منها وتوظيفها في طريق تكامله، وقد تظافرت الآيات القرآنية في بيان هذه الحقيقة:

• قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) المؤمنون: ١٥.

(٤) الجاثية: ١٣.

• وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾(١).

• وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(٢).

• وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾(٣).

• وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾(٤).

• وقال تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾(٥).

• وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ * وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾(٦).

بل حتّى الملائكة المقرّبون من إسرافيل ومكائيل وجبرائيل وعزرائيل جعلهم الله تعالى في خدمة الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾(٧).

---

(١) النحل: ٨١.
(٢) النحل: ١٤.
(٣) النحل: ١٠.
(٤) سورة يس: ٨٠.
(٥) سورة يس: ٧١.
(٦) النحل: ٦.
(٧) النازعات: ٥.

ونحوها من الآيات القرآنية التي تشاركها في المضمون ذاته. وقد جاء في الحديث القدسي: «**خلقت الأشياء لأجلك، وجعلتك لأجلي**»(١).

من هذه النصوص القرآنية نستفيد:

١ـ أنّ الإنسان أكمل وأفضل الموجودات في هذا العالم، وهو سيّد عالم الإمكان.

٢ـ أنّ معنى التسخير: هو أنّ الإنسان يستفيد من هذه المخلوقات لخدمته ومنافعه.

السيادة على عالم الإمكان ليست لجميع البشر

عند التأمّل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢) وبعد معرفة من هو المستخلِف، يتّضح ـ وبشكل لا يقبل اللبس في الدلالة على المطلوب ـ أنّ السيادة التي جُعلت للإنسان على عالم الإمكان ليست لجميع الناس، وإنّما هي خاصّة بصنف خاصّ من البشر وهو الإنسان الكامل، وهو مسجود للملائكة وخليفة الله تعالى في هذا العالم. فليس كلّ إنسان يكون أفضل من الملائكة أو مسجوداً للملائكة، فإنّ بعض الناس شرّ من البهائم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(٣) فلا يعقل أن يكون مثل هذا الإنسان مسجوداً للملائكة. إذاً الإنسان الذي له السيادة على عالم الإمكان هو الإنسان الكامل، لا كلّ إنسان.

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ، دار البلاغة، بيروت: ج١ ص٣٨١.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

قدرة الإنسان على اكتشاف قوانين ما سخّر له

في ضوء ما سلف وتأسيساً عليه ـ وهو أنّ الله تعالى سخّر للإنسان ما يقع في طريق تكامله من موجودات ـ نجد أنّ الله تعالى زوّد الإنسان بأدوات وآليات كفيلة بإقدار الإنسان على الاستفادة مما سُخّر له.

ومن أهمّ هذه الأدوات قدرة الإنسان على التفكير وكشف القوانين الكلّية في الوجود، وهو ما يعبَّر عنه بأنّ الإنسان مدرك الكلّيات؛ لذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فالله تعالى أودع في الإنسان السمع والأبصار والأفئدة ليكون قادراً على كشف قوانين الوجود لغرض الاستفادة منها في تسخير المخلوقات لخدمته.

من هنا تجدر الإشارة إلى أنّ متطلبات الإنسان غير محدودة، وقد تجاوزت متطلّباته حدود الزمان والمكان، بخلاف الحيوانات فإنّ علمها لا يتجاوز الزمان والمكان الذي يحيط بها، فلا تتجاوز متطلّباتها الأمور المادّية والشهوية، وإلى هذه الحقيقة يشير الطباطبائي بقوله: «خلق الله سبحانه هذا النوع، وأودع فيه الشعور، وركّب فيه السمع والبصر والفؤاد، ففيه قوة الإدراك والفكر، بها يستحضر ما هو ظاهر عنده من الحوادث وما هو موجود في الحال وما كان وما سيكون ويؤول إليه أمر الحدوث والوقوع، فله إحاطة ما بجميع الحوادث»[2].

فبواسطة قدرة الإنسان على الإدراك والفكر التي منحها تعالى له، يكون قادراً على السير بصورة صحيحة في سلّم التكامل، ومن هنا نجد

---

(١) النحل: ٧٨.

(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج٢ ص١١٣.

الإنسان قادراً على ربط الحاضر بالماضي والمستقبل، وربط الأشياء بعضها ببعض ليكتشف القوانين التي تصبّ في طريق هدفه وغايته.

إذاً الله تعالى منح الإنسان أدوات الملاحظة والكشف للاستفادة منها فيما سخّر له، بخلاف باقي المخلوقات.

لابدّ من خصوصية أخرى للإنسان

قبل أن نطوي هذه المقدّمة، قد يثار تساؤل حيال ما تقدّم، وهو أنّ الخصوصيتين اللتين وهبهما الله تعالى للإنسان من تسخير المخلوقات للإنسان وإقداره على الاستفادة من هذه المخلوقات، هل هما كافيتان لتحريك الإنسان للاستفادة مما سخّر له؟

ولكي يكون الجواب واضحاً، نطرح السؤال بصيغة أخرى، وهي: هل الإنسان يتحرّك للاستفادة مما سخّر له، إذا لم يكن محبّاً لكمال ذاته؟

ولعلّ الجواب بات واضحاً، لاسيّما إذا رجعنا إلى وجداننا، ووضعنا أيدينا على بعض الممارسات اليومية، فمثلاً: استفادة الإنسان من الغذاء جاءت بعد خلق الله تعالى لهذا الغذاء وتزويد الإنسان قابلية على معرفة أنّ هذا غذاء له، إلاّ أنّ هذا المقدار لا يكفي لجعل الإنسان متناولاً الطعام، ما لم يكن الإنسان محبّاً لذاته ويعلم أنّ الطعام من كمالات ذاته.

إذاً لكي يقدم الإنسان على الاستفادة مما سخّر له، لابدّ من أن يكون محبّاً لذاته، ويعلم بأنّ الشيء الذي يريد الاستفادة منه من كمالات ذاته.

أمّا إذا لم يكن الإنسان مدركاً لوجود الكمال في الشيء الفلاني، فإنّه لا يقدم عليه؛ لأنّه لا يرى في ذلك الشيء كمالاً له.

ومن هنا نجد أنّ الكثير يقدم على المعصية، ويترك الواجبات الإلهية؛

وسرّ ذلك هو عدم إدراكه بأنّ الكمال هو بالابتعاد عن المعصية وأنه يتحقّق بامتثال الأوامر الإلهية، بخلاف تناول الطعام فإنّ الكمال بالنسبة إليه واضح، لأنّه محسوس وملموس.

وخلاصة ما تقدّم أنّ حبّ الإنسان للكمال والعلم بذلك الكمال من الأسس الكفيلة لتحريك الإنسان للاستفادة مما سخّر له تعالى. وتنتهي هذه المقدّمة إلى:

١ـ أنّ الله تعالى سخّر كلّ شيء في خدمة الإنسان.

٢ـ إنّ الله تعالى زوّد الإنسان بوسائل وأدوات للتعرّف عمّا حوله، وكيفية الاستفادة منها.

٣ـ إنّ الله تعالى أودع في الإنسان حبّ الكمال والهروب من النقص لأجل تحريكه للاستفادة مما سخّر له.

المقدمة الخامسة: عدم إمكانية الاستفادة من الطبيعة مباشرة

حاصل هذه المقدّمة هي أنّ الإنسان بعدما زوّد بعدّة من الخصوصيات التي تقدّمت وأوجد مجموعة من العلوم العملية، لأجل الاستفادة مما حوله من الطبيعة التي سخّرت له، لابدّ له من أجراء تغيرات وتعديلات على الطبيعة لكي تكون الطبيعة صالحة ومنسجمة مع حاجاته ومتطلّباته، ولا يمكن له الاستفادة مباشرة من الطبيعة، إلاّ بعد إجراء العديد من العمليات على الطبيعة.

ولتوضيح ذلك نقول:

إنّ الفرق بين الإنسان وغيره من الموجودات كالحيوان والنبات، هو أنّ الحيوانات والنباتات تأخذ حاجاتها من الطبيعة مباشرة من دون إجراء أيّ

تغيير عليها، فالنباتات تستفيد من الماء والتراب مباشرة، كذلك الحيوانات فإنّها تأخذ غذاءها من الطبيعة مباشرة ـ نعم هناك ضرب من الحيوانات المتطوّرة لها بعض الخصوصيات، إلاّ أنّ غالب الموجودات الحية غير الإنسان تستوفي حاجاتها من الطبيعة مباشرة ومن دون إجراء أيّ تغيير عليها، وهذا بخلاف الإنسان فإنّه لأجل أن يحصل على لقمة الخبز تجده يجري العديد من العمليات على الحنطة لكي تكون خبزاً، وهكذا الحال في اللبس والشرب وغيرهما من الاحتياجات، وكلما ازداد الإنسان تطوّراً في العلم ازدادت حاجاته إلى الطبيعة، وهذا المعنى يمكن استيحاؤه من خلال الرجوع إلى القرون السابقة حيث نجد الناس قديماً لا تتجاوز حاجاتهم بعض الأشياء وهي كافية لتلبية متطلباتهم المعيشية، أمّا في العصور المتطوّرة ـ كما هو في العصر الحاضر ـ فلكي يؤمّن الإنسان متطلّبات معيشته اليومية، قد يحتاج إلى المئات من الأشياء، وهو عاجز عن تأمينها بمفرده.

ومن خلال هاتين النقطتين ـ وهما إجراء الإنسان لتعديلات في الطبيعة لغرض الاستفادة منها، وأنّ حاجات الإنسان واسعة ـ نشأت لديه فكرة الاستخدام للآخرين لتلبية وتأمين احتياجاته ومتطلّباته. وتزداد فكره الاستخدام هذه كلّما ازداد تطوّر الإنسان؛ فإنّ سيطرة الإنسان على الطبيعة مع وجود هذا التطوّر الهائل يزيد في المشكلة الاجتماعية تعقيداً؛ لأنّها تؤدّي إلى فتح مجالات أخرى للاستخدام، إذ إنّ كلّ إنسان يريد من الآخرين أن يعينوه في معاشه ومسكنه وملبسه وسائر احتياجاته الأخرى، وهكذا الأمر بالنسبة للآخرين، ومن هنا يضطرّ كلّ منهم إلى التنازل عن بعض منافعه لكي يحصل على منافع أخرى، لذا قال تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[1]

(١) الزخرف: ٣٢.

بمعنى أنّ التسخير مشترك بين أفراد البشر، وهو اتخاذ بعضهم للبعض الآخر وسيلة لقضاء حوائجه وكسب معيشته، بل نجد ذلك حتى في حالات تضحية الإنسان بنفسه أو بعض منافعه، كما في إيثار ولده أو عزيز له، فهو لن يقدم على ذلك ما لم يحصل مقابلها على منفعة تعادل أو تفوق ما تحمّله من آلام جرّاء إيثاره أو تضحيته لأجل بعض المثل والقيم التي يؤمن بها.

فخلاصة هذه المقدّمة أنّ الإنسان لا يمكنه الاستفادة من الطبيعة إلاّ بعد إجراء تعديلات عليها، وأنّه بحاجاته الواسعة إلى الطبيعة، تنشأ لديه الحاجة إلى استخدام الآخرين لتأمين متطلّباته، وهذه النزعة لاستخدام الآخرين موجودة بعينها عند بقية أفراد الإنسان، الأمر الذي يفضي إلى وقوع الاختلاف والنزاع.

المقدّمة السادسة: اختلاف وتنوّع مطاليب الناس

منشأ هذا التنوّع والاختلاف في مطاليب الناس هو اختلاف استعداداتهم وإمكاناتهم وقدراتهم، وقد أقرّ القرآن الكريم هذا التفاوت الطبيعي والدرجات المختلفة للمطاليب المتنوّعة للناس، كما في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(1) بمعنى أنّ للإنسان حاجات متنوّعة ومختلفة.

إنّ الإنسان يرى نفسه مدفوعاً لتوظيف كلّ شيء لخدمته بحكم نزعته لاستخدام الآخرين وهذه النزعة موجودة بعينها عند بقية أفراد البشر، ولا يمكنه العيش وحده منفرداً؛ كلّ هذا يفضي إلى وقوع الاختلاف والنزاع.

---

(١) الزخرف: ٣٢.

خلاصة مقدّمات الدليل الثاني

المقدّمة الأولى: الإنسان مركّب من عقل وشهوة.

المقدّمة الثانية: الإنسان يحبّ ذاته بالفطرة.

المقدّمة الثالثة: الإنسان يطلب الكمال اللامتناهي.

المقدّمة الرابعة: كلّ شيء خُلق لأجل الإنسان.

المقدّمة الخامسة: لابدّ للإنسان من إجراء تغييرات على الطبيعة للاستفادة منها.

المقدّمة السادسة: اختلاف وتنوّع مطاليب الناس.

نتيجة الدليل الثاني: ضرورة وجود قانون لحلّ النزاع

من مجموع هذه المقدّمات تتّضح ضرورة الحاجة إلى قانون عادل يلتقي عليه كلّ أفراد البشر لأجل استقرار الاجتماع بنحو ينال كلّ ذي حقّ حقّه، وإقامة العدل الاجتماعي الذي ينهض بمهمّة إيجاد التوازن المطلوب لدوام الحياة الإنسانية.

وهذه الحقيقة قرّرها الطباطبائي بقوله: «إنّ الإنسان لما وجد ساير الأفراد من نوعه، وهم أمثاله، يريدون منه ما يريده منهم، صالحهم ورضي منهم أن ينتفعوا منه وزان ما ينتفع منهم، وهذا حكمه بوجوب اتخاذ المدنية والاجتماع التعاوني، ويلزمه الحكم بلزوم استقرار الاجتماع بنحو ينال كلّ ذي حقّ حقّه، ويتعادل النسب والروابط، وهو العدل الاجتماعي. فهذا الحكم أعني حكمه بالاجتماع المدني والعدل الاجتماعي، إنّما هو حكم دعا إليه الاضطرار، ولولا الاضطرار المذكور لم يقض به الإنسان أبداً، وهذا معنى ما يقال: إنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، وإنّه يحكم بالعدل الاجتماعي، فإنّ

ذلك أمر ولّده حكم الاستخدام المذكور اضطراراً»[١].

إلاّ أنّ الشيء المهمّ هو من الذي يصنع القانون لحلّ النزاع؟

الاتجاهات في قانون حلّ النزاع

هنالك اتجاهان رئيسيّان حيال هذا القانون:

الاتجاه الأول: الاتجاه المادّي

وحاصله: أنّ العقل البشري قادر على إقامة النظام الأصلح وإقامة العدل الاجتماعي من دون حاجة إلى هداية سماوية أو دين أو نبوّة...

ويعتمد هذا الاتجاه في إقامة التوازن وإدارة المجتمع البشريّ على التجارب الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، فمن خلال التجربة، ومن خلال اكتشاف الأخطاء ونقاط الضعف في تلك التجربة، التي تكشف له عن سيّئات ومحاسن النظام المجرّب، يستطيع أن يتكامل ويتطوّر، وهكذا يزداد الإنسان معرفة وبصيرة إلى أن يصل إلى مرحلة يكون فيها قادراً على وضع نظام العدالة الاجتماعية.

فكان الإنسان في أوّل وجوده يستعمل الفأس وغيرها من الآلات البدائية إلى أن وصل ما صل إليه الآن من التطوّر الهائل، كلّ هذا التطوّر هو نتيجة مثابرته في سبيل الحصول على أفضل ما وصل إليه، حتى انتهى إلى هذا التطوّر المذهل، فكلّما توغّلنا في أعماق التاريخ نجد آثاراً تدلّ على قدرة التجربة في تطوّر الإنسان.

وبهذه الطريقة استطاع الإنسان أن يحلّ كثيراً من المشاكل التي اعترضته في حياته، كلّ ذلك من خلال التجربة.

---

(١) **الميزان**، مصدر سابق: ج٢ ص١١٧.

كذلك الحال في الجانب الاجتماعي، فيمكن أن يضع الإنسان لنفسه نظاماً عادلاً متوازناً من خلال تجاربه الاجتماعية، ويصل إلى قانون يضمن إقامة العدل الاجتماعي وإدارة المجتمع البشري.

إذاً أصحاب هذا الاتجاه يقولون إنّ العقل البشري الذي وصل إلى الذروة في التطوّر العلمي، هذا العقل قادر على وضع القانون الذي يكفل إقامة العدل الاجتماعي، من دون الحاجة إلى دين أو هداية سماوية. وهذا لا يعني بالضرورة أنّ أصحاب هذا الاتجاه لا يعتقدون بالمبدأ والمعاد، بل قد يعتقدون بذلك، إلاّ أنّهم لا يُدخلون المبدأ والمعاد في حساب القانون.

وقد انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فريقين:

الفريق الأول: تمثّل بالشيوعية التي آمنت بأنّ إقامة العدل الاجتماعي يأتي من خلال إجبار وإكراه الناس على إطاعة القانون، فإطاعة الناس للقانون من خلال القوة والغلبة يكون من الأسس الكفيلة بتحقّق العدل الاجتماعي وإرساء العدالة بين الناس، فديكتاتورية القانون هي السبيل لتحقيق العدالة الاجتماعية.

ومن الواضح أنّ أهمّ ما يفرزه هذا الاتجاه هو إلغاء المعارف الدينية والأخلاقية.

الفريق الآخر: تمثّل بالديمقراطية الغربية التي ذهبت إلى أنّ تطبيق العدل الاجتماعي والقضاء على النزاع يأتي من خلال وضع قوانين العدل الاجتماعي مشفوعة بأدوات إعلامية تربوية لتثقيف الناس على تطبيق قوانين العدل الاجتماعي، فتوجد إلى جانب هذه القوانين أخلاق، إلاّ أنّها أخلاق مستنبطة من تلك القوانين لا أنّها حاكمة عليها، بمعنى أنّها أخلاق نسبية غير ثابتة، تتغيّر تبعاً لتغيّر تلك القوانين.

فنظرتهم للمباني الأخلاقية أنّها متغيرة تبعاً للزمان والمكان، كما تتغيّر القوانين تبعاً للزمان والمكان أيضاً.

وعلى أساس هذه الخلفية، نجد أنّهم يصرّحون بأنّ الأخلاق أمور نسبية وليست لها حقائق ثابتة مطلقاً، وإنّما هي متغيّرة تبعاً لتغيّر الظروف، فقد تكون الرحمة والشفقة على المساكين في ظرفٍ أمراً أخلاقياً، ولكنّها في ظرف آخر تكون شرّاً، كما إذا توقّف بناء بلادنا بالقضاء على أولئك الضعفاء والمساكين!! فالنظرية الغربية الرأسمالية عزلت العدل الاجتماعي عن الإيمان بالمبدأ والمعاد والمعارف الإلهية، وإنّما شفعت قوانينها بتطويع الإنسان على القيام بتطبيق تلك القوانين، والركيزة الأساسية لإطاعة الإنسان لقوانين العدل الإلهي هي التربية والتثقيف على ضرورة إطاعة وتطبيق تلك القوانين.

ويكفي للباحث الناقد لهذين الفريقين ـ الشيوعي والغربي ـ أن يثبت فشل نظريّتيهما من خلال عجزهما من القضاء على النزاع والاختلاف والفساد وسفك الدماء والانحراف عن الخطّ المستقيم، وما وصل إليه الإنسان من السقوط في قاع الرذيلة.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الإلهي

وهو الاتجاه الذي آمن بعدم إمكانية تطبيق العدل الاجتماعي والقضاء على الاختلاف والنزاع إلاّ من خلال القوانين الإلهية. ولإثبات ذلك ينبغي التكلّم في مقامين.

المقام الأول: عدم قدرة الإنسان على اكتشاف قوانين العدل الاجتماعي.

المقام الثاني: لو افترضنا جدلاً إمكانية اكتشاف الإنسان لقوانين العدل الاجتماعي، لكن لا دافع لدى الإنسان لتطبيق تلك القوانين.

المقام الأول: عجز الإنسان من اكتشاف قوانين العدل الإلهي

اتّضح فيما تقدّم عدم إمكانية الإنسان من اكتشاف قوانين العدل الاجتماعي، نعم قد يستطيع بتجربته الإنسانية أن يكتشف بعض القوانين الاجتماعية في دار الدنيا كقانون الضمان الاجتماعي والحرية والديمقراطية والمساواة، إلاّ أنّ هذه القوانين ليست هي الهدف الأصيل للإنسان، بل الهدف الأساسي للإنسان هو القرار في دار الآخرة والقرب الإلهي، وهو أمر يعجز الإنسان عن اكتشاف تلك القوانين الاجتماعية التي تكون نتائجها إيجابية في النشأة الآخرة لجهله بنتائج وقوانين تلك النشأة وبالروابط التكوينية بين الأعمال في دار الدنيا والجزاء في دار الآخرة كما تقدّم.

فهذه القوانين هي غيب من الغيوب وليس للعقل البشري مجال للحديث عنها ليحكم فيها أو يتنبّأ عنها، لأنّه ليس من ميادينه ولا القول فيها من اختصاصه.

إذاً العقل البشري عاجز عن اكتشاف القوانين الاجتماعية التي تضع الدنيا بما يوافق الكمال الأخروي والقرب الإلهي، إلاّ من خلال الدين.

هذا مضافاً إلى عدم استطاعة العقل البشري من تمييز الروابط الوجودية بين العمل في دار الدنيا والجزاء الأخروي، كما تقدّم سابقاً.

المقام الثاني: عدم وجود الدافع لتطبيق قوانين العدل الإلهي

بمعنى أنّنا لو افترضنا جدلاً أنّ العقل قادر على اكتشاف القوانين الاجتماعية التي تؤمّن الكمال والقرب الإلهي، إلاّ إنه لا يوجد لدى الإنسان الدافع لتطبيق تلك القوانين، بل الدافع على العكس.

وبيان ذلك يقع ضمن النقاط التالية:

أوّلاً: مادام الإنسان مفطوراً على حبّ الكمال ـ كما تقدّم ـ فأول ما يفكّر فيه هو أن يسعى وراء كماله وأهدافه الشخصية الفردية الخاصّة. وهذا الدافع يفضي بدوره إلى الاستخدام والانتفاع من الآخرين لتأمين حاجاته وخدمة أهدافه الخاصّة.

ثانياً: إنّ الإنسان مضطرّ أن يعيش حياة اجتماعية، فلا يمكنه أن يعيش وحده منعزلاً عن الآخرين، فهو مدفوع بطبعه أيضاً للاشتراك في ممارسة الحياة الاجتماعية مع الآخرين وكما يقال: إنّ الإنسان مدنيّ بالطبع.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الإنسان يجد نفسه مندفعاً نحو استخدام الآخرين لخدمته، وهذه النزعة ذاتها موجودة أيضاً عند كلّ أفراد البشر، مما يفضي إلى وقوع الاختلاف والنزاع.

إذاً الدافع الأساسي عند الإنسان هو طلب النفع لنفسه لا المصلحة الاجتماعية، وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان لا يوجد عنده أي دافع لتطبيق القوانين الاجتماعية ـ ولو فرضنا جدلاً إمكانية إيجاد العقل البشري للقوانين الاجتماعية ـ لأنّ فطرة الاستخدام التي جرى عليها الطبع الإنساني، وحبّه لكمال نفسه، يدفع الإنسان لمنفعته الخاصّة وليس لأجل مصلحة المجتمع.

وسرّ ذلك يكمن في ذات الفطرة والطبيعة الإنسانية نفسها، التي تدفع بالإنسان نحو الاختلاف والتنازع، فكيف يمكن لهذه الطبيعة أن تصلح ما أفسدته.

وعلى هذا الأساس فلابدّ أن تكون القوانين الإصلاحية للمجتمع نابعة من غيره، وإلاّ لو كان واضع القانون هو الإنسان، فحكم طبيعته وفطرته الإنسانية أن يأخذ بنظر الاعتبار مصالحه الشخصية أو العائلية، وإذا توسّع فأقصى ما يصل إليه هو أخذ مصالح القربى أو البلد أو الحزب أو القومية،

وهو غاية ما يصل إليه الفكر البشري، بل حتى أولئك الذين يدّعون حماية حقوق الإنسان ونحوها، نجد أنّهم يستفيدون من هذه الشعارات لخدمة مجتمعاتهم وقومياتهم أو الأحزاب التي ينتمون إليها، وبمجرّد تحقّق مصالحهم فإنّهم يتخلّون عن تلك الشعارات التي رفعوها.

إذاً لابدّ أن تكون الجهة الواضعة لقوانين العدل الإلهي نابعة من جهة فوق الفطرة الإنسانية، وتلك الجهة هي الجهة الإلهية التي اقتضت حكمتها إرسال الأنبياء لإرشاد الناس إلى كمالهم الذي خُلقوا لأجله، وإقامة العدالة الاجتماعية في الدنيا؛ وهذه الحقيقة يقرّرها القران الكريم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] حيث تشير الآية المباركة إلى أنّ اهتمام الأنبياء لم يقتصر على الآخرة وحدها، بل نجد أنّ الحياة الدنيا من أهداف الأنبياء أيضاً.

إذاً العدالة الاجتماعية من ضرورات الحياة البشرية التي أكّدها القرآن الكريم، وإلى هذا المعنى يشير الطباطبائي بقوله: «إنّ نوع الإنسان مستخدم بالطبع، وهذا الاستخدام الفطري يؤدّيه إلى الاجتماع المدني وإلى الاختلاف والفساد في جميع شؤون حياته الذي يقضي التكوين والإيجاد برفعه ولا يرتفع إلاّ بقوانين تصلح الحياة الاجتماعية برفع الاختلاف عنها، وهداية الإنسان إلى كماله وسعادته بأحد أمرين: إمّا بفطرته وإمّا بأمر وراءه، لكنّ الفطرة غير كافية فإنّها هي المؤدّية إلى الاختلاف فكيف ترفعها؟ فوجب أن يكون بهداية من غير طريق الفطرة والطبيعة، وهو التفهيم الإلهي غير الطبيعي المسمّى بالنبوّة والوحي»[2].

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٣١ - ١٣٢.

وقد أكّد السيد الشهيد هذا المعنى قائلاً: «النبوّة بوصفها ظاهرة ربّانية في حياة الإنسان هي القانون الذي وضع صيغة الحلّ هذه، بتحويل مصالح الجماعة وكلّ المصالح الكبرى التي تتجاوز الخطّ القصير لحياة الإنسان إلى مصالح للفرد على خطّه الطويل؛ وذلك عن طريق إشعاره بالامتداد بعد الموت، والانتقال إلى ساحة العدل والجزاء التي يُحشر الناس فيها ليُروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره»(١)، إلاّ أنّه من البديهي أنّ العدالة لا تقوم على أساس الجبر، بل تتحقّق على قدر التفاف الناس حول الأنبياء وإيمانهم بهم.

ومن هنا نجد التعبير القرآني عن قيام الأنبياء بالبعث، فكأنّ الإنسان نائم ولابدّ للوحي أن يوقظه؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٢) بمعنى أنّ هذه الحياة التي تعيشونها حياة حيوانية أمّا الحياة الإنسانية فلا تأتي إلاّ من خلال الدين.

فالنبوّة حالة إلهية تأخذ بيد الإنسان إلى الحياة الإنسانية وكماله الذي خُلق لأجله.

انسجام قوانين الدين مع الفطرة

انتهينا إلى أنّ القوانين الاجتماعية يجب أن تكون نابعة من جهة غير جهة الفطرة، وهي الجهة الإلهية.

فعلى هذا الأساس يكون من المنطقي أن نتساءل عن القانون الإلهي، فهل يجب بالضرورة أن يكون منسجماً ومتلائماً مع الفطرة؟

(١) **الفتاوى الواضحة**، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (استشهد ١٤٠٠ هـ)، مطبعة الآداب في النجف الأشرف: ص٧١.

(٢) الأنفال: ٢٤.

في الجواب على ذلك نقول: إنّ قوانين الدين لا يمكن فرضها على الفطرة الإنسانية فرضاً وإنّما لابدّ أن تكون منسجمة مع فطرة الإنسان، فلو جاء القانون على خلاف فطرة الإنسان، فلا يمكن لهذا القانون أن يصلح الفطرة؛ ولذا عبّر القرآن الكريم بأنّ الدين فطريّ، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

فالدين إنّما جاء لحلّ الخلاف والنزاع الذي دفعت إليه الفطرة، فلابدّ أن يكون الحلّ بأمر فطريّ أيضاً.

بعبارة أخرى: إنّ قوانين الدين التي يتوصّل الإنسان من خلالها إلى الغاية والهدف الذي خُلق من أجله؛ هذه القوانين التي تأخذ بيد الإنسان إلى مقصده الواقعي لابدّ أن تكون منسجمة ومتلائمة مع الفطرة وإلاّ فلا تستجيب الفطرة لها.

وقد تقدّم أنّ الفطرة التي فُطر الإنسان عليها، هي فطرة التوحيد، فلابدّ أن تكون كلّ أحكام الدين تدور حول التوحيد. وهو الأصل في كلّ المعارف، فيجب أن يكون التوحيد مرجعاً في كلّ شيء ومنطلقاً لجميع النظم والرؤى، بحيث يلقي بظلاله على كلّ مرافق الحياة من تشريعات وآداب. ويمثّل التوحيد موقع الينبوع الذي تنتهل منه الأحكام والتشريعات، فالتوحيد صبغة الحياة ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾(٢) وهو أمّ المسائل ومحور جميع الحقائق الدينية والأصول الأخلاقية في الإسلام.

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٣٨.

ازدياد الحاجة إلى الدين بتعقّد الحياة الاجتماعية

بعد أن انتهينا من بيان الدليل الثاني لإثبات حاجة الإنسان إلى الدين نقول: إنّه كلّما تعقّدت الحياة الاجتماعية زادت حاجة الإنسان إلى الدين. ولأجل تسليط الضوء على هذه الحقيقة لابدّ من بيان أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ الإنسان كلّما تطوّر علمياً وتكنولوجياً ازداد تسخيره للإمكانات المادّية في حياته، وهذه مسألة طبيعية ومنطقية وأمر وجدانيّ يلحظه الجميع، فإنّ الإنسان كلّما تطوّر في العلوم المادّية يزداد تسخيره للإمكانات الموجودة في الطبيعة.

الأمر الثاني: كلّما ازداد الإنسان تسخيراً للإمكانات المادّية زادت حاجاته، ومن ثمّ زاد استخدامه للآخرين، وبذلك تتولّد تعقيدات جديدة في العلاقات الاجتماعية؛ لأنّ الإنسان عندما يزداد تسخيره للإمكانات المادّية لأجل حصوله على الرفاه، تكون حاجته لتسخير الآخرين أكثر، كما نلمس ذلك عندما نقارن بين الناس الذين يعيشون في المدن والناس الذين يعيشون في القرى، حيث نجد أنّ أهل القرى تكون حاجاتهم إلى الطبيعة أقلّ بكثير من احتياجات الإنسان الذي يعيش في المدينة، وهذا الاحتياج يؤدّي إلى استخدام الآخرين، وبذلك تنشأ التعقيدات في العلاقات الاجتماعية: فمثلاً: واحدة من أهمّ القوانين التي توجد في بلدان العالم هي قوانين المرور، ويعدّ تنظيم المرور من أهمّ معالم مدنيّة وتطوّر البلدان، فقوانين المرور والحاجة لها جاءت بعد اختراع وسائل النقل، وإلاّ لما احتيج لهذه القوانين التي تستنفد الكثير من إمكانات البلدان. فالحاجة لقوانين المرور نشأت من اختراع السيارة.

وهكذا مسألة تقسيم المياه بين البلدان، إذ تعدّ من المسائل التي يحتدم

النزاع فيها في الأجيال القادمة. فقبل وجود هذه الحاجة لم يكن أيّ نزاع واختلاف، إذاً كلّما ازدادت حاجة الناس إلى هذه المسائل تعقّدت المسائل الاجتماعية، وكلّما تعقّدت المسائل الاجتماعية احتاجت إلى قوانين أكثر وأدقّ لتنظيم الحياة الاجتماعية، لرفع التنازع والاختلاف بين أبناء البشر.

فهنالك تناسب طرديّ بين تعقّد الحياة الاجتماعية وبين الحاجة إلى الدين وإلى قانون لرفع النزاع الموجود في الحياة الاجتماعية(١).

فالدليل الثاني يبيّن لنا أنّ هنالك علاقة طرديّة بين تعقيد الحياة الاجتماعية وبين الحاجة إلى الدين، وكلّما كانت العلاقات الاجتماعية أوسع وأعقد وأدقّ كانت الحاجة إلى الدين أكثر.

وعندئذ يتبيّن وجود قانون آخر وهو: كلّما كان الإنسان أكثر بدائية وأقلّ رشداً نضجاً وأقلّ تسخيراً للإمكانات الطبيعية، كان الدين الذي يحتاج إليه من حيث الشمول والعمق والجامعية أقلّ، لكن لما تعقّدت الحياة كان الاحتياج إلى دين أكثر عمقاً وأكثر شمولاً وأكثر جامعية حتى يستطيع أن يجيب على كلّ متطلّبات الحياة.

وعلى هذا الأساس تكون شريعة خاتم الأنبياء أكمل وأشمل وأعقد بالنسبة للشرائع والرسالات السماوية السابقة، كما سيأتي تفصيله.

---

(١) في هذا الضوء يمكننا أن نفسّر الروايات التي تشير إلى أنه كلّما مرّ الزمان ازدادت حاجة الناس إلى الإمام؛ لأنّ الإنسان في تطوّر مستمرّ، وكلّما تطوّر أكثر تعقّدت حياته الاجتماعية أكثر، وكلّما تعقدت الحياة الاجتماعية كان الاحتياج إلى الدين أكثر؛ ولذا نجد الجميع ينتظر المنجي والمنقذ والمصلح؛ لأنّ الحياة والتجارب أثبتت عدم قدرة البشر على إنقاذ أنفسهم من هذه التعقيدات والنزاعات، فالجميع ينتظر المنجي ليملأها عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

أهداف النبوّة

تتمحور أهداف الأنبياء في القرآن الكريم حول هدفين أساسيين

الهدف الأول: دعوة الناس إلى التوحيد

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2] ونحوها من التعبيرات القرآنية الصريحة في أنّ الهدف من بعثة الأنبياء ومن وجود الأديان في حياة البشر هو دعوة الناس إلى الله تعالى، وهو أمر واضح لا ريب فيه.

الهدف الثاني: إقامة العدالة الاجتماعية

وهذا الهدف يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[3]. فالهدف من بعثه الأنبياء هو إقرار العدالة بين الناس.

وعلى هذا الأساس ينبثق السؤال التالي وهو: أيّ هذين الهدفين أصيل؟ وهل يمكن أن يكون كلا الهدفين أصيلاً؟ في المقام نظريات أربع:

النظرية الأولى: الهدف الاصيل إقرار العدالة الاجتماعية

يستدلّ أصحاب هذه النظرية ـ مضافاً إلى الآيات المتقدّمة كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

---

(١) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) الحديد: ٢٥.

بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾(١) ـ من خلال بيان أنّ العدالة الاجتماعية لا يمكن أن تقوم إلاّ بقانون عادل، وهذا القانون العادل لا يمكن للبشر وضعه لسببين:

الأول: عجز الإنسان من تشخيص المصلحة الاجتماعية، مضافاً إلى عجزه عن التخلّص من أهدافه وميوله الشخصية.

الثاني: عدم وجود ضمان لتطبيق قانون العدل الإلهي، لأنّ الطبيعة والفطرة الإنسانية تدفعه لتقديم مصالحه الشخصية على المصلحة الاجتماعية ـ كما تقدّم ـ وعلى هذا الأساس يجب أن يكون الإنسان خاضعاً للقانون، وهذا القانون لابدّ أن يكون من الله تعالى، بحيث يشعر الإنسان من أعماق وجدانه بالخوف من عصيانه؛ فلكي تتمّ العدالة، فلابدّ من قانون عادل مشرَّع من الله تعالى، وأن يكون له ثواب وعقاب، ولكي يؤمن الناس بالثواب والعقاب يجب أن يعرفوا الله تعالى.

إذاً معرفة الله تعالى صارت مقدّمة لتطبيق قانون العدالة، وقد قرّرت العبادات هذا الغرض، وذلك لكي لا ينسى الناس القانون والضمان ودوام ارتباط الناس بالله تعالى، وتذكيرهم بأنّ لهم ربّاً يراقبهم وهو الله تعالى مشرع القانون العادل لهم.

وفي هذا الضوء يكون الهدف الأصلي من بعثة الأنبياء هو إقرار العدالة بين الناس، وتكون الدعوة إلى الله تعالى مقدّمة لإقامة العدالة الاجتماعية، فالغرض من دعوة الأنبياء إلى الله تعالى هو التعرّف على مقنّن القانون، والارتباط به والإحساس بمراقبته لهم.

---

(١) الحديد: ٢٥.

تقييم النظرية

بالتأمّل في هذه النظرية نجد أنّ هذا النمط من الاعتقاد يتلاءم مع المباني المادّية التي تنكر المعاد وترى أنّ الهدف هو السعادة الدنيوية، وليس السعادة الدنيوية المتوافقة مع الكمال والسعادة الأخروية. فمردّ هذه النظرية إلى إنكار المعاد وبالتالي يرجع إلى إنكار المبدأ. وقد حذّر القرآن الكريم من الانزلاق وراء مثل هذه الاعتقادات حيث قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾(١). وقد عرفنا في مباحث سبقت أنّ هدف الإنسان الأصيل هو القرب الإلهي، وهو كمال الإنسان الحقيقي.

النظرية الثانية: كلا الهدفين أصيل

هذه النظرية تقول: لماذا نفترض أن لبعثة الأنبياء هدفاً واحداً أصيلاً، ونعتبر الهدف الآخر مقدّمة للهدف الآخر، فبالإمكان القول بأنّ كلا الهدفين أصيل، فالأنبياء بُعثوا لهدفين مستقلّين عن بعضهما.

الأول: إقرار العدالة الاجتماعية بين الناس.

الثاني: إيصال الناس إلى القرب الإلهي.

فلم يكن أيّ من هذين الهدفين مقدّمة للآخر، بل كلّ منهما أصيل، لاسيّما إذا رجعنا إلى القرآن الكريم حيث نجده يؤكّد كلا الهدفين، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ

---

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) هود: ٢.

عَزِيزٌ ﴾[١].

تقييم النظرية

السؤال الأساسي الذي يُطرح إزاء هذه النظرية هو: ما ستكون نيّة الإنسان حينما يؤدّي أعماله العبادية؛ العدل الاجتماعي، أم للقرب الإلهي؟

إذ وفق ما تطرحه هذه النظرية من كون كلا الهدفين أصيلاً، لابدّ أن يكون عمل العامل لأجل هذين الهدفين، وهو أمر واضح البطلان، لأنّه منافٍ للتوحيد، وخلاف ما ورد من حثّ الشريعة علي كون نيّة العمل العباديّ لله وحده.

إذاً هذه النظرية غير صحيحة أيضاً.

النظرية الثالثة: الهدف الأصيل هو القرب الإلهي

تقدّم معنى القرب الإلهي وأنّه قائم على أساس ملاكات واقعية وأسس وجودية لا اعتبارية.

فالهدف من بعثة الأنبياء هو القرب الإلهي وهو الهدف الحقيقي والأصيل، أمّا مسألة العدالة الاجتماعية فهي وسيلة لتحقيق القرب الإلهي، وعلى هذا الأساس تكون كلّ الأحكام الواردة في الدين ـ سواء على مستوى الملكات أو على مستوى الأخلاق والأعمال والعبادات وباقي التشريعات والمناهج ـ تأخذ دور الوسيلة للوصول إلى الهدف الإلهي كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[٢].

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الحجر: ٩٩.

فالعدالة الاجتماعية تعدّ وسيلة لتحقّق القرب الإلهي، لأنّ البشرية لا تصل إلى هذا الهدف الأصيل إلاّ باستقرار النظام الاجتماعي، ولا يتمّ الاستقرار الاجتماعي إلاّ من خلال العدالة الاجتماعية.

إذاً العدالة الاجتماعية مقدّمة ووسيلة للوصول إلى الهدف النهائي وهو القرب الإلهي.

فإن قيل هل لهذه الوسيلة ـ العدالة الاجتماعية ـ قيمة في ذاتها؟

فالجواب: إنّ قيمتها تكمن في كونها موصلة إلى الهدف، بمعنى أن لا قيمة لهذه الوسيلة في ذاتها، وإنّما قيمتها تنبع من هدفها، فلو لم يكن لها هدف فلا قيمة لها، كما هو الحال في الصعود إلى السطح، فإنك تحتاج إلى السلّم ـ الوسيلة ـ لأجل الصعود على السطح، فإذا وصلت إلى السطح فلا تحتاج لهذه الوسيلة وبإمكانك طرحها جانباً، فلا قيمة ذاتية ونفسية لها.

كذلك الحال في العبادات، فإنّك تحتاج إليها لأجل أن تكون إنساناً كاملاً مقرّباً إلى الله تعالى، فإذا وصلت إلى هدفك فلا قيمة لهذه الوسيلة في نفسها، فالعدالة الاجتماعية ما هي إلاّ وسيلة ولا قيمة لها إلاّ بمقدار إيصالها إلى الهدف الحقيقي وهو القرب الإلهي.

أمّا تقييم هذه النظرية فسيتّضح عند استعراض النظرية الرابعة.

النظرية الرابعة: الهدف القرب الإلهي مع وجود قيمة ذاتية للعدالة

تختلف هذه النظرية عن النمط الذي سلكته النظرية الثالثة، القائلة بأنّ الهدف الأصيل هو القرب الإلهي، وأنّ العدالة الاجتماعية وسيلة لهذا الهدف ولا قيمة ذاتية لها.

فالنظرية الرابعة هي إصلاح للنظرية الثالثة، حيث تقول النظرية

الرابعة: إنّ الهدف الأصيل من بعثة الأنبياء هو القرب الإلهي أمّا العدالة الاجتماعية فهي وسيلة لهذا الهدف لكن لها قيمة ذاتية في نفسها.

ويمكن تقريب هذه النظرية بهذا المثال وهو أنّ الصفّ الخامس مقدّمة ووسيلة للوصول إلى الصفّ السادس، فعند الوصول إلى الصفّ السادس أيمكن القول إني لا أحتاج للمعلومات التي درستها في الصفّ الخامس لأنّها وسيلة محضة لا قيمة لها في نفسها، أم لابدّ من وجود معلومات الصفّ الخامس وأن لهذه المعلومات قيمة ذاتية في نفسها؟

من الواضح أنّه لا يمكن الاستغناء عن معلومات الصفّ الخامس، لأنّ الصفّ السادس مبنيّ عليها؛ وعلى هذا الأساس يكون الصفّ الخامس بما فيه من معلومات وسيلة لها قيمة في نفسها، وليس دورها دور السلّم الذي يمكن الاستغناء عنه عند الوصول إلى السطح.

فالعدالة الاجتماعية وسيلة للقرب الإلهي، لكن في الوقت ذاته يكون لهذه الوسيلة قيمة ذاتية في نفسها.

ولهذا نجد آيات القرآن الكريم من جهةٍ تجعل الهدف هو القرب الإلهي: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[1] ومن جهة أخرى تقول: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] فالتقوى وسيلة للقرب الإلهي، إلاّ أنّها وسيلة لها قيمة ذاتية في نفسها، وهي مرتبة ودرجة معيّنة من الهدف النهائي.

فلو فرضنا أنّ الهدف هو الوصول إلى الدرجة مئة، فهذه الوسيلة تعدّ إحدى الدرجات الصاعدة نحو الهدف، فقد تكون درجتها سبعين أو ثمانين مثلاً؛ ولهذا يعبَّر عنها بأنّها وسيلة أضعف مرتبة من الهدف.

---

(١) هود: ٢.

(٢) البقرة: ١٩٧.

فالتقوى جزء من الهدف النهائي، فإذا وصل إلى الهدف الأساسي لا يعني أنّه يستغني عمّا دونه من درجات.

وبعبارة أخرى: إنّ الوسيلة على قسمين:

أحدهما: وسيلة لا قيمة ذاتية لها في نفسها، وإنما غاية ما يراد منها هو الإيصال إلى الهدف فقط.

والقسم الآخر: وسيلة لها قيمة ذاتية في نفسها، مضافاً إلى وساطتها في الإيصال إلى الهدف.

إذاً حاصل هذه النظرية: إنّ الهدف الأصيل للأنبياء هو القرب الإلهي، أمّا العدالة الاجتماعية فوسيلة لذلك الهدف، مع الحفاظ على قيمتها الذاتية.

من هنا يتّضح أنّ الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله حينما بلغ الدرجات العالية من الكمال ووصل إلى قاب قوسين أو أدنى، لا يعني أنّه لا يحتاج عندئذٍ إلى الصلاة والعبادة والشكر، فهذه العبادات في الوقت الذي هي وسيلة، فإنّ لها قيمة ذاتية في نفسها، فإذا فُقدت سقط الإنسان عن العبودية، لهذا نجد القرآن الكريم تارة يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ومن جهة أخرى يقول: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2].

والجمع بينهما هو أنّ الآية الأولى ذكرت العبادة لكونها وسيلة إلى حصول اليقين والقرب الإلهي، لكن هذه العبادة مطلوبة أيضاً ولها قيمة ذاتية في نفسها، إذا فقدها الإنسان ابتعد عن الله تعالى، مهما كانت عبوديته وقربه من الله تعالى، وهذا بخلاف النظرية الثالثة القائلة بأنّ الوسيلة لا قيمة لها، ومن ثمّ فلا تكون للعبادات قيمة ذاتية في نفسها، وإذا وصل

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الحجر: ٩٩.

الإنسان إلى القرب الإلهي يمكن له أن يستغني عنها.

إذاً النظرية الرابعة هي النظرية الصحيحة.

القرب والعبودية لله تعالى يساوقان معنى الحرية

اتّضح فيما تقدّم أنّ الصواب في تشخيص الهدف الأصيل من بعثة الأنبياء كان حليف النظرية الرابعة، وهي أنّ الهدف الأصيل للأنبياء هو القرب الإلهي، أمّا دور الأنبياء في إقامة العدل الاجتماعي فما هو إلاّ وسيلة لتحقّق الهدف الأساسي وهو القرب الإلهي، والدعوة إلى عبودية الله تعالى ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1]، لكن هذه العبودية لله تعالى في عين أنّها عبودية لكنها تتضمّن في أحشائها حرية الإنسان، ولبيان ذلك ينبغي أن نعرف حقيقة العبودية: فنقول:

أقسام العبودية

الأول: العبودية التي ترجع فائدتها إلى المعبود

وهذه العبودية لا تستبطن أي حرّية، لأنّ منفعة العمل فيها تعود إلى الغير وليس إلى العابد نفسه.

الثاني: العبودية التي ترجع فائدتها إلى العابد

أي إلى الإنسان نفسه، لا إلى الله تعالى؛ لأنّ الله غير محتاج لعبادة أحد لأنّه غنيّ عن العالمين.

والعبودية لله تعالى ترجع ثمرتها إلى الإنسان نفسه؛ لأنّها في الواقع تحرر

---

(١) هود: ٢.

الإنسان من عبودية الشهوات التي تعتلج في نفسه، فيكون قادراً ومسيطراً على شهواته وتحكيم منطقه العقلي فيها، أمّا لو كان الإنسان أسيراً لشهواته ونزواته فسوف يخسر حرّيته، فلا يستطيع أن يتكامل أو يغيّر من الواقع شيئاً، ما دام عقله وكلّ معانيه الإنسانية التي تميّزه عن مملكة الحيوان معتقلة من قبل شهواته.

فإذا صار الإنسان في طريق عبودية الله تعالى، فسوف يتحرّر من عبودية شهواته ويمتلك إرادته ويكون إنساناً حرّاً قادراً على أن يقول لا أو نعم دون أن تؤثّر فيه هذه الشهوة الموقوتة أو تلك اللذة المبتذلة، إذ العبودية لله تعالى هي في الحقيقة تحرير للنفوس الإنسانية وضمان لكرامتها

فالعبودية لله تعالى هي سند الإنسانية في تحريرها من كلّ العبوديات، والأغلال التي تأسره كأغلال النفس والمحيط والمال والوجاهات وغير ذلك من القوى التي تتحكّم بالعقول؛ لتحريفها عن المسار السليم؛ لذا قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

إقامة العدل الاجتماعي أمثل وسيلة لعبودية الله تعالى

العدل الاجتماعي هو الطريق الأمثل والصراط المستقيم الذي يؤهلّ الإنسان إلى القرب الإلهي والعبودية لله تعالى، وهو مقتضى الدليل الثاني المتقدّم الذي أثبت ضرورة الدين والأنبياء لحلّ النزاع والاختلاف في المجتمع بعدما كانت الحياة الاجتماعية ضرورة تقتضيها وتدعو إليها الفطرة الإنسانية. فلحلّ هذا النزاع والاختلاف الناشئ من سعي الإنسان

(١) الأعراف: ١٥٧.

لتوظيف كلّ شيء لخدمته نتيجة نزعة الاستخدام الفطرية، ينبغي إقامة العدالة الاجتماعية.

فلكي يسير الإنسان في صراط العبودية لله تعالى لابدّ من إحلال العدالة الاجتماعية بين الناس؛ لعدم قدرة الإنسان من التكامل إلاّ من خلال المجتمع العادل. والسرّ في ذلك هو أنّ انتشار الظلم في المجتمع يساهم في انتشار الكثير من الظواهر والآثار السيّئة على المجتمع وعلى رأسها انقسام الناس إلى غنيّ وفقير، طبقة مترفة غنّية مستغلّة مستبدّة، وطبقة فقيرة مستضعَفة، الأمر الذي يؤدّي بالفقراء من الناس إلى فقدان التماسك والثبات وتنامي النزعة العدوانية، وضعف اليقين ونقصان العقل ونحوها من الآثار التي تؤثّر سلباً ـ عادة ـ على عبودية الإنسان لله تعالى وقربه منه؛ لذا يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال: بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقّة في دينه، وقلّة الحياء في وجهه**»[١]. وهذه السمات الأربع تشكّل أعراضاً مرضية بالغة الخطورة على صعيد العلاقة بين العبد وربّه[٢]؛ ومن هنا يتّضح معنى: «**كاد الفقر أن يكون كفراً**»، فصيغة الحديث تكشف عن إمكانية أن يكون الفقر سبباً للانحراف عن جادّة الحقّ.

فعلى هذا الأساس يكون العدل الاجتماعي الوسيلة والطريق الأمثل للسير في مدارج العبودية لله تعالى.

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٦٩، ص٤٨

(٢) من الواضح أن تأثير الفقر سلبياً على إيمان الإنسان إنّما يكون في الأعم الأغلب وإلاّ فقد نجد بعض المؤمنين يمثّل الفقر بالنسبة له حالة إيجابية في تقوية الإيمان، وعاملاً أساسياً في تجلية وصقل وتهذيب النفس الإنسانية؛ لذا ورد في الحديث «**كلما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشة**».

بناء على هذا يتّضح أن لا تعارض بين الآيات التي تقول إنّ الهدف من بعثة الأنبياء هو القرب الإلهي، كقوله تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وبين الآيات التي تقول إنّ الهدف من بعثة الأنبياء هو إقامة العدالة في المجتمع، كقوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[١]؛ لأنّ الآيتين تشيران إلى مسألة في غاية الأهمّية، وهي أنّ قيام الناس بالقسط وإقامة العدالة الاجتماعية هو الطريق الأمثل لتحقّق القرب الإلهي والعبودية له تعالى، ونظير ذلك نجده في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]؛ وما ذلك إلاّ لأنّ العبادة تمثّل الطريق الوحيد للوصول إلى درجة اليقين.

إذاً النظرية القرآنية حينما تؤكّد ضرورة إقامة العدل الاجتماعي؛ إنّما تفعل ذلك باعتباره الطريق السليم لإيصال الإنسان إلى الهدف المنشود.

ومن ثمّ يكون الإنسان مندفعاً لإقامة العدل الاجتماعي؛ لأنّه يرى أنّ العدل الاجتماعي يمثّل الوسيلة والسبيل للوصول إلى هدفه الذي خُلق لأجله، وإن كان طبع الإنسان وموقفه الأولي هو عدم الميل للعدل الاجتماعي كما تقدّم.

فربط الإنسان بالسماء وبهدفه الأصلي هو الدافع والمحرّك للإنسان لتطبيق قواعد العدل الإلهي.

وهذه هي القواعد الأخلاقية التي أسّسها الإسلام لتربية الإنسان ودفعه صوب تطبيق قواعد العدل الإلهي.

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الحجر: ٩٩.

(٣) الذاريات: ٥٦.

إذاً من دون إقامة العدالة الاجتماعية في المجتمع، لا يمكن للبشرية أن تصل إلى هدفها وغايتها التي خلقت لأجلها.

الفرق بين النظريتين القرآنية والمادّية في إقامة العدل الاجتماعي

بناء على ما سلف وتأسيساً عليه يتّضح الفرق بين النظرية القرآنية والنظرية المادّية في إقامة العدالة الاجتماعية، وحاصل هذا الفرق هو أنّ النظرية المادّية ـ سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية ـ تعتبر العدل الاجتماعي هو الغاية من وجود الإنسان ولا غاية وراءها.

أمّا النظرية القرآنية فتقول إنّ العدل الاجتماعي وإن كان له قيمة ذاتية في نفسه وهدفاً من أهداف الأنبياء، إلاّ أنّه ليس هو الهدف النهائي والأساسي من وجود الإنسان، وإنّما هو مطلوب وغاية باعتباره أمثل الطرق لإيصال الإنسان إلى الهدف الذي خُلق لأجله وهو القرب الإلهي.

النتائج المتحصّلة

مما تقدّم من استعراض الأدلّة على ضرورة بعثة الأنبياء، يكون من المنطقي أن نلخص النتائج التي تعتبر ثمرة الأدلّة المتقدّمة.

النتيجة الأولى: تقديم المصلحة الاجتماعية في حالة التعارض

من النتائج المهمّة هو تقديم المصلحة الاجتماعية عند تعارضها مع المصلحة الفردية، وهذا ما نلمسه واضحاً في جملة من الأحكام والتشريعات الإسلامية كحرمة الاحتكار مثلاً، فإنّ النظرة الفردية تنظر إلى حرمة الاحتكار بأنّه منافٍ لمصلحة الفرد؛ لأنّ للفرد الحقّ في التصرّف في أمواله كيف يشاء؛ حيث إنّ الناس مسلّطون على أموالهم ولهم الحريّة في التصرّف

في أموالهم، نعم يجب أداء الحقوق من الزكاة والخمس، أمّا مصلحة المجتمع فهي غير داخلة تحت مسؤولية الأفراد بما هم أفراد، ومن حقّ الإنسان أن يقول أنا لست مسؤولاً عن المجتمع، كذلك الحال في إحياء الأرض الموات «**من أحيى أرضاً مواتاً فهي له**».[1] فإذا أحيى الأرض وكان فيها ثروة كبيرة يتضرّر المجتمع بفقدها، فالنظرة الفردية تقول إنّ الفرد غير مسؤول عن تضرّر المجتمع. كذلك الأمر في التشريعات الأخرى التي تتزاحم فيها النظرة الفردية مع المصالح الاجتماعية، فحبّ الإنسان لنفسه يضغط عليه بالاتجاه الذي يقدّم فيه مصلحته الشخصية على مصلحة المجتمع، فإذا كنا نبني على أنّ العدل الاجتماعي ليس هدفاً من أهداف النظرية القرآنية، فيكون التقدّم حليف المصلحة الفردية على المصلحة الاجتماعية، بخلاف ما لو كان العدل الاجتماعي هو الأصل في النظرية القرآنية وأنّ المصلحة الفردية لابدّ أن تكون بنحو منسجم مع المصلحة الاجتماعية، فلا حقّ للفرد في تقديم مصلحته الشخصية في حال تعارضها مع المصلحة الاجتماعية.

إذاً النتيجة الأولى في ضوء النظرية القرآنية هي حلّ التزاحم بين المصالح الفردية والاجتماعية، وهو تقديم المصلحة الاجتماعية وجعلها المحور في التشريعات دون المصلحة الفردية.

النتيجة الثانية: ضرورة الحكومة لإقامة العدالة الاجتماعية

في ضوء ما تقدّم من أنّ الهدف الأساس لبعثة الأنبياء هو إيصال الناس إلى كمالهم الذي خلقوا لأجله وهو القرب الإلهي، وأنّ العدالة الاجتماعية

---

(١) **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، الفقيه المحدّث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ: أبواب إحياء الموات، الباب ١١ ح ١٠.

هي السبيل الأمثل للوصول للقرب الإلهي، قد يتبادر إلى الذهن تساؤل، مفاده: هل يمكن إقامة العدالة الاجتماعية في المجتمع من دون وجود حكومة وحاكم، لاسيما مع التعقيدات الكثيرة التي تزخر بها المجتمعات المعاصرة، وأن الإنسان كلّما تطوّر علمياً وتكنولوجياً، تعقّدت حياته وعلاقاته الاجتماعية؟

بعبارة أخرى: هل يمكن أن نتصوّر أنّ الأنبياء ليس وظيفتهم إقامة الحكم وإنّما وظيفتهم تنحصر في بيان الحكم فقط، فيأتي النبي ليقول ـ مثلاً ـ «إنّ الزكاة واجبة» من دون أن يأخذ الزكاة من الناس، ويقول للقاتل: «حكمك كذا» من دون إجراء حكم القصاص عليه؟!!

ولعلّ السؤال بهذه الصيغة يدعو إلى التعجّب، فكيف يمكن إقامة العدل في المجتمع من دون حكومة وحاكم؟

فإنّ مجيء الأنبياء بأحكام وضوابط وتشريعات لأجل إقامة العدل الاجتماعي، يقتضي بالضرورة تنفيذ هذه الأحكام والضوابط أيضاً، إذ إنّ مجرّد قيام الأنبياء ببيان الأحكام للناس لا يعالج داءً ولا يمكن للعدالة الاجتماعية أن تقام هكذا في المجتمع.

ولذا نجد القرآن الكريم من جهةٍ يأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله ببيان حكم الزكاة، ونجده من جهة أخرى يأمره صلّى الله عليه وآله بأخذ الزكاة من الناس ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾[1] فهذا أمر بإجراء وتطبيق هذا الحكم، وهكذا بقيّة الأحكام، وقد استفاضت النصوص القرآنية في بيان هذه الحقيقة وأنّه يجب على الأنبياء ـ مضافاً إلى بيان الأحكام ـ أن ينفّذوا ما جاءوا به من أحكام وتشريعات. ولعلّ من أوضح الآيات القرآنية في المقام قوله

---

(١) التوبة: ١٠٣.

تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١] فالآية صريحة في تعريف الوظيفة الأولى للأنبياء المتمثّلة ببيان الأحكام ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي زوّدناهم بتشريعات شاملة، كما قال في آية أخرى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]. إذاً هذه الوظيفة الأولى؛ وهي بيان الحكم، لكن لماذا؟ تقول الآية: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. وهذا أمر لابدّ له من حكومة قويّة لكي يتمكّن الأنبياء بواسطتها من إقامة العدالة الاجتماعية؛ لذا تقول الآية نفسها: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

فمن نكات هذه الآية المباركة أنّها أشارت إلى صفة من صفات هذه الحكومة، وهي ضرورة أن تكون قويّة.

كذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[٤]. فالحكم هنا هو التنفيذ والإجراء للشريعة الإلهية، والنبي وإن كان مبيّناً للحكم الشرعي، لكنه في الوقت ذاته يتولّى تنفيذ الأحكام ويعمل على تطبيقها؛ قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) الحديد: ٢٥.

(٤) المائدة: ٤٤.

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾(١) إذاً الحكومة شأن من شؤون الأنبياء، وهي من أحكام النبوّة العامّة وغير مختصّة بنبيّ دون نبيّ آخر.

والسرّ في ذلك يكمن في أنّ إقامة العدالة الاجتماعية التي هي من أهمّ أهداف الدين، لا يمكن أن تتحقّق من دون حكومة، فلا نتعقّل ديناً من دون حكومة؛ ولذلك عندما نأتي إلى مسألة إمامة وزعامة أمير المؤمنين عليه السلام يأتي الخطاب الإلهي: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٢)؛ لأنّ الدين بلا إقامة الحكم والعدل الاجتماعي ليس بدين.

فمع عدم وجود الحاكم والمطبّق والمنفّذ والزعيم، فلا يصل الدين إلى هدفه المنشود الذي خُلق الإنسان لأجله.

وهذا هو خطّ الأنبياء عليهم السلام الحافل بالشواهد الواضحة الدالّة على سعيهم عليهم السلام لإقامة العدل والقسط بين الناس بواسطة القوة والحديد الذي فيه بأس شديد؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ * إِنَّا

(١) المائدة: ٤٥ ـ ٤٧.
(٢) المائدة: ٦٧.
(٣) يوسف: ٢١.
(٤) البقرة: ٢٥١.

سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾[٣].

نعم كلّ نبيّ مسؤول عن إقامة العدل الاجتماعي بحسب المسؤولية التي أوكلت إليه، فإذا كانت مسؤولية قوم فلابدّ أن يقيم العدل في أولئك القوم أنفسهم، وإذا أوكلت إليه مسؤولية البشرية كافّة، فلابدّ أن يأتي بتشريعات يقيم العدل من خلالها في المجتمع البشري كافّة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

أمّا مسؤولية الناس تجاه النبي، فإنّهم مكلّفون بالطاعة لذلك النبي؛ لذا قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٧].

---

(١) ص: ١٧ - ٢٠.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الكهف: ٨٣ ـ ٨٤، من الجدير بالذكر أن القرآن لم يصرح بنبوّة ذي القرنين.

(٤) سبأ: ٢٨.

(٥) الحشر: ٧.

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) النساء: ٦٤.

إذاً النتيجة هي أنّ النبي زعيم وقائد وحاكم، يدير شؤون الناس وأنّ هنالك تلازماً بين النبوّة والقيادة والزعامة السياسية لا تتوقف على بيعة أو انتخاب.

الحاكم في النظرية القرآنية وليّ عن الله أم وكيل عن الناس؟

إنّ الحاكمية في الأصل لله تعالى ومن شؤون ربوبيّته، فهو المالك الحقيقي وله السلطة التكوينية على الخلق كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾(1) فله الحقّ بإصدار القوانين وإجراء وتنفيذ الأحكام، فالحكم وإجراء الحدود ليس من شؤون الناس؛ فإذا نصب الباري تعالى شخصاً لتنفيذ الحكم الإلهي حاز على حقّ الحاكمية وإجراء حدود الله تعالى، وليس للناس الاعتراض على ذلك؛ لأنّ مشروعية الحاكم الإلهي مستمدّة من الله تعالى لا من آراء الناس، وليس للناس الحقّ في مبايعة أو انتخاب شخص؛ لأنّ الحاكمية شأن من شؤون الله تعالى وهو الذي له الحقّ في تنصيب شخص أو تعيينه لهذه المهمّة. ولهذا نجد أنّ الشارع عندما شرّع الصيام والصلاة وغيرها أوجب على الناس امتثال هذه الأحكام، وللشارع أن يقيم الحكم على من يعصي هذا الأمر الإلهي. ولا تتوقّف إقامة الحكم على مبايعة الناس.

كذلك الأمر في الأموال العامّة كالأراضي والغابات الجبال والصحاري وما يُستخرج من نفط وغاز وذهب ونحاس وغيرها من المعادن، فهي ليست ملك للناس حتى يكون لهم الحقّ في توكيل الأمر إلى شخص ينتخبونه حاكماً لهم، وإنّما هي ملك لله تعالى، بل الكون بأسره ملك

---

(1) النحل: ٥٢.

له تعالى، والبشر شأنهم كسائر المخلوقات في عالم الوجود مملوكون له جلّ وعلا، لا إذن لهم بالتصرّف بهذا الكيان من دون ترخيص من المالك الحقيقي، فلا يحقّ للإنسان التصرّف حتى بنفسه ناهيك عن الآخرين. فعلى سبيل المثال: لا يجوز لنا إلحاق الضرر بأيدينا أو عيوننا؛ لأنّ كلّ شيء لله تعالى، وإذا ما فقدنا حقّ التصرف بأنفسنا فأنّى لنا التصرّف في حقّ الآخرين، فلو أنّ شخصاً ارتكب جريمة ما لأيّ سبب من الأسباب فلا يحقّ لأحد مساءلته أو معاقبته، إلاّ من أذِن له المالك الحقيقي.

إذاً الحاكم في النظرية القرآنية وليّ عن الله تعالى وليس وكيل على الناس، نظير ولاية للأب على ابنه، فالله تعالى هو الذي جعل ونصب الأب وليّاً على الطفل، والطفل لم يجعل ولاية الأب عليه، وهذا بخلاف النظريات البشرية الأخرى التي تعتبر الرئيس ممثّلاً عن المنتخب، ووكيلاً له، ويمكن للمخوّل أن يعزله أو يطالبه بشيء ونحو ذلك.

فالنظرية القرآنية تقوم على أساس أنّ الحاكم وليّ عن الله تعالى لا وكيلٌ من الناس. فليس للناس أن يعزلوه، وإنّما الواجب على الناس الطاعة والانصياع لأوامره كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١) قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(٢).

فالمطلوب من الناس هو الطاعة التامّة والتسليم لأمر النبيّ صلى الله عليه وآله باعتباره الحاكم المعيَّن من الله تعالى.

وهنالك جملة أخرى من الآيات تدلّ على وجوب الخضوع لقضاء

---

(١) آل عمران: ١٣٢.

(٢) النساء: ٦٥.

رسول الله وقبوله حكمه صلّى الله عليه وآله إذا قضى بينهم:

• كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[1].

• وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

والقضاء أهمّ صلاحيات الحاكم ولا توجد سلطة أعلى من سلطة القضاء في المجتمع وهو أمر بيد الرسول صلّى الله عليه وآله وما على الناس إلاّ القبول والرضا بقضائه.

كذلك هنالك عدد آخر من الآيات تدلّ على وجوب الأخذ بأمر الرسول صلّى الله عليه وآله ونهيه عن كلّ شيء من أمور الدنيا أو الآخرة، في العبادات أو المعاملات أو السياسات وغيرها.

• قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم

(١) النساء: ٦٠ - ٦١.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) الحشر: ٧.

بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) .

وقد دلّت جملة أخرى من الآيات على وجوب الخضوع لحكم الله ورسوله في كلّ ما حكم به، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾(٢) ومن المعلوم أنّ المراد بالقضاء هنا مطلق الحكم في أيّ شأن من شؤون الناس وليس الحكم الخاصّ بفصل الخصومات.

فالنصوص القرآنية فضلاً عن الأحاديث الكثيرة دلّت بوضوح لا لبس فيه على أنّ الحكم لله وحده ولا حقّ لأحد الحكم إلاّ لمن أعطاه الله تعالى هذه الولاية والصلاحية، فليس للناس أيّ حقّ في إجراء الحكم، ومن ثم لا توجد لديهم الصلاحية في توكيل الأمر لشخص معيّن.

إذاً ولاية الحاكم في القرآن ـ سواء كان نبيّاً أم إماماً ـ مجعولة من الله تعالى ولاحقّ للناس في تعيين الحاكم بالانتخاب أو البيعة ونحوها.

الولاية في عصر الغيبة

من المعلوم أنّ الجعل والتنصيب الإلهي للأنبياء والأئمة إنّما يكون بأشخاصهم، أمّا تنصيب الحاكم في عصر الغيبة فهو نصب للعنوان العام فيكون الحاكم هو كلّ من تتوفّر فيه شروط معيّنة اشترطها الشارع، وقد أشارت جملة من النصوص الروائية على ذلك؛ منها:

١ـ الرواية المشهورة بين الفقهاء بـ«التوقيع الشريف» وهو جواب كتبه

---

(١) النور: ٦٢ - ٦٣.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

حضرة ولي العصر إمام الزمان عليه السلام عن رسالة إسحاق بن يعقوب التي تضمّنت أسئلة وجّهها لمحضره الشريف ومن جملتها: ما هو تكليفنا فيما يخصّ «الحوادث الواقعة» التي تحصل في زمان الغيبة فأجابه عليه السلام بهذا الشأن: «**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم**»(١).

ومن الواضح أنّ معنى «الحوادث» غير مختصّ بالأحكام الشرعية، بل شامل لكلّ المسائل الاجتماعية.

٢ـ الرواية الأخرى المشهورة بمقبولة عمر بن حنظلة التي أشار فيها الإمام الصادق عليه السلام إلى واجب الأمّة في مجال حلّ النزاعات، والرجوع في ذلك إلى مرجع يمتلك الصلاحية ليكون حاكماً على المسلمين:

فعن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلّ ذلك؟ فقال: «**من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه ثابتاً؛ لأنّه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يُكفر به.** قلت: كيف يصنعان؟ قال: **انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله قد استخفّ، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله**»(٢)، ونحوها من النصوص الأخرى التي لا يسع المقام لذكرها.

---

(١) **إكمال الدين**، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤٠٥هـ: ج١، ص٤٨٣.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٧، ص ٤١٢.

إذاً النقطة التي نتوخّاها مما تقدّم هو أنّ الحاكم في النظرية القرآنية وليّ عن الله تعالى، ومنه تعالى يستمدّ الشرعية، وأنّ هذه الولاية غير متوقّفة على البيعة؛ لأنّ إقامة حكم الله تعالى ليس من حقوق الناس، لكي يكونوا مختارين في أن ينتخبوا من يقيم حكم الله، وإنّما على الناس الطاعة فقط.

نعم في عصر الغيبة أعطى الشارع الناس الخيار في أن يتخيّروا ـ ضمن شرائط وضوابط معيّنة ـ هذا الوليّ أو ذاك، وهذا لا يعني إعطاء الناس صلاحية تعيين الحاكم، فالأمر في تعيين شرائط الولي في عصر الغيبة بيد الله تعالى، وما على الناس إلاّ المصداق فقط.

بعبارة أخرى: فيما يتعلّق بشرائط وموانع الولي الحاكم فهذا لابدّ أن يعيّنه الشارع المقدس، أمّا فيما يتعلّق بتعيين مصداق من تتوفّر فيه تلك الشرائط فهذا موكول إلى الناس. إذاً على هذا الأساس فالناس لا يعنّون الوليّ الحاكم وإنّما يعيّنه الله تعالى بالشرائط، وعليهم تطبيق المصداق.

خلاصة ما تقدّم

الدليل الأول على ضرورة الدين والنبوّة:

المقدّمة الأولى: إنّ لهذا العالم خالقاً وربّاً.

المقدّمة الثانية: إنّ الخالق عادل حكيم وله غاية في فعله، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1] وقد تضافرت الروايات في هذا المعنى.

من خصوصيات الإنسان:

١- أنّه مختار في أفعاله .

(١) المؤمنون: ١١٥.

٢- أنّه واقف على مفترق طريقين، إمّا طريق الخير أو طريق الشرّ.

٣- إنسانية الإنسان بروحه.

المقدّمة الثالثة: في بيان حقيقة الرابطة بين العمل والجزاء

هنالك ثلاثة أنواع من الجزاء:

١- الجزاء الاعتباري: وهو من وضع الواضع ولا يوجد بين العمل والجزاء أيّ ارتباط حقيقي تكويني.

٢- الجزاء الحقيقي المتأخّر عن الفعل.

٣- الجزاء الحقيقي حين الفعل، أي يكون الجزاء باطن العمل. وقد دلّت على هذا النوع من الجزاء جملة وافرة من النصوص القرآنية والروائية، وفي هذا السنخ من الجزاء لا يشعر به الإنسان لغفلته وانشغاله بالحياة الدنيوية كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(١). ومن الواضح أنّ الغفلة لا تكون إلاّ عن شيء موجود حاضر.

المقدّمة الرابعة: في بيان قوانين الآخرة.

إنّ للنشأة الآخرة قوانين خاصّة بها تختلف عن نشأة الدنيا ـ وإن اشتركت معها في بعض القوانين العامّة كقانون العلّة والمعلول واستحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما ونحوها من القوانين ـ ومن قوانين الآخرة:

القانون الأوّل: قانون تجسّم الأعمال، حيث دلّت جملة وافرة من النصوص القرآنية والروائية على هذا القانون وأنّ أعمال الإنسان ـ سواء كانت أخلاقاً أو ملكات أو عقائد ـ سوف تتجسّد بوجهها الواقعي وتحضر بنفسها يوم القيامة.

---

(١) سورة ق: ٢٢.

القانون الثاني: قانون مجازاة الأعمال، حيث أشارت جملة من النصوص القرآنية والروائية إلى هذا القانون، وأنّ بعض الأعمال من طاعات أو معاصٍ تكون سبباً في انتقال حسنات أو سيّئات فاعلها إلى الغير من قبيل انتقال حسنات القاتل إلى المقتول أو انتقال بعض الحسنات أو السيّئات إلى الآخر كما في الغيبة والبهتان ونحوهما.

القانون الثالث: أنّ الأشياء بالآخرة تتحقّق بمجرّد إرادة الإنسان، ومن دون أيّ سبب آخر.

القانون الرابع: قانون ارتباط عالم التشريع بعالم التكوين، وهذا القانون وإن كان غير مختصّ بعالم الآخرة إلاّ أنّه يعدّ من قوانينها. والمقصود من هذا القانون وجود رابطة تكوينية بين التشريع والتكوين، كالارتباط بين صلاة الاستسقاء ونزول المطر.

نتيجة الدليل الأول: بناءً على ما تقدّم من المقدّمات السابقة ـ من قبيل كون الإنسان خُلق لأجل سعادته في الدارين وأنّه قاصر عن معرفة واكتشاف قوانين الآخرة ـ فمقتضى حكمة الله تعالى وعدله أن يهدي الإنسان إلى هذا الهدف من طريق مجموعة من الأوامر والنواهي، وهو ما يسمّى بالدين.

ومن هنا نشأت حاجة الإنسان إلى من يخبره بخبر السماء.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية وفقاً للنظام الأصلح أن يرسل إلى الناس نبياً أو رسولاً لإيصال أوامر الله تعالى ونواهيه لكي يتمكّن الإنسان من خلال امتثالها أن يصل إلى هدفه.

الدليل الثاني: في الحاجة إلى الدين والنبوّة:

المقدّمة الأولى: الإنسان مركّب من عقل وشهوة

المقدّمة الثانية: الإنسان يحبّ ذاته وكمالات ذاته.

المقدّمة الثالثة: الإنسان يطلب الكمال اللامتناهي.

المقدّمة الرابعة: كلّ شيء خُلق لأجل الإنسان.

المقدّمة الخامسة:لابدّ للإنسان من إجراء تغييرات على الطبيعة لكي يتمكّن من الاستفادة منها.

المقدّمة السادسة: اختلاف وتنوّع مطاليب الناس.

نتيجة الدليل الثاني: بناءً على ما تقدّم من مقدّمات، من كون الإنسان مدفوعاً بحكم فطرته إلى تحصيل كلّ ما يقع في طريق كماله، لذا يكون مدفوعا إلى استخدام الآخرين وهكذا الأمر بالنسبة لبقية أفراد الإنسان؛ ومن هنا نشأت ضرورة وجود قانون عادل يحكم بين أفراد الإنسان للحيلولة دون وقوع النزاع والاختلاف بينهم، وإقامة العدل الاجتماعي. وقد نشأ اتجاهان لحلّ هذا النزاع وإقامة العدالة الاجتماعية.

الاتجاه الأوّل: الاتجاه المادّي، الذي يذهب إلى إمكان إقامة العدالة الاجتماعية من دون الحاجة إلى دين أو هداية سماوية.

ويعتمد هذا الاتجاه في إقامة العدالة على التجارب التي مرّت بها البشرية على امتداد الزمان الماضي. ومن خلال اكتشاف الأخطاء ونقاط الضعف في التجارب الماضية يمكن للإنسان أن يصل إلى نظام وقانون يحقّق العدالة الاجتماعية.

وقد انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فريقين:

الفريق الأول: المتمثّل بالشيوعية، التي تقول إنّ إقامة العدالة ممكنة من خلال إجبار الناس على طاعة قوانين العدل الاجتماعي.

الفريق الثاني: المتمثّل بالديمقراطية الغربية التي تذهب إلى إمكانية

تطبيق العدالة الاجتماعية من خلال تثقيف الناس على ضرورة إطاعة قوانين العدل الاجتماعي من خلال أخلاق مستنبطة من تلك القوانين، لا أنّ الأخلاق حاكمة على قوانين العدل، وبعبارة أخرى: إنّ القوانين الأخلاقية نسبية غير ثابتة، تتغيّر تبعاً لتلك القوانين.

والمناقشة للاتجاه المادّي بكلا شقّيه واضحة، من خلال ما نلمسه من فشلهما وعجزهما في القضاء على النزاع والاختلاف وسفك الدماء والانحراف عن الصراط المستقيم وما وصل إليه الإنسان من السقوط في قاع الرذيلة، مضافاً إلى أنّ الفريق الثاني يعتبر أنّ الأخلاق نسبية غير ثابتة وهو أمر واضح الفساد.

- **الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الإلهي**. ويبتني هذا الاتجاه على أنّ الإنسان غير قادر على اكتشاف قوانين العدل الاجتماعي التي تتوافق وتنسجم مع سعادته في الآخرة؛ لعجز العقل البشري من اكتشاف قوانين الآخرة لكي يضع بإزائها قوانين العدل الإلهي بما يضمن سعادة الإنسان في الآخرة.

هذا مضافا إلى أنّ النزعة النفعية الفطرية لدى كلّ إنسان تدفعه إلى استخدام الآخرين لتحقيق منافعه الشخصية، ومن ثمّ لا يوجد لدى الإنسان أيّ دافع لتطبيق قوانين العدل الاجتماعي، وفي هذا الضوء فلابدّ أن تكون القوانين الإصلاحية نابعة من جهة غير جهة الطبيعة والفطرة الإنسانية، وإلاّ لو كان واضع القانون هو الإنسان فبحكم طبيعته وفطرته سيأخذ مصالحه الفردية أو القومية ونحوها بعين الاعتبار حين وضعه لأيّ قانون. ومن هنا لابدّ أن يكون واضع قوانين العدل الاجتماعي هو الله تعالى.

أهداف النبوّة:

١- دعوة الناس إلى التوحيد.

٢- إقامة العدالة الاجتماعية.

إلاّ أنّ السؤال الذي يضغط على العقل الإنساني هو أيّ هدف من أهداف النبوّة أصيل؟

وفي المقام توجد أربع نظريات:

النظرية الأولى: الهدف الأصيل هو العدالة الاجتماعية بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(١)

يُردّ على هذه النظرية بأنّها تتلاءم مع المباني المادّية التي تنكر المعاد وتعتبر السعادة الدنيوية لا السعادة الدنيوية وحدها التي تتلاءم مع السعادة الأخروية.

النظرية الثانية وهي التي تذهب إلى أنّ كلا الهدفين أصيل (العدالة الاجتماعية والتوحيد).

والمناقشة التي تتوجّه إلى هذه النظرية هي أنّها تستلزم أن تكون نيّة العامل والفاعل كلا الهدفين، وهو خلاف الضرورة القاضية بلزوم الإخلاص بالنيّة لله وحده.

النظرية الثالثة: وتذهب إلى أنّ الهدف الأصيل هو التوحيد، أمّا العدالة الاجتماعية فهي مجرّد وسيلة لا قيمة لها في نفسها.

النظرية الرابعة: القائلة بأنّ الهدف الأصيل هو التوحيد، أمّا العدالة الاجتماعية فهي وسيلة لكن لها قيمة ذاتية. وبهذا تفترق هذه النظرية عن

---

(١) الحديد: ٢٥.

النظرية الثالثة التي لا تعطي أيّ قيمة للعدالة الاجتماعية.

وهذه النظرية هي النظرية الصحيحة؛ لأنّها تنسجم مع النصوص الدينية التي تجعل للعبادات التي هي وسيلة للوصول إلى الله تعالى قيمة ذاتية.

إنّ العدالة الاجتماعية هي السبيل الأمثل للتوحيد والقرب الإلهي، لأنّ ربط الإنسان بالله تعالى، ورجاء الثواب والقرب الإلهي يكون دافعاً ومحرّكاً للإنسان لتطبيق قوانين العدل الاجتماعي، حتى لو تعارضت مع مصالحه الشخصية والفردية.

من النتائج المتحصّلة مما تقدّم :

١. تقديم المصلحة الاجتماعية على المصلحة الفردية عند التعارض.

٢. ضرورة وجود حكومة لإقامة العدالة الاجتماعية كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]. ومن المعلوم أنّ القسط لا يمكن يتحقّق إلاّ في ظلّ حكومة عادلة؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[2].

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الحديد: ٢٥.

الفصل الثاني

بحوث حول الشرائع والنبوات

انتهينا في الفصل السابق إلى إثبات ضرورة الدين وبعثة الأنبياء، لأجل إيصال الإنسان إلى كماله الواقعي المرسوم له وهدايته إلى الطريق الذي يبلغ به كماله، وهو القرب الإلهي. وبعد هذه النتيجة يكون من المناسب في هذا الفصل أن نتناول مجموعة من الأبحاث المتعلّقة بالنبوّة. وفيما يلي سوف نتعرّض لهذه الأبحاث ضمن التسلسل التالي:

المبحث الأول: تعدّد الشرائع والدين واحد.

المبحث الثاني: الطريق إلى معرفة النبيّ.

المبحث الثالث: الفرق بين الشريعة الخاتمة وغيرها من الشرائع الإلهية.

المبحث الرابع: الفرق بين الشرائع الإلهية والنظريات الفلسفية .

المبحث الخامس: أفضلية النبي صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء.

المبحث الأوّل: تعدّد الشرائع ووحدة الدين

وفيه أمور:

١. المراد من الدين هو الإسلام.

٢. الإسلام اسم جامع لجميع الشرائع.

٣. السبب في ختم الشرائع.

١. المراد من الدين هو الإسلام

استعمل القران الكريم لفظ الدين في معنيين:

الأول: الجزاء، فيوم الدين هو يوم الجزاء؛ قال تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ

ٱلدِّينِ﴾(١) أي يوم الجزاء.

الثاني: بمعنى الشريعة، متضمّناً معنى الطاعة والانقياد، وهذا المعنى هو الأكثر استعمالاً في الشرع الإسلامي.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾(٢) أي في طاعة الملك والشريعة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(٣). فالدين هنا: الشريعة والطاعة والانقياد لله تعالى.

٢. الإسلام اسم جامع لجميع الشرائع

لما كان الاستعمال القرآني الأكثر للدين بمعنى الشريعة والطاعة والانقياد لله تعالى، نجد أنّ القرآن الكريم يطرح تعريفاً واحداً معيّناً للدين، وهو أنّ الدين يعني الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾(٤).

والمراد من الإسلام هو الانقياد لله تعالى وما أنزل من الشرائع والأحكام. وعلى هذا يلتقي معنى الإسلام في عصر آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وفي عصر خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين على معنى واحد وهو الانقياد لله تعالى والطاعة له سبحانه ولشرائعه التي أنزلها على أنبيائه، فيكون الإسلام اسماً جامعاً لجميع الشرائع.

من الملاحظ في القرآن الكريم استخدام مصطلح الإسلام في جميع

---

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) البقرة: ١٣٢.

(٤) آل عمران: ١٩.

الشرائع الإلهية السابقة، ففي جميعها جاء ذكر الإسلام والمسلمين. ففي شأن نوح قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وفي خصوص إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢) وكذا قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣).

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(٤).

وأخبر تعالى عن لوط بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٥).

وأخبر تعالى عن سحرة فرعون حيث قال: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(٦).

وبشأن موسى عليه السلام قال في حكاية موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٧).

وبشأن فرعون قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا

(١) يونس: ٧٢.
(٢) آل عمران: ٦٧.
(٣) البقرة: ١٣٢.
(٤) الحج: ٧٨.
(٥) الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦.
(٦) الأعراف: ١٢٦.
(٧) يونس: ٨٤.

﴿إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)].

وعن كتاب سليمان لملكة سبأ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[(٢)] وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[(٣)].

وعن حواريّي عيسى أخبر تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[(٤)] وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[(٥)].

كذلك أطلقت الروايات اسم الإسلام على جميع الشرائع السابقة، فقد ذكر المجلسي في البحار «أنّ هنالك أحاديث وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فيها: أنّه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على شريعة من الحقّ، وفيها: أنّ ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، وفيها: أنّ أولاد نوح عليه السلام لم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود ابن كوس فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا»[(٦)].

وأخرج ابن سعد في طبقاته بسنده إلى ابن عباس قوله: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على الإسلام» ونقل تتمّة رواية بن عباس أنّه قال: «حين خرجوا من السفينة وسكنوا قرية فكثروا بها حتى بلغوا مئة ألف

---

(١) يونس: ٩٠.

(٢) النمل: ٣٠ - ٣١.

(٣) النمل: ٣٨.

(٤) المائدة: ١١١.

(٥) آل عمران: ٥٢.

(٦) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ١٥، هامش ص ١١٨.

كلّهم على الإسلام»[١].

ومن جميع هذه النصوص القرآنية يتّضح أنّ الشرائع كافّة تنظوي تحت دين إلهيّ واحد وهو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وضع بوضع الشريعة الأولى واكتمل بالشريعة الأخيرة، فدين الله الذي أرسل به رسوله الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله هو بذاته دين الله الذي أوصى به أنبياءه السابقين وفرض على الناس أن يقيموه ونهاهم أن يتفرّقوا فيه ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[٢]. والرسل المطّهرون من مبدئهم إلى خاتمهم إنّما يدعون إلى اعتناق دين واحد لا تشعّب فيه، وإلى عبادة ربّ واحد لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[٣].

فالمؤمن لن يكون مؤمناً حقّاً حتّى يصدّق بكلّ من بعثه الله تعالى من نبيّ وبكلّ ما أنزل إلى الأنبياء من كتاب، وبكلّ ما أوحى إليهم من شريعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٤] ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٥]. فهذا الترابط

---

(١) انظر **طبقات** ابن سعد: ج١ ص ١٨. ط أوربا.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) المؤمنون: ٥١ - ٥٢.

(٤) النساء: ١٣٦.

(٥) البقرة: ١٣٦.

بين الرسالات يعني أنّ جميع الشرائع تتفجر من ينبوع واحد ثم تسير في مجرى واحد إلى مصبّ واحد، وما بشارة أوائل النبيين بأواخرهم وكذلك تصديق أواخرهم لأوائلهم، إلاّ تثبيت كون شرائع السماء تتّحد في دين واحد ومقصد واحد.

أمّا لماذا تعدّدت الشرائع، ولماذا خُتمت بشريعة خاتمة وهي شريعة نبيّنا الأعظم صلّى الله عليه وآله؟ فسيأتي في البحوث اللاحقة.

٢. السبب في ختم الشرائع

لكي يكون الجواب واضحاً لا لبس فيه ينبغي أن نقف على سبب تعدّد واختلاف وتبدّل الشرائع.

إنّ سبب تعدّد وتبدّل الشرائع يكمن في أنّ البشرية في تكامل مستمرّ، ففي كلّ مرحلة من مراحل التكامل تحتاج البشرية إلى شريعة متلائمة مع درجة تكامل البشر في تلك المرحلة من الزمن، ففي مرحلة الطفولة البشرية ينبغي أن تكون الأحكام والقوانين الشرعية متناسبة مع استعداد البشرية في تلك المرحلة وهكذا تستمرّ إلى مرحلة البلوغ والنضج والعقل الكامل، وتصبح قادرة على تحمّل الأحكام والقوانين الإلهية والاستفادة منها وتطبيقها، وإن كلّ ما تحتاجه فمن طريق الوحي، وكذا كلّ ما ينبغي أن يقال لها، وما عليها إلاّ المحافظة عليه وتكييف حياتها معه.

فحاجة البشرية إلى الوحي ثابتة لا تختلف باختلاف العصور والأزمنة، نعم القوانين الإلهية تتجدّد تبعاً للقابليات والاستعدادات المختلفة .فالمجتمع البشري كالفرد الإنساني، يمرّ بمرحلة الطفولة فالنموّ فالمراهقة فالبلوغ، وحالة البشرية في بدايتها تشبه حالة الطفل في ضعف درجة تقبّله،

وكلّما تقدّمت خطوة إلى الأمام ازداد نموّها وكبر استعدادها.

فالعمل بالقوانين النابعة من الوحي التي تحتاجها البشرية حاجة ثابتة، لكن السبب في عدم نزولها جميعاً في مراحلها الأولى هو أنّ البشرية كانت في مرحلة الطفولة، وهي غير مستعدّة لتلقّي جميع تلك القوانين والأحكام دفعة واحدة، ولو نزلت دفعة واحدة ما كانت تستطيع تطبيقها أبداً، إذاً مادام الإنسان في تكامل مستمرّ أو في تطوّر مستمرّ فهو يحتاج إلى نظام معيّن ي كلّ مرحلة من مراحل نموّه، يختلف عن النظام الذي سبقه، والنظام الذي يلحقه. فالدين يتدرّج في تقديم هدايته تبعاً لاقتضاء الحاجة في المجتمع البشري، ولو أعطته غذاء الرجولة في دور الطفولة لكان ذلك خلاف الحكمة، وعلى هذا المنهاج الطبيعي، وعلى هذه السبل الرشيدة، أنزلت السماء شرائعها للإنسان، فأعطته في كلّ عهد ما يلائمه، وكان دور الرشد الاجتماعي هو دور الرسالة الكاملة والشريعة الخالدة، وهذه هي فلسفة تعدّد الشرائع.

المبحث الثاني: الطريق لمعرفة النبي

تقدّم فيما سبق أنّ الحكمة الإلهية تقتضي تزويد الإنسان بطريق آخر للهداية غير الطريق العقلي، وهو الوحي الإلهي، وقد ثبت أيضاً أنّ كلّ الناس غير مؤهّلين لاستقبال الوحي، فلابدّ إذاً من الوحي لبعضهم وهم الأنبياء؛ لما علم الله تعالى فيهم من الاستعداد والكفاءة في تحمّل هذه المسؤولية، ثمّ يرجع الآخرون إلى النبيّ الموحى إليه.

ولّما كان الوحي الإلهي أمراً غير محسوس للآخرين، فلابدّ إذاً من طريق يمكن من خلاله أنّ نعرف من هو الشخص الموحى إليه، الذي أصبح نبياً؟ وهنا يأتي دور المعجزة.

والمعجزة هي القدرة على إيجاد فعل يخرق الطبيعة والعادة وخارج عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلّم، بإقدار الله تعالى عليه، ليكون دليلاً على صدق دعوى النبي ومن ثمّ يفهم الآخرون بأنّ له ارتباطاً بالله تعالى.

فلكي تتمّ الحجّة، لابدّ أن يعرف الناس أنّ هذا نبيّ مرسَل من الله تعالى، وتتوقّف هذه المعرفة على علامة تكشف ارتباط الشخص الذي يدّعي النبوّة بالله تعالى وهي المعجزة. ويشبه هذا الأمر ما يجري عليه العقلاء في حياتهم، فلو جاء شخص وادّعى أنّه مرسل من قبل شخص معيَّن وطالبك بأمانة له مودعة عندك، فمن حقّك أن تطالبه بالدليل والعلامة على كونه مرسلاً من قبل ذلك الشخص، فإذا لم تكن لديه علامة أو دليل فإنّك لست ملزماً بقبول ما يدّعيه.

وهكذا الأمر بالنسبة لإرسال الله تعالى الأنبياء إلى الناس، ليطالبهم بواجبات معيّنة وينهاهم عن أمور أخرى، فما لم يقدّم علامة ودليلاً على أنّه مرتبط بالله تعالى، فلا يطاع في أوامره. وهذا أمر فطريّ لا نقاش فيه، ولهذا ينقل القرآن الكريم عن كثير من الأمم عندما أرسل إليهم الأنبياء أنّهم طالبوهم بالعلامات كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾(٢).

فالمعجزة إذاً آية عقلية على نبوّة من أتى بها لإتمام الحجّة على الناس، وبدونها لا تتمّ الحجّة.

---

(١) الشعراء: ١٥٤.

(٢) الأعراف: ١٠٦.

وتتنوّع المعجزة تبعاً لطبيعة الحياة التي يعيشها الناس آنذاك، كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في جواب ابن السكّيت الذي سأله عن سرّ تنوّع المعجزة، وأنّ لكل نبيّ إعجازاً خاصّاً حيث سأله: «لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمّداً صلّى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: **إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم، وأنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام** ـ وأظنّه قال: الشعر ـ **فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم**. قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السلام: **العقل، يُعرف به الصادق على الله فيصدّقه، والكاذب على الله فيكذّبه**، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب[١].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة أعطى الله عزّ وجلّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: «**ليكون دليلاً على صدق من أتى به، والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب**»[٢].

(١) **علل الشرائع**، مصدر سابق: ج١ ص ١٢٢

(٢) المصدر السابق.

انواع المعاجز

عند إجراء مسح ميداني للنصوص القرآنية التي تعرّضت لمعاجز الأنبياء، نلاحظ أنّ هنالك نوعين من المعاجز.

النوع الأول: المعاجز الحسّية المؤقتة

وهي التي يمكن الاطلاع عليها من خلال أدوات الحسّ، ومشاهدتها عياناً، كناقة صالح، وطوفان نوح، وعصى موسى، ونار إبراهيم عليه السلام، وهذه المعاجز يمكن أن يراها طبقة معيّنة من الناس ولا يمكن أن يراها الآخرون؛ لأنّها كانت في زمن معيّن وانتهى ذلك الزمن، كما هو الحال لمعاجز الأنبياء السابقين، نعم يمكن نقلها بواسطة الخبر لا بعنوان الشيء المحسوس، و الفرق بين سماعها عن طريق الخبر وبين رؤيتها بالحسّ مما لا يخفى على أحد.

النوع الثاني: المعاجز التي لاتدرك إلاّ بالعقل

المعاجز التي لا يمكن إدراكها إلاّ من خلال العقل، كالإخبار بالغيب والإتيان بعلوم حقيقية من غير تعلّم. وهذا النوع من المعاجز إنّما يكون دائمياً لكلّ زمان ومكان ولكلّ البشر.

وفي ضوء ما سلف وتأسيساً عليه نقول: إنه إذا كانت الشريعة خاتمة، فلابدّ أن تكون المعجزة للنبي الذي يحمل هذه الرسالة الخاتمة، دائمية لا مؤقّتة؛ لكي تكون لها القدرة على الاستمرار والبقاء والشمول، وملبّية لحاجات الناس في كلّ زمان ومكان؛ لأنّ الرسالة الخاتمة التي يحملها النبيّ لكلّ البشرية، تقتضي ـ بناءً على الحكمة الإلهية ـ تزويده بمعجزة خالدة لا تقتصر على زمان خاصّ ولا مكان معيّن. فلو كانت المعجزة في وقت خاصّ ـ

كما هو الحال بالنسبة لمعاجز الأنبياء السابقين ـ فستكون مقصورة على الحاضرين الذين رأوها بالمشاهدة، أمّا بالنسبة لغير الحاضرين فلا يتمّ إثباتها إلاّ بالنقل، مع أنّ أسلوب النقل للمعجزة غير فعّال، ولا يؤدّي النتيجة ذاتها كما لو كانت المعجزة حاضرة مستمرّة.

مضافاً إلى أنّ الاكتفاء بالنقل للمعجزة، يفقد قيمتها على مرّ السنين، فضلاً عن عدم الضمان للنقل المفيد لليقين، بل حتى لو حصل اليقين بالنقل إلاّ أنّه ليس كاليقين الذي يحصل نتيجة رؤية المعجزة حيّة أمامه، وأن يباشرها وتباشره. إذاً لابدّ للرسالة الخاتمة من معجزة دائمة لكلّ زمان ولكلّ مكان ولجميع البشرية.

المبحث الثالث: الفرق بين الشريعة الخاتمة والشرائع الأخرى

على الرغم من أنّ الدعوة التي دعا الأنبياء إليها كانت واحدة، فجميع الشرائع الإلهية تدعو الناس إلى طريق واحد وهدف واحد وهو السير على صراط مستقيم والوصول إلى التكامل والقرب الإلهي: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[١].

على الرغم من ذلك فإنّ هنالك تفاوتاً في التعليمات والشرائع كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢].

وعلى هذا الأساس امتازت الرسالة الخاتمة عن بقيّة الشرائع بعدّة من الخصائص والامتيازات؛ نسلّط فيما يلي الضوء على عدد من نقاط الافتراق بين الرسالة الخاتمة وبين غيرها من الشرائع السماوية.

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) المائدة: ٤٨.

الفارق الأول: توفرّ المعجزة الدائمة للشريعة الخاتمة

من أبرز خصائص الرسالة الخاتمة معجزتها الفكرية الخالدة المتمثّلة بالقرآن الكريم، وهي تختلف عن معاجز بقية الأنبياء السابقين الذين كانت معاجزهم حسّية مؤقّتة ـ كما تقدّم ـ كما هو الحال في عصا موسى ونحوها من معاجز بقية الأنبياء عليهم السلام.

والسبب في كون معاجز الأنبياء السابقين حسّية مؤقّتة هو عدم بلوغ البشرية آنذاك إلى الرشد الإنساني والقدرة الفكرية التي تستطيع معه استيعاب ووعي هذا النوع من المعاجز الفكرية؛ لأنّها كانت تعيش مستوى الحسّ. ولهذا نجد أنّ معاجز الأنبياء السابقين كانت تتمحور حول هذه النقطة، وهذا ما تجلّى بصورة واضحة في بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون حالة الحسّ أكثر من التعقّل، ومن هنا نجد تأكيد القرآن بشكل لا نظير له على قصص بني إسرائيل، الذين كانوا يطالبون موسى عليه السلام بالآيات والمعاجز الحسّية، كما في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ وقوله: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ فالناس جميعاً يأنسون بالحسّ ويتأثّرون بالمحسوسات أكثر من الأمور العقلية، بل نجد حتّى في بعض معاجز الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله على الرغم من إتيانه بمعجزة فكرية وهي القرآن الكريم، ولكنه أيضاً كانت لديه معاجز حسّية لتأثيرها في بعض الناس.

فالبشرية في مراحلها السابقة من حياتها لم تكن قادرة على استيعاب المعجزة الفكرية التي بلغت فيه البشرية حدّاً تمكّنت من خلاله استيعاب المعجزة الفكرية المتمثّلة بالقرآن الكريم؛ ومن هنا يتّضح أنّ البشرية كلّما ارتفعت في علومها ومعارفها ورشدها الإنساني، تجلّت عظمة القرآن بصورة أكثر؛ لأنّ الإنسان كلّما ارتفع من الناحية الفكرية يلمس عظمة

القرآن بشكل أكثر مما لو كان ضعيفاً فكرياً؛ ومن هنا نجد في كلمات أهل البيت عليهم السلام في وصف القران الكريم بأنّه: «**لا تنقضي عجائبه**»[1] وما ذلك إلاّ لأجل تكامل البشرية في رشدها الفكري.

إذاً الخصوصية التي امتازت بها الرسالة الخاتمة هي المعجزة الفكرية التي لها القابلية على الاستمرار، بخلاف معاجز الأنبياء الحسّية التي لم تكن فيها القابلية على الاستمرار كما هو واضح.

الفارق الثاني: عدم وقوع الانحراف في الرسالة الإسلامية

تقدّم أنّ من أسباب تجدّد الشرائع تعرّض كتبها للانحراف، ممّا يجعلها فاقدة لصلاحية هداية الناس؛ لأنّ البشرية آنذاك كانت عاجزة عن حفظ ميراثهم العلمي والديني، أمّا عندما يبلغ البشر مرحلة من التكامل تمكّنهم من الحفاظ على ميراثهم الديني، فعند ذاك ينتفي سبب تجدّد الرسالة وظهور نبيّ جديد.

ويمكننا تشبيه البشرية في معاصرتها للنبوّات المختلفة، بالطفل الذي من شأنه تمزيق الكتب وعدم المحافظة عليها، فالطفل لا يملك القدرة على أن يحافظ على كتبه.. كذلك البشرية في المراحل السابقة، كانت غير قادرة على حفظ الكتب السماوية، بل مزّقتها وأتلفتها وضيّعتها. وهذا يكشف عن أنّ البشرية كانت غير ناضجة في تلك الأزمان والأعصار، ولو كان القرآن الكريم نازلاً في تلك العصور لكان حظّه حظّ غيره من الكتب السالفة، لكنّه نزل في وقت بلغت البشرية فيه نضجها.

ومن الواضح أنّ الميزة الأساسية التي تميّزت بها الرسالة الإسلامية عن

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٥٣، ص٦٩.

بقية الشرائع، هو صيانتها عن الانحراف والتزوير، وهي أحد الخصائص المهمّة لخاتمية الرسالة، فما لم تكن الرسالة الخاتمة مصونة من الانحراف، فإنّ ذلك يؤدّي إلى نقض الغرض الإلهي الذي أريد من هذه الرسالة أن تكون شاملة وخالدة ودائمة لكلّ زمان ومكان ولجميع الناس، لأجل هداية البشرية إلى هدفها المرسوم لها، فإذا فرض وقوع الانحراف في هذه الرسالة الخاتمة لزم نقض الغرض.

وقد تمثّل صيانة الشريعة الإسلامية من الانحراف من خلال صيانة معجزتها الخالدة المتمثّلة بالقرآن الكريم من الانحراف، وقد وعد الله تعالى بحفظه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾(٢).

ولا يخفى أنّ حفظ القرآن الكريم وإن كان بوعد إلهيّ، لكن كان لعمل الرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وعمل المخلصين من المسلمين دور عظيم في حفظه إلى يومنا الحاضر، حيث نجد أنّه لم يمض نصف قرن حتى دُوّن لأجل القرآن الكريم الكثير من العلوم، كعلم النحو والصرف وعلم البيان والبديع، وظهرت عشرات التفاسير، وهذا ما لم نجده في غير القرآن الكريم من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، وهذا بنفسه يعدّ دليلاً على نموّ البشرية وبلوغها وقدرتها على حفظ كتابها السماويّ وتعليمه وتبليغه، بخلاف الكتب السابقة والرسالات السابقة، حيث نجد أنّ الأنبياء الذين أرسلوا لا تبقى دعوتهم على حالها، لتعرّض كتبها للتحريف، بل قد تضيع أساساً من أيدي الناس، كما حدث لكثير من

(١) الحجر: ٩.

(٢) فصلت: ٤٢.

الأنبياء حيث حرفت كتبهم أو اندرست تماماً، الأمر الذي يتوجّب إرسال شريعة أخرى أو نبيّ جديد لأجل هداية الناس بمقتضى حكمته تعالى في هداية الناس وعدم تركهم سدى.

جهات الإعجاز القرآنية

لاشكّ أنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للشريعة الإسلامية، الذي تحشّدت فيه الدلالات على إثبات خلوده الأبدي على مرّ الزمان والعهود ولمختلف طبقات الناس، وفي هذا المجال تساق أدلّة متعدّدة ينادي بها القرآن نفسه، لإثبات إعجازه الخالد، وسوف نعرض لمحة تصوّرية مختصرة لبعض جهات الإعجاز القرآنية[١]، تاركين التفاصيل إلى مجال آخر.

أولاً: في الفصاحة والبلاغة

والمقصود منه تحدّي جميع البشرية، وعلى طول الخطّ الزماني، ابتداءً من المشركين والكفّار الذين واجهوا الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في بداية دعوته وانتهاء إلى آخر إنسان يعيش على هذه الدنيا.

فعلى الرغم مما حظي به المشركون في بداية الدعوة من مؤهّلات استثنائية رفيعة في مجال الفصاحة والبلاغة، فقد تحدّاهم القرآن الكريم في مضمار قوّتهم هذه.

وقد كان التحدّي في بدايته يطرح فكرة الإتيان بمثل القرآن من دون أن يحدّد حجماً معيّناً للمقدار كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[٢]

---

(١) انظر: **الإعجاز** للسيد كمال الحيدري، بقلم: محمود الجياشي، دار فراقد، الطبعة الثالثة.

(٢) الإسراء: ٨٨

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[١].

ثم بدأ التحديد في عملية تدريجية، فألقى عليهم فكرة الإتيان بعشر سور مثله مفتريات، مهما كان حجم السور وبساطتها، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢].

وفي الصورة الثالثة تحدّاهم بأن يأتوا بسور مثله كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣] وهكذا نجد أنّ الله تعالى لم يترك لهم أيّ مجال للعذر فيما إذا أرادوا أن يلتمسوا الأعذار المألوفة في مثل هذه الحالات، ونحن لا نريد الدخول في أسباب هذا التدرّج في الآيات القرآنية، إلاّ أنّ النقطة التي نتوخّاها هي أنّ هذا التحدّي يبقى مستمرّاً وخالداً بخلود القرآن، ولمختلف طبقات الناس ليكون معجزة خالدة.

وهذا ما نجده في التأكيد القرآني الحاسم على أنّهم لن يستطيعوا مواجهة التحدّي بمثله في المستقبل وعلى مرّ الزمان؛ لأنّ القضية لا ترتكز على حالة آنيّة أو مستوى محدود قابل للتطوّر في المستقبل، بل ترتكز على الطبيعة البشرية التي لا تستطيع من خلال إمكاناتها الذاتية مواجهة ذلك.

فالقرآن الكريم يتحدّى البشرية منذ اليوم الأول وإلى آخر عمرها.

وقد بسط هذه الحقيقة الطباطبائي بقوله: «فقد تحدّى بلغاء العرب

(١) الطور: ٣٤.

(٢) هود: ١٣ - ١٤.

(٣) يونس: ٣٨.

الذين عُرفوا بالبلاغة والفصاحة بحيث لا يدانيهم أحد، مع ما هم عليه من حقد واستكبار على الرسالة الإسلامية، مضافاً إلى أنّ البشرية في كثير من عصورها وأدوارها ومناطقها كانت تعادي القرآن الكريم وتفتّش عن النواقص والعيوب ومواضع الزلل فيه، فلم تتمكّن من الوقوف أمام عظمته في مضمونه ومحتواه، وهذا أمر عظيم وهو أن تكون هناك معجزة دائمة ومستمرّة وخالدة، ومن ثمّ تكون دليلاً وبرهاناً على صحّة الرسالة الإسلامية وارتباطها بالله تعالى.

قد تحدّى عليهم القرآن بكلّ تحدّ ممكن مما يثير الحمية ويوقد نار الأنفة والعصبية. وحالهم في الغرور ببضاعتهم والاستكبار عن الخضوع للغير في صناعتهم مما لا يرتاب فيه، وقد طالت مدّة التحدي وتمادى زمان الاستنهاض فلم يجيبوه إلاّ بالتجافي ولم يزدهم إلاّ العجز ولم يكن منهم إلاّ الاستخفاء والفرار، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾، وقد مضى من القرون والأحقاب ما يبلغ أربعة عشر قرناً ولم يأت بها يناظره آت ولم يعارضه أحد بشيء إلاّ أخزى نفسه وافتضح في أمره. وقد ضبط النقل بعض هذه المعارضات والمناقشات، فهذا مسيلمة عارض سورة الفيل بقوله: (الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل؟ له ذنب وبيل وخرطوم طويل) وفي كلام له في الوحي يخاطب السجاح النبيّة (فنولجه فيكنّ إيلاجاً، ونخرجه منكن إخراجاً) فانظر إلى هذه الهذيانات واعتبر، وهذه سورة عارض بها الفاتحة بعض النصارى (الحمد للرحمن. رب الأكوان الملك الديان. لك العبادة وبك المستعان اهدنا صراط الإيمان) إلى غير ذلك من التقوّلات»[1].

---

(١) **الميزان**، مصدر سابق: ج١ ص٧٠

ثانياً: عدم وقوع الاختلاف في القرآن

هذه النقطة قد أضاءها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(١) ونحوها من الآيات الكثيرة التي تدلّ على أنّ القرآن الكريم لا اختلاف فيه؛ لأنّه كلام الله الواحد الحقّ الذي أنزله على الفطرة الواحدة.

نعم لو كان صادراً من إنسان لوجد فيه الاختلاف؛ لأنّ الإنسان حاله حال جميع الموجودات المادّية المتغيّرة، فتغيّرات البيئة والتغيّرات الحاصلة في باطنه تؤثّر في أوضاعه الروحية والآثار الصادرة منها، فمن جهة يكون الإنسان دائماً في حالة تكامل، يتعلّم أشياء لم يكن له بها علم من قبل فتؤثّر في كلامه.

ومن جهة أخرى فإنّ حالات الإنسان تتغيّر تحت تأثير العوامل الخارجية أحياناً والعوامل الباطنية أحياناً أخرى، فحالات الفرح والخوف والحزن.. تؤثّر في كلامه، فالإنسان في حالات الفرح أو النصر يختلف كلامه كثيراً عن حالات الحزن أو الهزيمة، فلا يستطيع أن يحافظ على لون واحد من الكلام من حيث البلاغة على طول عمره.

بيد أنّ القرآن الكريم كان على مستوى واحد من حيث البلاغة، وإن كانت نغمة الكلام فيه تختلف من مكان لآخر بما يتناسب مع المقام، إلاّ أنّ الكلّ على أرفع مستوى من البلاغة والفصاحة.

أمّا ما قيل من أنّ النسخ الواقع في القرآن هو دليل اختلافه؟

فجوابه: أنّ النسخ ليس من الاختلاف بشيء؛ بل هو من شؤون جعل

---

(١) النساء: ٨٢.

القانون وحدوده؛ لأنّ القانون وتشريع الأحكام إنّما يكون على طبق المصالح والمقتضيات، وهي تختلف بحسب الأزمان في بعض الأحيان.

وأمّا ما قيل من احتوائه على بعض المتناقضات، فهي وهم ليس لها أساس ترجع إلى ضعف الإدراك، وليس من النقص الواقعي على القرآن الكريم كما هو واضح، وبمراجعة ما ذكر من متناقضات، نجد أنّها تخيّل لا واقع له، فهي إمّا أن يكون بين عامّ وخاصّ، أو مطلق ومقيّد أو بين أمرين مختلفين زماناً أو مكاناً وغير ذلك مما لا يعدّ من الاختلاف والتناقض، كما هو واضح.

وقد تعرّضت بحوث كثيرة لذلك(١)، نكتفي بذكر ما قاله الطباطبائي من أنّه: «ما أشير إليه من المناقضات والإشكالات موجودة في كتب التفسير وغيرها مع أجوبتها ومنها هذا الكتاب، فالإشكال أقرب إلى الدعوى الخالية عن البيان. ولا تكاد تجد في هذه المؤلفات التي ذكرها المستشكل شبهة أوردوها أو مناقضة أخذوها إلاّ وهي مذكورة في مسفورات المفسّرين مع أجوبتها، فأخذوا الإشكالات وجمعوها ورتّبوها وتركوا الأجوبة وأهملوها، ونعم ما قيل: لو كانت عين الحبّ متّهمة فعين البغض أولى بالتهمة»(٢).

ثالثاً: التحدي بمن أنزل عليه

من وجوه إعجاز القرآن الكريم الأخرى أنّ حامله شخص لم يتلقّ درساً من العلماء، وإنّما كان يمثّل الحالة الاعتيادية لبيئته التي عُرفت بأشدّ

---

(١) انظر تفسير **روح المعاني**، مصدر سابق: ج١ ص٣٠.

(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج١، ص٦٩.

مناطق العالم تخلّفاً، فلم يكن صلّى الله عليه وآله يكتب أو يقرأ قبل بعثته، ولم يتلقَّ أيَّ تعليم من أيّ شخص كان.

فكان لسان حال النبي صلّى الله عليه وآله مع قومه: إنّي عشت معكم كلّ هذا العمر ولم تلاحظوا صدور مثل هذا الكلام منيّ، والآن وبعد أربعين عاماً من عمري لاحظتم صدور كلام يختلف عن كلامي السابق، فلو لم يكن من الله لوجدتم مثله فيما سبق، فهو إذاً كلام الله جرى على لساني، وقد حكى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[2] فلو كان صلّى الله عليه وآله متعلّماً لشكّ الذين يرمون إبطال الرسالة، وتذرّعوا بأنّه مما تعلّمه.

فمن خلال المقارنة بين شخصية النبي صلّى الله عليه وآله وما جاء به من تشريعات وأحكام وبين الظروف الاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، يتّضح أنّ ما جاء به النبي صلّى الله عليه وآله من هذه الأحكام والمفاهيم لا يمكن أن تكون من نتاج ذلك المجتمع المتخلّف، مضافاً إلى أنّ النبي صلّى الله عليه وآله نفسه كان يعيش أمّياً بين قومه، ولم يعرفوا عنه أنّه طلب العلم يوماً، أو كانت له هذه القدرة من البلاغة والفصاحة كالتي جاء بها القرآن الكريم.

فبمقارنة مستوى الجزيرة العربية المتخلّف في كلّ جوانب الحياة وبين المستوى العظيم للرسالة الإسلامية، يحصل اليقين بأنّ ما جاء به محمد صلّى الله عليه وآله هو من عند الله وليس من صنع البشر.

---

(١) يونس: ١٦.

(٢) العنكبوت: ٤٨.

رابعاً: إعجاز القرآن الكريم في جهات أخرى

فقد كان للقرآن الكريم جهات أخرى للإعجاز كالإعجاز في الجانب العلمي والغيبي، وكونه كتاباً جامعاً لجميع المعارف.

أمّا الإعجاز العلمي: فيتمثّل في اشتمال القرآن الكريم على الإشارة إلى بعض القضايا العلمية التي لم يكتشفها الإنسان إلاّ بعد وقت طويل من قبيل كروية الأرض التي أشارت إليها بعض الآيات التي تتحدّث عن ربّ المشرقَين ورب المغربين، أو ربّ المشارق والمغارب باعتبار أننا لا نفهم معنى معقول لتعدّد المشارق والمغارب إلاّ من خلال كروية الأرض التي نجد فيها الشمس تشرق عندنا وتغرب عند قوم آخرين وبالعكس، والتلقيح بالرياح كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[1] وحركة الأرض كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[2] ووجود موجودات في السماء كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[3].

مضافاً إلى الآيات التي تعرّضت لأدقّ المعارف العقائدية والسياسية والاقتصادية، التي تكفل سعادة البشرية وصلاحها على مرّ الأزمان إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

(١) الحجر: ٢٢.
(٢) طه: ٥٣.
(٣) البقرة: ٢٢.
(٤) النحل: ٨٩.

وقال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1].

أمّا إعجاز القرآن الكريم في مجال الغيب، وإخباره عن مغيّبات، سواء فيما كان ما يتعلّق بالماضي الذي لم يكن لأحد من الناس سبيل إليها كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3] أو فيما يتعلّق بالأحداث التي تقع في المستقبل كقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[4] التي أخبرت المسلمين بالانتصار المستقبلي للروم على الفرس.

كما أخبر تعالى المسلمين بفتح مكّة المكرّمة التي كانت حصناً منيعاً للمشركين كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[5].

وهنالك جهة إعجاز أخرى للقرآن الكريم وهي جامعية نظامه التشريعي لجميع المعارف الاعتقادية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والعسكرية وكلّ ما يحتاجه الإنسان في حياته، فالإحاطة بجميع هذه التخصّصات دليل على إعجاز القرآن الكريم وعلى أنّه من الله تعالى، فضلاً عن قدرة هذا التشريع على الصمود والاستمرار أمام التطوّرات والمتغيّرات الحياتية، من دون أن يتعرّض لخلل في حلّ مشاكل الإنسان والحياة. وهذا بنفسه دليل آخر على إعجاز القرآن الكريم.

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) هود: ٤٩.

(٣) آل عمران: ٤٤.

(٤) الروم: ٢ ـ ٤.

(٥) الفتح: ٢٧.

الفارق الثالث: الرسالة الإسلامية رسالة عالمية

إنّ الرسالة الإسلامية رسالة عالمية لا تختصّ بطائفة معيّنة أو بمجموعة خاصّة، وهو أمر واضح لدى أدنى مراجعة لآيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢) ومن الواضح أنّ مفهوم العالمين لا يختصّ بزمان معيّن أو طائفة خاصّة.

أمّا الرسالات الأخرى فهي مهما امتدّت، فإنّها تخاطب جماعة معيّنة من الناس، فمثلاً رسالة عيسى عليه السلام الذي جاء ليحلّل ما حرّمت التوراة على بني إسرائيل، فهي وإن كانت عامّة لكنها لم تتمكّن أن تمتدّ إلى خارج الوجود الإسرائيلي.

وهكذا الحال في الرسالات الأخرى. فاليهودية مثلاً كانت منذ البداية في بني إسرائيل، ولإنقاذ بني إسرائيل ـ كما يذكر القرآن الكريم ـ وهكذا الحال بالنسبة لإبراهيم عليه السلام.

إذاً الرسالات السابقة كانت تتحرّك في حدود ليست بالمستوى العالمي وإن كان مضمون بلاغها عالمياً، باعتبار أنّ الدين منذ بدايته كان عالمياً.

أمّا الرسالة الإسلامية فامتازت بعالميّتها، ليس فقط في البلاغات والمضامين، وإنّما في كلّ حركتها؛ لذا وجدنا أنّها تمكنت في فترة قياسية أن تمتّد امتداداً هائلاً في مختلف الأماكن والشعوب وشهدنا دخول الناس في الإسلام عن طوع ومحبّة.

---

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) الفرقان: ١.

الفارق الرابع: الرسالة الإسلامية رسالة شاملة

إنّ الرسالة الخاتمة شاملة لكلّ مرافق الحياة بشكل لا نجد له نظير في الرسالات السابقة، حيث تعرّضت الرسالة الخاتمة لكلّ التفاصيل التي تواجه الإنسان في حياته؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وقال أيضاً: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾[2] فكل ما تحتاجه البشرية في مستقبلها فهو مدرج في الشريعة الإسلامية؛ لذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما من شيء يقرّبكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار إلاّ وقد أمرتكم به، وما من شيء يبعدكم عن الجنة ويقرّبكم إلى النار إلاّ وقد نهيتكم عنه**»[3] وقال صلّى الله عليه وآله: «**حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة**»[4].

وهذا بخلافه في الشرائع السابقة التي كانت تتضمّن أحكاماً محدودة لجماعة خاصّة من الناس، ولم تكن مستوعبة ومستوفية لكل جوانب الحياة كما هو واضح.

ومن هنا نجد أنّ الفقهاء يقولون: إنّ لكلّ واقعة حكماً، ولا يمكن أن تشذّ واقعة من الوقائع عن حكم من الأحكام وضعته الرسالة الإلهية، وسنتناول الأدلّة على هذه النظرية عند استعراضنا لأدلّة الشموليّة والعالمية للشريعة، وستتّضح سعة نطاق الشموليّة وحدودها.

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الأنعام: ١١٤.

(٣) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢، ص٧٤.

(٤) **الكافي**: ج١، ص٩.

الأدلّة على شموليّة الرسالة الخاتمة

أُقيمت عدّة أدلّة وبراهين لإثبات الشموليّة للرسالة الإسلامية، ومن هذه الأدلّة:

الدليل الأوّل: الآيات القرآنية

تمهيد: مما يجدر الالتفات إليه هو أنّ لفظ الشمولية لم يرد في القرآن الكريم، وإنّما هنالك ألفاظ أخرى مقاربة لهذا المعنى، كما في قوله تعالى ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، و﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[4] ونحوها من الألفاظ الدالّة على الشمولية والجامعية للرسالة.

وفيما يلي نستعرض بعض النصوص القرآنية الدالّة على شمولية الرسالة الخاتمة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5]، وهي واضحة الدلالة على أنّ القرآن الكريم فيه

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الأنعام: ١٥٤.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) الأنعام: ٣٨.

(٥) يوسف: ١١١.

تبيان لكلّ شيء مما يحتاج إليه الإنسان في أمور دينه ودنياه، من الأحكام والأوامر العلمية والعملية وإن لم تكن مفصّلة، لاقتصار القرآن الكريم على بيان القواعد الكلّية دون الدخول في التفاصيل والجزئيات التي تصدّى لبيان بعضها وعيّن من يُرجع إليه في هذه الأمور الجزئية والتفاصيل الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فالآية واضحة الدلالة على شمولية الرسالة الخاتمة كما هو واضح من تعبيرها بـ «كلّ» الظاهر في شموله لكلّ شيء، مما له مدخلية في كمال الإنسان وسعادته الأبدية التي لا يقدر العقل على بيانها، أو ليس له القابلية للوصول إليها.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[3]، ومن الواضح أنّ المراد بـ «الكتاب» هو القرآن الكريم، لأنّ الألف واللام للعهد الذكري أي المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، وعلى هذا فيكون المراد من الكتاب في هذه الآية هو القرآن الكريم.

ويؤيّد ذلك ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الأنعام: ٣٨.

من استدلاله بهذه الآية الكريمة على شمولية القرآن، حيث قال: «**أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيه تبيان كلّ شيء**» فحمل عليه السلام لفظ «الكتاب» في الآية على القرآن الكريم نفسه.

قال الآلوسي: «المراد من الكتاب القرآن، واختاره البلخي وجماعة فإنّه ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا، بل وغير ذلك مفصّلاً»[(١)].

وبهذا يتّضح أنّ الآية دالّة على أنّ القرآن الكريم كتاب شامل لم يفرّط بشيء، يتضمّن جميع ما يُحتاج إليه في أمور الدين والدنيا.

ومن الجدير بالذكر أنّ القول بشمولية القرآن الكريم لكلّ ما يحتاجه الإنسان في أمر دينه لا العلوم الأُخرى كالعلوم الطبية والرياضية ونحوها، إذ المتبادر من قوله «لا يفرّط فيه» هو ما يدخل في دائرة الهداية وما يرتبط بها من أمور، وإن كان أيضاً يشتمل على العلوم الأخرى إلاّ أنّها لا تقع في دائرة مسؤولية القرآن الكريم.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)]. وبيان ذلك:

إنّ الآية المباركة تدلّ على أنّ الله تعالى قد بيّن كلّ ما ينبغي بيانه ممّا يحتاج

---

(١) **روح المعاني**، مصدر سابق: ج٧، ص١٤٤.

(٢) المائدة: ٣.

إليه الإنسان في دينه ودنياه، وهذا هو معنى شموليّة الرسالة وجامعيتها.

وقد أشارت البحوث التفسيرية الواردة في ذيل الآية المباركة إلى أنّ الدين الأكمل يتمثّل ببيان من يقوم مقام النبيّ وأهل البيت صلّى الله عليهم.

الدليل الثاني: النصوص الروائية

هنالك جملة من الروايات التي تدلّ على شموليّة وجامعيّة الرسالة الإسلامية نشير إلى جملة منها:

١ـ عن الإمام الباقرعليه السلام قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلّى الله عليه وآله وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً**»(١).

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتى والله ما ترك شيئاً تحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبدٌ يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن، إلاّ وقد أنزله الله فيه**»(٢).

٣ ـ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أيضاً قال: «**ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال**»(٣).

٤ ـ عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**أيّها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى أرسل إليكم**

(١) **من لا يحضره الفقيه**، مصدر سابق: ج٤ص٢٥

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج١، ص٥٩.

(٣) **المحاسن**، مصدر سابق: ج١ص٢٦٨.

الرسول صلّى الله عليه وآله وأنزل إليه الكتاب بالحقّ وأنتم أمّيّون عن الكتاب ومن أنزله. وعن الرسول صلّى الله عليه وآله ومن أرسله، على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعمى عن الحقّ، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظّ من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنّات الدنيا، ويبس من أغصانها، وانتثار من ورقها، ويأس من ثمرها، واعورار [في مخطوطة النهج: واغورار] من مائها، قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى، فالدنيا متّجهة في وجوه أهلها مكفهرّة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، ومُزّقتم كلّ ممزّق وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموءودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيّب العيش ورفاهية خفوض الدنيا، لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً، حيّهم أعمى نجس وميّتهم في النار ملبس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام. ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إنّ فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم»[1].

٥ـ عن أيوب بن الحرّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الله عزّ ذكره ختم بنبيّكم النبيّين فلا نبيّ بعده أبداً، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً، وأنزل فيه تبيان كلّ شيء، وخلْقكم، وخلْق السماوات والأرض، ونبأ ما قبلكم، وفصْل ما بينكم، وخبر ما بعدكم، وأمْر الجنة

(١) الكافي، مصدر سابق: ج١، ص٦١.

والنار، وما أنتم صائرون إليه»[١] .

فهذه الرواية وإن لم تتحدّث بصراحة عن شموليّة القرآن الكريم، إلاّ أنّها تضمّنت تعبيرات تدلّ على شمول القرآن الكريم للأحكام في الدائرة الدينية، من قبيل تعبيره عليه السلام بـ: «**أنزل فيه تبيان كلّ شي**».

٦ـ عن الإمام الكاظم عليه السلام قال الراوي: «قلت له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله، أو تقولون فيه؟ قال: **بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله»**[٢].

ومن جميع ما تقدّم يتّضح أنّ القرآن الكريم هو تبيان لكل شيء، من خلال بيان الأمور الكلّية والقواعد العامّة، أمّا بيان الجزئيات والتفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم، فقد أوكلت مهمّة بيانها إلى السنّة النبوية

فشموليّة القرآن لا تعني بالضرورة تعرّضه لبيان الجزئيات والتفاصيل؛ ومن هنا حينما نأتي إلى الفرائض كالصلاة والصوم وغيرها من العبادات، فلا يتعرّض القرآن الكريم إلى تفاصيلها وجزئياتها من عدد ركعات الصلاة وتفصيلات فروع أحكام الصوم والحجّ والزكاة و...

الدليل الثالث: خاتميّة الرسالة دليل شموليتها

ينطلق هذا الدليل من كون الرسالة الإسلامية رسالة خاتمة لكلّ الرسالات والشرائع السابقة، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[٣] . فعلى

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج١، ص٢٦٩.

(٢) **الكافي**: ج١، ص٦٢.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

هذا الأساس لابدّ أن تكون أحكام الرسالة الخاتمة شاملة وعامّة لكلّ ما تحتاجه البشريّة وعلى مرّ العصور، وإلاّ لم تكن الرسالة خاتمة؛ لأنّه يلزم عدم كونها مستوعبةً وملبيّةً لجميع جهات الاحتياج في الحياة، وهو ينافي خاتميّتها. وقد أشار إلى هذا المعنى الطباطبائي بقوله:

«إنّ الدين لا يزال يستكمل حتى يستوعب قوانينه جهات الاحتياج في الحياة، فإذا استوعبها ختم ختماً فلا دين بعده، وبالعكس إذا كان دين من الأديان خاتماً كان مستوعباً لرفع جميع جهات الاحتياج، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾»[١].

الفارق الخامس: فتح باب الاجتهاد في الرسالة الخاتمة

معنى الاجتهاد هو استنباط الحكم الشرعي أو تشخيص الموقف العملي عن طريق استخدام الأدلّة والموازين الشرعية التي وضعها الشارع للوصول إلى الحقائق والموافقة الشرعية.

ولا نريد الدخول في لجّة الآراء والتعاريف، إذ إنّنا نرمي الإشارة إلى دور الاجتهاد وأهميّته في الشريعة الإسلامية وكيفية معالجته للحالات الطارئة، ومن الواضح أنّ الاجتهاد لا تنحصر وظيفته في استنباط الأحكام المتعلّقة بالقضايا الثابتة، كأحكام الصلاة والوضوء والحجّ ونحوها

(١) فصلت: ٤١ ـ ٤٢.

فحسب، وإنّما مساحة كبيرة من مهمّته تتناول المسائل المستجدّة والمتجدّدة وعلاجها علاجاً شرعياً، وهذا هو السبب وراء ضرورة استمرار الاجتهاد وعدم احتكاره في أشخاص معيّنين أو في زمان معيّن، بل يبقى بابه مفتوحاً مهما تقادم الزمان للحفاظ على ديمومة الشريعة في استجابتها للحاجات المتغيّرة والمستجدّة. فالاجتهاد في مرحلة الخاتمية شرط أساس مهمّ في بقاء الإسلام خالداً.

وفي هذا الضوء فلابدّ أن تتوفّر بالمجتهد ـ بالإضافة إلى الشروط الخاصّة كالاجتهاد والعدالة والعقل والكفاءة ـ الخبرة اللازمة بالأوضاع الاجتماعية السائدة والظروف السياسية، وأولويات المصالح والمنافع، والقدرة على إدارة شؤون الناس بالشكل الذي يحقّق لهم مصالحهم ودفع المفاسد والأضرار المحتملة.

وهذه الخصوصية لم نجدها في الشرائع السابقة، لأنّ الأنبياء في الشرائع السابقة على قسمين، أحدهما الأنبياء الذين يأتون بشرائع كأنبياء أولي العزم، وقسم آخر من الأنبياء يأتون لحفظ الشريعة التي جاء بها الأنبياء مع معالجة المستجدّات الطارئة على تلك الشريعة، فمثلاً النبي نوح جاء بشريعة، أمّا الأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا أيضاً على شريعة نوح إلى زمان إبراهيم، إلاّ أنّ وظيفتهم كانت حفظ شريعة نوح مع إعطاء المعالجات على ما طرأ على تلك الشريعة، وهكذا الأمر بالنسبة للأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام.

وفي هذا الضوء عندما نأتي إلى الشريعة الخاتمة التي أخذت على عاتقها معالجة كلّ المشكلات التي يحتاجها الإنسان في كلّ عصر وزمان، نجد أنّها تمكّنت من معالجة المستجدّات وتلبية متطلّبات كلّ عصر الآخذة بالتبدّل والتطوّر بشكل واضح؛ لأنّ عملية الزمن لا تتوقّف عند نقطة من النقاط.

فالمجتهد إذاً يقوم بتنظيم البرامج المناسبة لحاجات العصر. وهذا المعنى تلخّصه الرواية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله «**علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل**»[١]، فكما أنّ وظيفة أنبياء بني إسرائيل هي حفظ الشريعة ومعالجة المستجدّات الحادثة في فترة ما بعد الشريعة، كذلك العلماء في الشريعة الخاتمة يقومون بنفس الدور الذي قام به أنبياء بني إسرائيل من حفظ الشريعة من الضياع والانحراف، مضافاً إلى معالجة ما يطرأ من متغيّرات ومستجدّات في ضوء الشريعة.

والنقطة الجديرة بالالتفات هي أنّ حفظ الشرائع السابقة من خلال أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا معصومين ومرتبطين بالله تعالى يكشف عن أمر في غاية الأهمّية، وهو أنّ البشرية آنذاك لم تكن قد وصلت إلى درجة من الرشد والتكامل لكي تستطيع أن تتحمّل هذه المسؤولية، أمّا في الشريعة الخاتمة فإنّ الأمّة قد وصلت إلى درجة من الرشد تستطيع من خلاله أن تتحمّل هذه المسؤولية وأن تقوم بهذه المهمّة.

إذاً فتح باب الاجتهاد الذي امتازت به الرسالة الخاتمة يعدّ واحداً من أهمّ الطرق لحفظ وديمومة وبقاء الشريعة، فلو لم يكن باب الاجتهاد مفتوحاً، لما كان لها القابلية على الاستمرار والبقاء.

المبحث الرابع: الفرق بين الشرائع السماوية والنظريات الفلسفية

امتازت الشرائع السماوية عن النظريات الفلسفية بعدّة امتيازات، منها:

الفارق الأول: تكامل الشرائع الإلهية.

الفارق الثاني: تجسيد الأنبياء العملي للرسالات السماوية.

---

(١) **مستدرك الوسائل**، مصدر سابق: ج١٧، ص٣٢٠.

١. تكامل الشرائع الإلهية

لاشكّ أنّ النظريات الفلسفية والكلامية تنطوي على اتّجاهات متنافية، بل تصل إلى حدّ التقاطع والتناقض، ولعلّ عالماً واحداً يبني على مجموعة من النظريات الفلسفية في زمان، إلاّ أنّه في زمان آخر يعكس اتجاهه بنحو يخالف تماماً ما بنى عليه سابقاً.

فالخطّ البياني للنظريات الفلسفية هو خطّ ذو تعرّجات كبيرة وتسجَّل فيه اختلافات بل تقاطعات وتناقضات كثيرة جداً.

إنّ النظرية الفلسفية عندما تأتي تهدم ما قبلها من نظريات وتناقضها وتقاطعها وتقف منها موقف المناقضة الحادّة، فلا يوجد بينها في كثير من الأحيان قاسم شترك يوحّدها، أمّا حين نأتي إلى الشرائع الإلهية فنجدها جميعاً تسير سيراً تدريجياً نحو هدف واحد وصراط مستقيم واحد.

إنّ المبادئ التي دعا لها الأنبياء واحدة، وإن اختلفت في بعض التفاصيل وفقاً لمقتضيات المراحل والأزمنة؛ فالتجديد في الشرائع والكتب إنّما كان بسبب تبدّل حاجات البشر من مرحلة إلى أخرى، ففي كلّ مرحلة جديدة تحتاج لرسالة وشريعة جديدة، تتضمّن إيجابيات الشريعة السابقة مع ما تحتاجه المرحلة الجديدة من مستجدّات.

ولذا أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة وهي: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١) وأنّ جميع الأنبياء يسيرون على صراط هذا الدين الواحد، ذي الهدف الواحد وإن اختلفت الشرائع، فهو دين واحد وضع بوضع الشريعة الأولى واكتمل في الشريعة الخاتمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

---

(١) آل عمران: ١٩.

نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾(١)، نعم تختلف الشرائع وتتبدّل تبعاً لما تفرضه سنّة التطوّر وما تقتضيه الحكمة وحاجة المجتمع.

فدين الله واحد، وهو الذي أرسل به رسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وهو ذاته الذي أوصى به أنبياءه السالفين وفرض على الناس أن يقيموه ونهاهم أن يتفرّقوا فيه؛ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ * وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٥).

فالبشر في مسيرهم التكامل كالقافلة التي تتحرّك في طريق معيّن نحو هدف معلوم، إلاّ أنّها لا تعرف الطريق، فتصادف في كلّ فترة شخصاً يعرف الطريق، وبعد الاستدلال به تطوي مسافة أخرى حتى تصل مكاناً تحتاج معه إلى دليل آخر، وبعد أن تأخذ توجيهات منه، تطوي مسافة أخرى

(١) المائدة: ٣.
(٢) الشورى: ١٣.
(٣) المؤمنون: ٥١ - ٥٢.
(٤) البقرة: ١٣٦.
(٥) آل عمران: ٦٧.

مستعينة بما أخذته من توجيهات، وهكذا حتى تصل تدريجياً إلى شخص تأخذ منه الخارطة الكاملة وتستغني دوماً بتلك الخارطة عن دليل جديد.

أو كالطبيب الذي يصف للمريض لكلّ شهراً علاجاً خاصّاً يتناسب مع حالته ودرجة تحمّله للعلاج، فالعلاج وإن اختلف من مرحلة لأخرى إلاّ أنّ هدف الطبيب واحد وهو علاج المريض والوصول إلى كماله البدني وسلامته.

وهكذا الحال بالنسبة للشرائع الإلهية، فهي تسير نحو هدف واحد ومقصد واحد، وإن اختلفت وتفاوتت في تعليماتها وتفاصيلها، وإنّ كلّ شريعة لاحقة تكمل الشريعة السابقة لا أنّها متباينة أو متقاطعة معها.

والحاصل أنّ صراط الأنبياء الذين هداهم الله إليه وإن كان يختلف بحسب ظاهر الشرائع سعةً وضيقاً إلاّ أنّ ذلك إنّما هو بحسب الإجمال والتفصيل وقلة استعداد الأمم وكثرته، والجميع متّفق في حقيقة واحدة وهو التوحيد الفطري والعبودية التي تهدى إليه البنية الإنسانية بحسب نوع الخلقة التي أظهرها الله سبحانه على ذلك. ومن المعلوم أنّ الخلقة الإنسانية بما أنّها خلقة إنسانية لا تتغيّر ولا تتبدّل تبدّلاً يقضى بتبدلّ أصول الشعور والإرادة الإنسانيين؛ فحواسّ الإنسان الظاهرة وإحساساته وعواطفه الباطنة ومبدأ القضاء والحكم الذي فيه وهو العقل الفطري لا تزال تجرى بحسب الأصول على وتيرة واحدة وإن اختلفت الآراء والمقاصد بحسب الاستكمال التدريجي الذي يتعلّق بالنوع والتنبّه بجهات حوائج الحياة.

وعلى هذا الأساس تكون الشريعة الخاتمة واجدة لكمالات الشرائع السابقة وزيادة، بمعنى أنّها قادرة على الاستجابة لكلّ متطلبات الإنسان مهما بلغت من درجات التكامل المادّي والمعنوي، بخلافه في الشرائع

السابقة، فإنّ البشرية حينما تصل إلى مرحلة من التكامل المادّي والمعنوي لا يعود لها القدرة على أن تستجيب لكلّ المتطلّبات؛ فتقتضي الحكمة الإلهية إنزال شريعة جديدة. فالشريعة الخاتمة قادرة على الوفاء بما يحتاجه الإنسان في مراحل تكامله مهما بلغ، وهذا بخلافه في النظريات الفلسفية

٢. تجسيد الانبياء العملي للرسالات السماوية

من الخصائص والامتيازات التي تتمتّع بها الرسالات والشرائع الإلهية، التجسيد العملي لها على أرض الواقع، وأنّ الذي يأتي بتلك الشريعة يكون المجسّد الأول لها في الواقع العملي، وقد حفل القرآن الكريم بنقل القصص الكثيرة للأنبياء لأجل بيان تاريخهم فيما يتعلق بالمسيرة التكاملية لله تعالى. فكلّ خصوصية من الخصوصيات الشخصية للأنبياء لها تعلق وارتباط بالمسيرة التكاملية لهم، فإنّ القرآن يعكسها في نصوصه الشريفة، تاركاً الخصوصيات الأخرى التي لا ترتبط بالجانب التكاملي للأنبياء، من قبيل زواج النبيّ أو أولاده أو كيف يمشي أو يأكل، ونحوها من التفاصيل التي لا تمتّ بالجانب التكامل والسير إلى الله تعالى بصلة.

وما ذلك إلاّ لأجل أنّ تاريخ الأنبياء في القرآن الكريم هو تاريخ البشرية الصالحة التي سارت في طريق الله تعالى، وهو تاريخ البشرية التي نالت شرف العبودية لله تعالى.

ومن هنا حثّ القرآن الكريم البشرية على ضرورة الاقتداء والتأسّي بالأنبياء؛ قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١]، ومن الواضح أنّ هذا الأمر لا يختصّ بنبيّنا

(١) الأحزاب: ٢١.

صلّى الله عليه وآله، وإنّما هو حكم عامّ يسري لجميع الحجج الإلهية من الأنبياء والأوصياء؛ قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾(١) وقال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾(٢) التي فسّرت بالأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وكذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾(٣).

إذاً القدوة والتجسيد العملي للرسالات السماوية من أهمّ الوظائف والأدوار التي قام بها أصحاب الشرائع الإلهية، ليكونوا شرائع سماوية ناطقة تتحرّك على أرض الواقع يجسّد المفاهيم التي جاءوا بها.

وهذا بخلاف النظريات الفلسفية الأخرى، التي تفتقر لمن يجسّدها في الواقع؛ لأنّ الفيلسوف يطرح النظرية مجرّدة ومن دون إعطاء تجسيد عملي يقتدى به على أرض الواقع.

المعطيات المترتّبة على تجسيد الأنبياء للرسالات الإلهية

يمكن تلخيص أهمّ المعطيات العملية المترتّبة على تجسيد الأنبياء للرسالات الإلهية بما يلي:

أولاً: إنّ تجسيد الأنبياء للرسالات الإلهية مكمّل لدور المفاهيم النظرية في عملية تربية وتكامل الإنسان؛ لأنّ الإنسان مطبوع على الارتباط بالأشياء من المواقع المحسوسة التي يعيشها في حياته العملية في الوصول إلى الهدف والغاية؛ فالإنسان عندما يجد أمامه قدوة تتحرّك وتجسّد ما تأمره،

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الفاتحة: ٧.

(٣) الأنعام: ٩٠.

عند ذلك يكون التأثير في نفسه أوقع وأشدّ بحيث لا يضاهيه تأثير الألفاظ والوعظ والأوامر المجرّدة. ومن هنا كان للأنبياء والأوصياء تأثير كبير في البشرية، أكثر بكثير من النظريات الفلسفية الكلامية.

ومن هنا كانت قضيّة القدوة شرطاً أساسياً في نجاح أيّة حركة في الحياة؛ لأنّ القدوة هو الذي يعطيها التجسيد الحيّ الذي يحقّق بها مصداقيّتها الواقعية، وهذا ما نلمسه كثيراً في توجيهات أئمّة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم بضرورة الدعوة لهم عملياً كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإنّ ذلك داعية**»(١)، وفي كلمات الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله: «**ما أمرتكم بشيء إلا ائتمرت به قبل أن آمركم به**» ومن هنا نفهم قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾(٢)

وعندما نرجع إلى حياة الأنبياء والأئمة عليهم السلام نجدها حافلة بما يفوق حدّ الإحصاء فيما يجسّده عملهم وسلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الناس.

ثانياً: من الأدوار المهمّة التي يعكسها التجسيد العملي للشريعة هو الحيلولة دون الوقوع في خطأ فهم النظرية؛ لأنّ الاقتصار على النظرية فقط من دون تطبيق عمليّ لها يسبّب للناس غموضاً في الرؤية وارتباكاً في الاستنتاج؛ مما يجعل الناس يعيشون في تيه من الاحتمالات المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال نذكر ما جسّده الإمام الحسين عليه السلام للنظرية من خلال موقفه العملي المتمثل بمواجهة الحكم الأموي، فلو لم يجسّد الإمام

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٨.

(٢) النساء: ٥٩.

عليه السلام النظرية الإسلامية بهذا الموقف، لكانت الحالات المماثلة لموقف الإمام عليه السلام عرضه للاحتمالات المتنوّعة ولحصل التردّد والغموض في فهم النظرية. لكن بتجسيد الإمام عليه السلام عملياً، أُغلقت كلّ منافذ الريب والتردّد. فالتجسيد العملي يسدّ باب الاحتمالات المتعدّدة، بخلاف النظرية المجرّدة عن التطبيق.

إذاً سرّ الحاجة إلى القدوة والتجسيد العملي يكمن في منع الوقوع في خطأ الفهم للنظرية.

ثالثاً: إنّ التجسيد العملي يُخرج النظرية من المثالية إلى الواقعية؛ لأنّ الناس يرون صعوبة في تطبيق النظرية على أرض الواقع، لكن التطبيق العملي والتجسيد من قبل صاحب النظرية يعطي للنظرية إمكانية تطبيقها من قبل الناس، وهذا ما نشاهده في مسيرة أهل البيت عليهم السلام. فعندما قُدّم الحليب لأمير المؤمنين عليه السلام وكان هو يعيش المعاناة والآلام والجراح التي ينزف منها جرّاء الضربة الغادرة لابن ملجم، نجده يسأل عن ضاربه وأنّه هل سقي مما شرب؟ فهذه الممارسة العملية للنظرية الإسلامية تمثّل منهجاً حيّاً يستمدّ المؤمن منها وقود حركته، وأن النظرية ليست مجرّد حالة مثالية بحتة؛ ولذا قد تواجه هذه الحالة الاعتراضات الكثيرة من قبل الناس فيما لو جرّدت من التطبيق العملي، متذرّعين بأنّها حالة مثالية غير قابلة للتطبيق. وهناك شواهد متظافرة تلتقي مع هذه الحالة عاشها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

رابعاً: إنّ أهمية تجسيد الأنبياء والأوصياء للرسالات الإلهية تكمن في بيان درجات النظرية، وعلى أيّ مستوى وأيّ مدى يستطيع الإنسان تطبيقها. فالشرائع الإلهية التي ترمي للوصول إلى القرب الإلهي، الذي له

درجات متفاوتة، قد يتصوّر الإنسان عدم إمكانية الوصول لبعضها، إلاّ أنّ القدوة حينما تتسامى في سلّم هذه الدرجات والوصول إلى الدرجات العالية، إلى أن يبلغ إلى قاب قوسين أو أدنى كما حصل لنبيّنا صلّى الله عليه وآله، يتبيّن للإنسان أنّ هذه الدرجات العالية ليست مجرّد حالة نظرية لا يمكن تطبيقها، بل هي ممكنة التطبيق مما يدفع الإنسان للسعي في الوصول إليها.

فالأنبياء والأوصياء يمثّلون صورة شاخصة للدين الحقّ لكي يصوغ الناس نفوسهم على مثالها، إذا كان يرغبون في الوصول إلى الغاية.

فهم يعيشون الرسالة في فكرهم وحركتهم حتى كان كلّ واحد منهم شريعة إلهية متحرّكة، ليكونوا المثل الأعلى للبشرية التي تمدّ الحياة كلّها بالعطاء والخير، وتملأها بكلّ المعاني السامية.

المبحث الخامس: أفضلية النبي صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء

من الحقائق المهمّة التي يسجّلها القرآن الكريم تفاضل الرسل فيما بينهم في الفضل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(١) وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢) وثمّة حقيقة أخرى يسجّلها القرآن الكريم أيضاً، نالت اتّفاق المسلمين جميعاً، وهي أنّ أفضل الأنبياء هم أولو العزم من الرسل، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾(٣). ومن المعلوم أنّ القرآن الكريم لم يقتصر على إطلاق مفهوم

---

(١) الإسراء: ٥٥.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

أولي العزم فحسب، بل حدد لنا من هم أولو العزم وشخّصهم بأسمائهم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(١) وهذه الحقيقة أيضاً موضع إجماع واتّفاق المسلمين.

لكن السؤال: من هو أفضل الأنبياء مطلقاً؟

نقول: إنّ أفضل الأنبياء مطلقاً هو نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وهو من الحقائق الإسلامية التي أجمع عليها جميع المسلمين، بل لعلّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ أفضلية نبيّنا على جميع الأنبياء من البديهيات والضرورات الإسلامية التي تعلو على البرهنة والاستدلال، إلاّ أننا مع ذلك لم نهمل إقامة الاستدلال على هذه الحقيقة.

الأدلّة على أفضلية نبينا صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء

هنالك عدّة من الأدلّة القرآنية لإثبات هذه الحقيقة منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(١).

فقد عدّ الله تعالى أولي العزم على ترتيب زمانهم، ولكن قدّم ذكر النبي صلّى الله عليه وآله وهو آخرهم زماناً. ومن المعلوم أنّ تقديم نبيّنا صلّى الله عليه وآله لم يأتِ جزافاً، إذ لا موضع للجزاف في القرآن الكريم، مما يكشف عن حقيقة مهمّة وهي تفضيله وشرفه وتقدّمه على جميع الأنبياء.

قال الآلوسي في تفسير الآية: «تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بيّناً للإيذان بمزيد مزيّتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، واشتهر أنّهم هم أولو الزم من الرسل صلوات الله تعالى

---

(١) الأحزاب: ٧.

وسلامه عليهم أجمعين وأخرج البزار عن أبي هريرة أنّهم خيار ولد آدم عليهم الصلاة والسلام وتقديم نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلم مع أنّه آخرهم بعثة؛ للإيذان بمزيد خطره الجليل أو لتقدّمه في الخلق»(١).

ويؤيّد ذلك ما ورد في جملة من الروايات الصحيحة من الفريقين على أنّ النبي صلّى الله عليه وآله أوّل المخلوقات خلقاً لله وآخرهم بعثاً:

أخرج القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ**﴾ عن أبي هريرة: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سئل عن قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ**﴾ قال: «**كنت أوّلهم في الخلق وآخرهم في البعث**»(٢).

قال الشوكاني: حديث «**كنت أوّل النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**» له شاهد، صحّحه الحاكم بلفظ كنت نبياً(٣).

وقال المناوي: «بأن جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها، وأفاض عليها وصف النبوّة من ذلك الوقت»(٤). وهذا يكشف أنّ نور النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله سبق وجود الأنبياء عليهم السلام.

وفي حديث جابر بن عبد الله، قال: «قلت لرسول الله صلّى الله عليه وآله: أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: **نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير**»(٥)

(١) **روح المعاني**، مصدر سابق: ج٢١ ص١٥٤.
(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي: ج١٤، ص١١٦.
(٣) **الفوائد المجموعة**، الشوكاني: ص٣٢٦.
(٤) **فيض القدير**، المناوي: ج٥ ص٥٣.
(٥) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٢٤.

وعن جابر أيضاً قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقّه من جلال عظمته**»[(١)].

و أخرج الحاكم عن ميسرة الفخر، قال: «قلت لرسول صلّى الله عليه وآله متى كنت نبيّاً؟ قال: **وآدم بين الروح والجسد**».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث الأوزاعي[(٢)]. وقال الذهبي: صحيح[(٣)].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[(٤)].

من الواضح أنّ التعبير بالبشارة لا يصدق إلاّ على الخبر الذي يسرّ المبشَّر، ولا تكون البشارة إلاّ بالشيء المفقود عند المبشَّر، وبشارة المسيح عليه السلام بظهور الإسلام فيها إشارة رائعة إلى أنّ ما عند الخاتم لو كان أقلّ مما عند السابقين أو مساوياً لما صدقت البشرى.

فالرسالة العيسوية التي تطلّ على الماضي والمستقبل، هي من جهة تصدق التوراة ككتاب منزل من الله تعالى، ومن جهة أخرى تبشّر بالرسول محمد صلّى الله عليه وآله الذي يأتي بعدها.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[(٤)]: «إشارة إلى الشطر الثاني من رسالته عليه السلام، وقد أشار إلى الشطر الأوّل بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾. ومن المعلوم أنّ البشرى هي الخبر الذي يُسِرّ المبشَّر ويفرحه ولا يكون إلاّ بشيء من الخير

(١) **بحار الأنوار**: ج ١٥، ص ٢٤.

(٢) **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري: ج٢، ص٦٦٥.

(٣) بهامش **المستدرك على الصحيحين**: ج٢، ص٦٦٥.

(٤) الصف: ٦.

يوافيه ويعود إليه، والخير المترقَّب من بعثة النبي ودعوته هو انفتاح باب من الرحمة الإلهية على الناس فيه سعادة دنياهم وعقباهم من عقيدة حقّة أو عمل صالح أو كليهما، والبشرى بالنبيّ بعد النبيّ وبالدعوة الجديدة بعد حلول دعوة سابقة واستقرارها ـ والدعوة الإلهية واحدة لا تبطل بمرور الدهور وتقضّي الأزمنة واختلاف الأيام والليالي ـ إنّما تتصوّر إذا كانت الدعوة الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقّة والشرائع المعدَّلة»[1].

إذاً الرسالة العيسوية تنقسم إلى شطرين، شطر أكّدت ما قبلها ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، والشطر الآخر أنّه بشّر بالخاتم صلّى الله عليه وآله.

فالبشرى من النبيّ عيسى عليه السلام واضحة على أنّ الرسالة الإسلامية أكمل الرسالات الإلهية السابقة والأفضل، ليس فقط في الفروع وبيان الشريعة، بل هي الأفضل مطلقاً على مستوى الأصول والتوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى وإن كانت الرسالات السابقة داعية للتوحيد، ولكن الرسالة الإسلامية تميّزت بميزات جعلت من التوحيد قضية تعيش مع الإنسان ليس في وجدانه وقلبه فحسب، وإنّما معه في كلّ حركة من حركاته وكلّ موقف من مواقفه، وكلّ فعل من أفعاله، وكلّ ممارسة من ممارساته.

وهذا التوحيد الذي تجسّد في النبي صلّى الله عليه وآله، لذا كان صلّى الله عليه وآله الأفضل مطلقاً.

ومن الجدير بالذكر أنّ البشارة بالنبي الخاتم، لم تقتصر على النبي عيسى عليه السلام بل إنّ الله تعالى أخذ ميثاقاً وعهداً شديداً على التبشير بالنبي

(١) **الميزان**، مصدر سابق: ج١٩ ص٢٥٢.

محمد صلّى الله عليه وآله والتسليم له والتأييد والتصديق له من كلّ النبييّن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(١).

فارتباط الرسالات والنبوّات واتّصالها بعضها ببعض يكشف عن أنّ النبوّة تسير سيراً تدريجياً نحو التكامل الذي تمثّل في أرقى مراتبه في الرسالة الخاتمة التي جاء بها نبينا محمد صلّى الله عليه وآله، فالخاتم هو الذي ختم مراتب الكمال كلّها.

وعلى هذا فنبيّنا صلّى الله عليه وآله اجتاز جميع المراحل الكمالية وأرقى مراتب العبودية التي لا مجال معها لمرتبة أخرى ونبيّ جديد، ففي خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لم يُخلِ سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم. ولا كثرة المكذّبين لهم؛ من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله. على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء... إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لإنجاز عدته، وتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده...»(٢).

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣). فالخاتم يعني الوصول إلى الحدّ النهائي في مراتب الكمال

---

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٤.

(٣) الأنعام: ١٥٠.

والقرب الإلهي بالنحو الذي لا يترك أيّ مجال لإنسان بعده أن يحظى بما حظي به، فهو صلّى الله عليه وآله قد بلغ الحدّ الأعلى من الكمال ونال الشرف الأسمى، وله درجة لم ولن يصلها أحد أبداً.

إذاً فالنبي محمّد صلّى الله عليه وآله ليس أكمل البشرية والأنبياء السابقين فحسب، بل لا يمكن أن يأتي بعده إنسان يكون أكمل منه.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1].

ومحلّ الشاهد في هذه الآية الشريفة كلمة «مهيمناً» التي تطلق على الشيء الذي يحفظ ويرتب ويؤتمن على شيء آخر قال الخليل الفراهيدي: الرجل يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء وشاهداً عليه وحافظاً.

وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾:

«هيمنة الشيء على الشيء ـ على ما يتحصّل من معناها ـ كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرّف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنّه تبيان كلّ شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السماوية، يحفظ منها الأصول الثابتة غير المتغيّرة، وينسخ منها ما ينبغي أن ينسخ من الفروع التي يمكن أن يتطرّق إليها التغيّر والتبدّل، حتى يناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقّي والتكامل بمرور الزمان؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ وقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ...﴾[2].

فالقرآن الكريم حافظ لجميع الشرائع السماوية السابقة صائن لها من

---

(١) المائدة ٤٨.

(٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج٥، ص٣٤٨.

الانحراف إشرافاً كاملاً، ويكمل تلك الكتب التي تلتقي في هدف واحد على الرغم من الفوارق الموجودة بينها، في تتّبع من مقتضى التكامل التدريجي للإنسان، وحيث إنّ كلّ شريعة جديدة ترتقي بالإنسان إلى مرحلة أسمى من مراحل الرقي والكمال الإنساني وتشتمل على خطط وبرامج أكثر شمولاً وتطوّراً. ومن هيمنته عليها الحفاظ على أصولها الثابتة التي لا تتّغير مع أي شريعة ومنها نسخ ما يجب نسخه إلى خير منه ليكون حكماً يناسب كلّ الأجيال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ فالهيمنة معنوية لا مادّية، والدليل على كون القرآن مهيمناً على جميع الشرائع والكتب السماوية السابقة هو قوله تعالى: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]؛ لذا في الرواية عن سعد الإسكاف قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصّل، ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، والتوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والزبور كذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾**»[2].

فالقرآن الكريم يحمل في طيّاته روح جميع التعليمات المؤقّتة والمحدودة للكتب السماوية الأخرى، مضافاً إلى استغراقه وشموله لكلّ ما أراد الله تعالى أن يقوله إلى يوم الدين، فهو كتاب جامع لكلّ كتاب، كما أنّ رسوله يجمع في نفسه خيرات الرسل كلّها مع زيادة.

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**وإنّ الله عزّ وجلّ جعل كتابي المهيمن على كتبهم، الناسخ لهم، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا، وبتحريم**

(١) النحل: ٨٩.

(٢) **الكافي**: ج٢ ص٦٠؛ **بحار الأنوار**: ج١٦، ص٣٢٧. والآية ٦٣ من سورة الزخرف.

بعض ما حلّلوا....»[١].

ويؤيّده ما ورد عن عليّ بن عيسى رفعه قال: «إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: **يا موسى لا يطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك.... أوصيك يا موسى وصيّة الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيّب الطاهر المطهّر، فمثله في كتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكتب كلّها وأنّه راكع ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين وأنصاره قوم آخرون، ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلّة من المال»**[٢].

فالخاتم مهيمن على من سبقه من الأنبياء لأنّه صلّى الله عليه وآله بيده القرآن الذي هو مهيمن على جميع الكتب السابقة، والذي فيه تبيان كلّ شيء.

النبيّ صلّى الله عليه وآله أعلم من جميع الأنبياء

انطلاقاً من أنّ كتاب كلّ نبيّ يمثّل الدرجة العملية لذلك النبي، يتّضح أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله أعلم الأنبياء جميعاً، لأنّ القرآن الكريم الذي أُنزل على النبيّ صلّى الله عليه وآله فيه تبيان كلّ شيء كما هو واضح؛ فالنبي صلّى الله عليه وآله أفضل الأنبياء على الإطلاق من آدم إلى عيسى عليهم السلام؛ لأنّ درجة الخاتم وعلمه فوق علم الأنبياء السابقين فضلاً عن الملائكة المقرّبين؛ ومن هنا يتّضح أنّ الذي علّم الأسماء كلّها كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[٣] ليس المراد منه آدم الشخصي الذي هو أبو البشر؛ إذ يوجد

(١) **نور الثقلين**، الحويزي: ج١، ص٦٣٨.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج٨ ص٤٣.

(٣) البقرة: ٣١.

من هو أفضل منه في الأنبياء والمرسلين وهو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وهو الذي عُلّم الأسماء كلّها؛ ولذا في الروايات أنّ آدم أُعطي بعض حروف الاسم الأعظم ولم يعُطَ كلّ حروف الاسم الأعظم، والذي أُعطي كلّ حروف الاسم الأعظم هو النبي صلّى الله عليه وآله.

إذاً النبي صلّى الله عليه وآله أفضل جميع الأنبياء على الإطلاق؛ لأنّ كتابه الذي جاء به ـ وهو القرآن الكريم ـ مهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة، وحيث إنّ كتاب كلّ نبيّ يمثّل الدرجة الوجودية والعملية لصاحب ذلك الكتاب فيكون نبيّنا صلّى الله عليه وآله أفضل وأعلم من جميع الأنبياء السابقين.

ويتّضح أيضاً أنّ الخاتم صلّى الله عليه وآله لا يعزب عن علمه شيء بإذن الله تعالى، ولو كان خلاف ذلك لافترق الخاتم صلّى الله عليه وآله عن القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء، وهو ينافي صريح حديث الثقلين المتواتر الذي يؤكّد عدم افتراق القرآن عن أهل البيت عليهم السلام.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(١).

ينطلق هذا الدليل من التأمّل في معنى الإسلام، فقد سجّل القرآن الكريم في مواضع متعدّدة أنّ الدين عند الله هو الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢) فما من نبي إلاّ وكان مسلماً، ومعنى الإسلام هو الطاعة والخضوع والتسليم لله تعالى.

وقد حكى القرآن الكريم على لسان عدد كبير من الأنبياء أنّهم من

---

(١) الزمر، ١١ ـ ١٢.

(٢) آل عمران: ١٩.

المسلمين كما تقدّم؛ لذا يقول الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ (البقرة: ١٣١):

«من البديهي إنّ الإسلام على ما تداول بيننا من لفظه، ويتبادر إلى أذهاننا من معناه، أوّل مراتب العبودية، وبه يمتاز المنتحل من غيره، وهو الأخذ بظاهر الاعتقادات والأعمال الدينية أعمّ من الإيمان والنفاق، وإبراهيم عليه السلام ـ وهو النبيّ الرسول أحد الخمسة أولي العزم، صاحب الملّة الحنيفية ـ أجلّ من أن يتصوّر في حقّه أن لا يكون قد ناله إلى هذا الحين، وكذا ابنه إسماعيل رسول الله وذبيحه، أو يكونا قد نالاه ولكن لم يعلما بذلك، أو يكونا علما بذلك وأرادا البقاء على ذلك، وهما في ما هما فيه من القربى والزلفى، والمقام مقام الدعوة عند بناء البيت المحرَّم، وهما أعلم بمن يسألانه، وأنّه من هو، وما شأنه، على أنّ هذا الإسلام من الأمور الاختيارية التي يتعلّق بها الأمر والنهي كما قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ولا معنى لنسبة ما هو كذلك إلى الله سبحانه أو مسألة ما هو فعل اختياريّ للإنسان من حيث هو كذلك من غير عناية يصحّ معها ذلك. فهذا الإسلام المسؤول غير ما هو المتداول المتبادر عندنا منه، فإنّ الإسلام مراتب، والدليل على أنّه ذو مراتب قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ ﴾، حيث يأمرهم إبراهيم بالإسلام وقد كان مسلماً، فالمراد بهذا الإسلام المطلوب غير ما كان عنده من الإسلام الموجود، ولهذا نظائر في القرآن. فهذا الإسلام هو الذي سنفسّره من معناه، وهو تمام العبودية وتسليم العبد كلّ ما له إلى ربّه، وهو إن كان معنى اختيارياً للإنسان من طريق مقدّماته، إلاّ أنّه إذا أضيف إلى الإنسان العادي وحاله القلبي المتعارف كان غير اختياري، بمعنى كونه غير

(١) البقرة: ١٣١.

ممكن النيل له ـ وحاله حاله ـ كساير مقامات الولاية ومراحله العالية، وكسائر معارج الكمال البعيدة عن حال الإنسان المتعارف المتوسّط الحال بواسطة مقدّماته الشاقّة، ولهذا يمكن إن يعدّ أمراً إلهياً خارجاً عن اختيار الإنسان، ويسأل من الله سبحانه أن يفيض به، وأن يجعل الإنسان متّصفاً به»(١).

وبهذا يكون الاستعمال القرآني بمعنى الطاعة والخضوع والانقياد لله تعالى، بقرينة قوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني كلّ شيء مسلّم ومنقاد إليه، إلاّ أنّ الشيء الذي يستدعي الالتفات هو تلك الصيغة القرآنية الخاصّة التي نعتت الرسول صلّى الله عليه وآله بالإسلام، وهي التعبير عنه صلّى الله عليه وآله بأنّه أول المسلمين كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٣)، وبالإمعان في هذه الصيغة نجد أنّها تختلف عن الصيغة التي استعملها القرآن الكريم في خصوص وصف الأنبياء السابقين، التي لم يستعمل فيها القرآن الكريم وصف «أول المسلمين» حتى بالنسبة للأنبياء أولي العزم، ومن ثم يكون وصف «أول المسلمين» مختصّاً بنبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله».

إلاّ أنّ السؤال الذي يطرح إزاء هذه الحقيقة، هو ما هي حقيقة وطبيعة

(١) **الميزان**، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٨٣.

(٢) الأنعام: ١٦١ - ١٦٣.

(٣) الزمر: ١١ - ١٢.

هذه الأولية؛ أ هي أولية زمانية، أم أنّها أولية رتبية؟ إذاً للإسلام مراتب ودرجات وأوّل مراتبه الشهادة اللفظية، وآخر مراتبه العبودية المحضة لله سبحانه وهي التي وصفها القرآن الكريم بأوّل المسلمين.

إن قيل: معنى هذه الأولية، هي الأولية الزمانية، ويكون المقصود منها هي أنّ نبينا صلّى الله عليه وآله أوّل المسلمين في عصره وبالنسبة لأمّته؛ وإن كان آخر الأنبياء والرسل بعثاً.

إلاّ أنّ ما يلاحظ على هذا الجواب هو أنّ بقية الأنبياء لاسيما أولي العزم الذي سبقوا نبينا صلّى الله عليه وآله هم أولى بتسمية كلّ واحد منهم بأوّل المسلمين؛ لأنّ كلّ واحد منهم يكون أوّل المسلمين بالنسبة إلى أمّته وعصره، ومع ذلك لم يستعمل القرآن الكريم هذه الصيغة بالنسبة لغير نبيّنا صلّى الله عليه وآله من بقيّة الأنبياء، إذاً الاستعمال القرآني لصيغة «**أوّل المسلمين**» مختصّ بنبيّنا صلّى الله عليه وآله دون سواه، مما يكشف عن أنّ هذه الأولية ليست هي الأولية الزمانية، وبذلك ينحصر هذا النعت «**أوّل المسلمين**» بالأولية الرتبية، أي أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله أوّل الأنبياء رتبة من حيث الانقياد والطاعة والعبودية لله تعالى، فهو أوّل من حاز أعلى مراتب العبودية والقرب الإلهي.

من هنا نجد القرآن الكريم لم يستعمل لفظ «العبد» مطلقاً ومن دون تقييد إلاّ في الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] بينما نلاحظ القرآن الكريم إذا ذكر اسم العبد في غير نبيّنا صلّى الله عليه وآله فإنّه يذكر العبودية مع ذكر اسم

(١) الإسراء: ١.

ذلك النبي أو قرينة تدلّ عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾[٢] فلو لم يذكر المسيح لم يعرف بأنّ المسيح هو المقصود، كذلك قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾[٣] فبيّن أنّ مراده من العبد هنا داود. وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾[٥] فقيّد أنّ مراده من العبد هو نوح عليه السلام؛ لأنّه ذكره مقدّماً.

إذاً كلّما استخدم القرآن لفظ العبد وأراد واحداً من الأنبياء غير نبيّنا صلّى الله عليه وآله فإنّه يذكر اسم ذلك النبي أو قرينة أخرى تدلّ على مراده، أمّا إذا جاء بلفظ «العبد» ومن دون تقييد، دلّ على أنّ مراده من ذلك هو نبيّنا صلّى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾[٦]؛ لأنّ العبد المحض في القرآن الكريم هو الخاتم صلّى الله عليه وآله وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٨] وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾[٩] وقوله

---

(١) سورة ص: ٤٥.
(٢) النساء: ١٧٢.
(٣) سورة ص: ١٧.
(٤) سورة ص: ٤١.
(٥) القمر: ٩.
(٦) الإسراء: ١.
(٧) الكهف: ١.
(٨) الفرقان: ١.
(٩) النجم: ١٠.

تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[(١)].

أيّ نوع من العبودية؟

انتهينا إلى أنّ النبي صلّى الله عليه وآله حاز على أعلى مراتب العبودية لله تعالى، لكن إلى جوار هذه الحقيقة، يطرح تساؤل حاصله: أليس كلّ موجود ممكن هو عبداً لله تعالى، وكل مخلوق لا ينفكّ عن كونه عبداً له تعالى، فكيف يقال إنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله حاز أعلى رتبة من العبودية مع أنّ كلّ المخلوقات لها عبودية واحدة لله تعالى ولا امتياز لأحدها على الآخر؛ لأنّها كلّها مصنوعة مخلوقة له تعالى.

أقسام العبودية

وفي مقام الإجابة نقول: العبودية على قسمين:

الأول: العبودية العامّة وهي عبودية تكوينية خارجة عن الاختيار، وهي عبودية عامّة لكلّ المخلوقات وغير مختصّة بأحد دون آخر، كما في الرحمة العامّة الشاملة لكل شيء؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[(٢)] وهي شاملة لجميع العالمين.

وإلى هذه الحقيقة أشار الطباطبائي في تفسيره حيث قال: «واعلم أنّ اتخاذه تعالى أحداً من الناس عبداً غير كونه في نفسه عبداً، فإنّ العبدية من لوازم الإيجاد والخلقة، لا ينفكّ عن مخلوق ذي فهم وشعور، ولا يقبل الجعل والاتخاذ وهو كون الإنسان مثلاً مملوك الوجود لربّه، مخلوقاً مصنوعاً

(١) الحديد: ٩.

(٢) الأعراف: ١٥٦.

له، سواء جرى في حياته على ما يستدعيه مملوكيته الذاتية، واستسلم لربوبية ربّه العزيز، أو لم يجر على ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ ، وإن كان إذا لم يجر على رسوم العبودية وسنن الرقية استكباراً في الأرض وعتوّاً، كان من الحريّ أن لا يسمّى عبداً بالنظر إلى الغايات، فإنّ العبد هو الذي أسلم وجه لربّه، وأعطاه تدبير نفسه، فينبغي أن لا يسمّى بالعبد إلاّ من كان عبداً في نفسه وعبداً في عمله، فهو العبد حقيقة؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ .

وعلى هذا فاتخاذه تعالى إنساناً عبداً ـ وهو قبول كونه عبداً والإقبال عليه بالربوبية ـ هو الولاية وهو تولّي أمره كما يتولى الربّ أمر عبده، والعبودية مفتاح للولاية، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ، أي اللائقين للولاية، فإنّه تعالى سمّى النبي في آيات من كتابه بالعبد؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ، وقال تعالى: ﴿قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ، فقد ظهر أنّ الاتخاذ للعبودية هو الولاية. وقوله عليه السلام: وإن الله اتّخذه نبياً قبل أن يتّخذه رسولاً، والفرق بين النبي الرسول على ما يظهر من الروايات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: أنّ النبي هو الذي يرى في المنام ما يوحى به إليه، والرسول هو الذي يشاهد الملك فيكلّمه، والذي يظهر من قصص إبراهيم هو هذا الترتيب، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[1] .

---

(١) (مريم: ٤١ ـ ٤٢) **الميزان**، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٧٧.

الثاني العبودية الخاصّة: وهي العبودية الاختيارية التي امتاز بها بعض المخلوقين بمحض إرادتهم بالقرب إلى الله تعالى.

بيان ذلك: أنّ الإنسان مملوك الوجود لربّه مخلوقاً مصنوعاً له، سواء جرى في حياته على ما تستدعيه مملوكيته الذاتية واستسلم، أو لم يجر على ذلك فهو مملوك، لكن هذا الإنسان قد يقوم بأدب المملوكية والعبودية لله تعالى، وقد لا يقوم بذلك. كما لو كان إنسان وله عبد مملوك، فعبودية هذه العبد لمولاه يعني العبودية العامّة سواء أطاع مولاه أم لا.

نعم إذا قام بأدب العبودية والمملوكية فهذه عبودية خاصّة تختلف عن العبودية الأولى؛ لأنّه قد يطيع مولاه لكنه خوفاً من العقاب فهو يعيش في داخل نفسه الاستكبار على مولاه، وإن أطاعه خوفاً أو طمعاً، وعلى هذا فإنّ جميع المخلوقات مملوكة لله ولها عبودية عامّة تكوينية، لكن البعض من هذه المخلوقات قاموا بأدب العبودية بأرقى وأكمل ما يمكن، فعبدوا الله لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، وإنّما عبدوا الله؛ لأنّه أهل العبادة، بمعنى أنّ مقتضى مولويته تعالى أن يخضع العبد لمولاه سواء كانت هناك نار أو لم تكن، وسواء كانت هناك جنة أو لم تكن، فالعبد هو الذي يسلم وجهه لربّه ـ كما تقدّم ـ عندئذٍ يدخل الإنسان في الولاية الإلهية فيكون الله وليّه ومسدّده في كلّ شيء. وفي الحديث القدسي: «**لا يزال العبد يتقرّب إلي بالنوافل والعبادات حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**»(١).

ومن هنا يتّضح معنى الرواية الواردة عن زيد الشحّام قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عليه السلام**

---

(١) **عوالي اللآلي**، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٠٣.

عبداً قبل أن يتّخذه نبياً، وإن الله اتّخذه نبياً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإن الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإن الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: **فمن عظمها في عين إبراهيم قال:** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(البقرة: ١٢٤)»[١].

فهذه العبودية ليست العبودية العامّة التكوينية الخارجة عن الاختيار، وإنّما هي عبودية خاصّة يتقرّب بها الإنسان إلى الله تعالى إلى أن يختاره ويتّخذه عبداً له. ففرق بين أن تكون عبداً له تعالى وبين أن يرضاك الله ويقبلك عبداً له، كما أنّه فرق بين أن تكون محبّاً لله وبين أن تكون محبوباً له سبحانه، فقد تودّ صديقاً من أصدقائك ولكنه قد يقبل منك ويبادلك الحبّ والمودّة وقد لا يقبل ذلك، وفي المقام كذلك، فإنّ الله تعالى إذا قبل عبودية عبد من عباده فسوف يوليه عناية خاصّة وتوفيقاً خاصّاً ويتولّى أمره أي يكون الله تعالى وليه، وبذلك يدخل في الحصن الإلهي «**كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي**»[٢] وهذا هو معنى الولاية.

إذاً مقتضى العبودية الخاصّة الدخول في ولاية الله تعالى التي تستلزم التأييد من قبل الله تعالى والتسديد والتوفيق الخاصّ.

وقد اتّخذوا الله وكيلهم، وهل يوجد وكيل آمن من الله تعالى؟

انظر للأب حينما يكون ولياً على أطفاله، فإنّه يقدّم لهم كلّ شيء ولا يسمح أن يصلهم أذى، ويسعى جاهداً لإيصالهم إلى كمالهم اللائق، كذلك حينما يتولّى الله تعالى أمر من يدخل في ولايته، فالله سبحانه يوفقه بتوفيق خاصّ وعناية خاصّة؛ لأجل أن يوصله إلى كماله الذي خلق لأجله، ولا

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ١٢، ص ١٢.

(٢) **مستدرك الوسائل**، مصدر سابق: ج٥ ص٣٦٤.

يعطي مجالاً لوصول الأذى إليهم.

وفي هذا الضوء يتّضح أنّ مفتاح الولوج في ساحة الولاية الإلهية هو العبودية، فالعبودية لله تعالى هي الطريق للدخول في حصن الولاية الإلهية، فكلّما كان الإنسان أكثر عبودية كانت ولايته أكثر، وكلّما كان الإنسان أضعف عبودية كان أبعد عن ولاية الله تعالى.

وعلى هذا يتّضح أنّ الإنسان قد يكون وليّه الشيطان، وذلك فيما إذا عبد الشيطان، وقد يكون داخلاً تحت ولاية الشهوة إذا كان عبداً للشهوة، وقد يكون داخلاً تحت ولاية الغضب إذا كان عبداً للغضب وهكذا.

وإذا دخل الإنسان تحت ولاية الشيطان، كان وليّه الشيطان، فهو يأتمر بأمره، ولا يفعل شيئاً إلاّ بأمره؛ حكى الله تعالى قول الشيطان: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بمعنى أنّ الشيطان يأخذ بحنك الإنسان، ويجرّه إلى ما يريد ولا يمتلكون من الإفلات منه.

وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم، فركّب بهم الزلل وزيّن لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه**»(١).

حاصل ما تقدّم:

ثبت من خلال الآيات والروايات، الأفضلية المطلقة لنبيّنا الخاتم صلّى الله عليه وآله فهو صلّى الله عليه وآله أفضل خلق الله تعالى.

كذلك تبيّن المعنى الدقيق للخاتمية، وأنّ المراد منها ليس الخاتمية الزمانية، بل المراد الخاتمية في درجات القرب الإلهي، وبعبارة القرآن

---

(١) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٢.

الكريم: في درجات العبودية، فهو صلّى الله عليه وآله العبد الأوّل الذي ختم كلّ مراتب العبودية لله تعالى، وأعطاه الله ما لم يعط أحداً من العالمين.

إن قيل: إنّكم أثبتّم أفضلية الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء السابقين، لكن قد يقال بإمكان أن يأتي أفضل منه في مستقبل الزمان؛ لأنّ كلّ الأدلّة التي قدّمتموها أثبتت الأفضلية بالنسبة لما سبقه من الأنبياء، أمّا هل يأتي أفضل منه أم لا فهذا لا دليل عليه؟

فالجواب: بالتأمّل بالمعنى الدقيق للخاتمية يتّضح أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ختم مراتب العبودية ونال أعلى درجات القرب الإلهي، وبلغ الحدّ الأعلى من المعارف ونال الشرف الأسمى بحيث لا يترك أيّ مجالٍ لإنسان بعده أن يحظى بها حظي به من هذه المعارف ودرجات القرب الإلهي، فله صلّى الله عليه وآله درجة لم ولن يصلها أحد أبداً.

إذاً ثبت أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله أفضل خلق الله تعالى ولا يأتي أحد أفضل منه إلى يوم القيامة وقد ورد عنه صلّى الله عليه وآله «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**»(١)، وقال صلّى الله عليه وآله: «**أنا سيّد ولد آدم، ولا فخر**»(٢).

وعلى هذا الأساس يتّضح معنى قوله صلّى الله عليه وآله «**لا نبيّ بعدي**»(٣)؛ لأنّ كلّ من يأتي فهو دونه صلّى الله عليه وآله ومحتاج شريعته.

---

(١) **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي: ج ٢، ص ٨٧٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨٧٦.

(٣) **الكافي**، مصدر سابق: ج٦، ص٢٨.

خلاصة الفصل الثاني

من المباحث المهمّة التي تعرّضنا لها في هذا الفصل:

١. إنّ الدين هو الإسلام وإنّ الإسلام اسم جامع لجميع الشرائع الإلهية.

٢. إنّ سبب تعدّد الشرائع وختمها يكمن في كون البشرية في سير تكامليّ مستمرّ، وفي كلّ مرحلة من تحتاج إلى شريعة متلائمة مع درجة ونضج البشرية في تلك المرحلة، ولما وصلت إلى درجة من التكامل والنضج بالشكل الذي لا تحتاج معه إلى شريعة أخرى ختمت الشرائع والنبوات بالشريعة المحمدية التي من أهمّ خصائصها كونها عامّة وشاملة.

٣. إنّ كلّ شريعة مكملة لما سبقها من الشرائع وزيادة؛ ولذا فإنّ الشريعة الخاتمة أكمل الشرائع.

٤. من أهمّ وابرز طرق معرفة النبي هو المعجزة، وهناك نوعان من المعاجز:

• المعاجز الحسية التي يراها الناس ويشاهدونها بالحس، وهذا النوع من المعاجز ينحصر إعجازه بالناس الذين شاهدوا تلك المعجزة.

• المعاجز العقلية وهي معاجز شاملة وعامّة لجميع الناس المعاصرين وغيرهم.

٥. من أهمّ الفروق بين رسالة نبينا صلّى الله عليه وآله وباقي الرسالات الإلهية:

• صيانة الرسالة الإسلامية من الانحراف

• توفر الرسالة الإسلامية على المعجزة الدائمة بخلاف باقي الرسالات

السماوية.

• شمولية الرسالة الإسلامية وتلبيتها لجميع ما تحتاجه البشرية في كلّ زمان ومكان.

• عمومتها لجميع أفراد البشر.

٦. من الفروق الأساسية بين الرسالات الإلهية والنظريات الفلسفية:

• إنّ الشرائع والرسالات الإلهية في تكامل مستمرّ، وكلّ شريعة تكمل ما سبقها من شرائع،و هذا بخلاف النظريات الفلسفية التي قد تصل إلى حدّ التناقض وإبطال إحداهما الأخرى.

• إنّ الأنبياء يجسّدون عملياً ما جاءوا به من رسالات إلهية، وهذا بخلاف النظريات الفلسفية التي تفتقر إلى مثل هذا التجسيد العملي.

ومن معطيات التجسيد العملي للرسالات الإلهية من قبل الأنبياء:

• إنّ التجسيد العملي يساهم في إكمال دور المفاهيم وفهم النظرية وفي ترسيخ المفاهيم التربوية.

• إنّ التجسيد العملي يخرج النظرية من المثالية إلى الواقعية.

• التجسيد العملي يحول دون الوقوع في خطأ فهم النظرية.

• يساهم التجسيد العملي في بيان درجات النظرية ودرجات القرب الإلهي.

٧ ـ من المباحث المهمّة التي تعرّضنا لها في هذا الفصل الاستدلال على أفضلية نبيّنا صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء.

الفهارس التفصيلية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس المصادر
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات الكريمة

رقم الآية	السورة	الصفحة
	الفاتحة	
٢ :	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٧
٤ :	﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	١٤٦، ١٣
٧ :	﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	١٨٢
	البقرة	
٦ :	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٢٢
٢٢ :	﴿... وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾	١٦٥
٣٠ :	﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٢٠٢، ٩٧
٣١ :	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾	١٩٤
٣٨ :	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾	٥٧
٣٩ :	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٥٧
٥٧ :	﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٨٠
٨٤ ـ ٨٥ :	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ ... فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ﴾	٢٣
٨٩ :	﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾	٢٢، ٢١
٩٦ :	﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٩٣
١٠٦ :	﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾	١٩٢، ١٩١
١١١ :	﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١٤
١٢٤ :	﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢٠٢

١٣١ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ١٩٥، ١٩٦

١٣٢ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ﴾ ١٣، ١٤٦، ١٤٧

١٣٦ : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ ﴾ ١٤٩، ١٧٩

١٣٨ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ ١١١، ٩٠

١٥٢ : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ ٢٢

١٨٦ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ ٢٤

١٩٧ : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ١١٩

٢٠٣ : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ ٧٨

٢٢٥ : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ٣٠

٢٥١ : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ ١٢٩

٢٥٣ : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ١٨٥

٢٥٦ ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ ٥٣

٢٦١ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ ﴾ ٣٩

٢٦٤ : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ﴾ ٣٠

٢٦٥ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا ﴾ ٣١

٢٧٥ : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ١١٤

٢٨٤ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ ﴾ ٣٠

آل عمران

١٩ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ١٤٦، ١٧٨، ١٩٥

٢٠ : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ ٥٣

٢١ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٧

٢٢ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ ٧٧

٣٠ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾ ٧٢، ٧٥

٤٤ : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ ١٦٦

٥٢: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ١٤٨
٦٧: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ ٩١، ١٤٧، ١٧٩
٨٠: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾ ٤٧
٨١: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ ١٩٠
١٠٢: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ٣٩
١٣٢: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٣٢
١٤٠: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ٨٤
١٦٢: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ ٤٠
١٦٣: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ٤٠

النساء

٩: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ ٧٩
١٠: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾
٦٦، ٧٢
٣١: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ ٧٨
٥٧: ﴿...خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ٥١
٥٩: ﴿...أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ١٣٠، ١٨٣
٦٠: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ١٣٣
٦١: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ١٣٣
٦٤: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ١٣٠
٦٥: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ١٣٣
٨٢: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾ ١٦٢
١٣٦: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾ ١٤٩
١٤٥: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ٤١

١٥٢: ﴿...أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ ١٥٦
١٦٥: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ ١٩
١٧٢: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ﴾ ١٩٨

المائدة

٣: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ﴾ ١٦٩، ١٧٩
٢٩: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ ٧٨
٤٤: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ ١٢٨
٤٥: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ ١٢٨
٤٦: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ﴾ ١٢٨
٤٧: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ١٢٨
٤٨: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ ١٢٨، ١٥٥، ١٩١
٦٧: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ ١٢٩
١٠٤: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا﴾ ٨
١١١: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ ١٤٨

الأنعام

٢: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ﴾ ٦٠
٢٤: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ٨٠
٣٨: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ ١٦٩ ـ ١٧١
٥٩: ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ ١٦٦
٧٥: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ﴾ ٦٩
٩٠: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ ١٨٢
٩١: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ ١١٦
٩٨: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ ٣١

١١٤ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾ ١٦٨

١٣٢ : ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ ٤٠ ـ ٤٢

١٥٠ : ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ١٩١

١٥٣ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ﴾ ١٥٥

١٥٤ : ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ ١٦٩

١٦٠ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ ٣٢، ٣٩

١٦١ : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ﴾ ١٩٦

١٦٢ ـ ١٦٣ : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ... وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ ١٩٦

الأعراف

٥٤ : ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ٦١

٩٦ : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ٨٣

١٠٦ : ﴿إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ١٥٢

١٢٦ : ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ ١٤٧

١٣٨ : ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ ١٥٦

١٥٦ : ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ ١٩٩

١٥٧ : ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ ١٢٢

١٧٢ : ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ ٩١

١٧٩ : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ ... أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ ٥، ١٧، ٦٧، ٦٨، ٩٧

١٨٧ : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ٩٠

الأنفال

٢٢ : ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ٥

٢٤ : ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ ٢٤، ١١٠

٥٣ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ ٨٣

٥٥: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ٥

التوبة

٣٨: ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ ٦٢

٤٩: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ٦٦

٧٧: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ ٤٢

١٠٣: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ ١٢٧

يونس

٣: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ ٤٨

١٦: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ ١٦٤

٣٨: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ ١٦٠

٧٢: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ ١٤٧

٨٤: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ ١٤٧

٩٠: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾
١٤٨

٩٩: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ ٥٣

هود

٢: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٤

٥: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ ١٦١

١٣: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ﴾ ١٦٠

١٤: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ ١٦٠

٤٩: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾ ١٦٦

١٠١: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ﴾ ٥٧

١٠٢: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ﴾ ٥٧

١٠٧: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ ٢٣
١٠٨: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ٥١
١١٤: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ﴾ ٧٨

يوسف

٢١: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾ ١٢٩
٤٢: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ ﴾ ٤٧
٧٦: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ ١٣، ١٤٦
١١١: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾١٦٩

الرعد

٧: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ٢٠
١١: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا ﴾
٣٦، ٨٣
٢٩: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ ٢١

إبراهيم

١٨: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ ٥٢
٢٢: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ ٥٥
٢٤: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ ﴾ ٢٨، ٢٩، ٣٢
٢٧: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٦
٣٤: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ ٣٩
٤٨: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ٧٠

الحجر

٩: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ١٥٨
٢٢: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ ١٦٥

٢٩ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ ٥٨
٤٢ : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ ٥٥
٤٨ : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ٥١
٩٩ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ ١١٧، ١٢٠، ١٢٤

النحل

٦ـ ٧ : ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ... وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ ﴾ ٩٦
١٠ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ ﴾ ٩٦
١٤ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ ﴾ ٩٦
٣٠ : ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ٨٩
٤٥ : ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾ ٧٨
٥٢ : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ ١٣١
٧٨ : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ ﴾ ٩٨
٨١ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ ﴾ ٩٦
٨٩ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ ١٦٥، ١٦٨ـ ١٩٢، ١٧٥
٩٧ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ ٢١
١٤٩ : ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٥٦

الإسراء

١ : ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾
١٩٨
٩ : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ ١٩١
١٥ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ٢٠
١٦ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا ﴾ ٨٣
٣٦ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ٨

٥٥ : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ١٨٣
٧٠ : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم﴾ ٩٥
٨٤ : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ ٥
٧٩ : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا﴾ ٣٧
٨٥ : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٦١
٨٨ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ ١٥٩

الكهف

١ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ ١٩٩
٢٩ : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ ٥٣، ٥٧
٤٩ : ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٧٦
٨٣ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ ١٣٠
٨٤ : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ ١٣٠
١١٠ : ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ٢٨

مريم

٤١ ـ ٤٢ : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ... إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ ٢٠٠

طه

٥٠ : ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٤٧
٥٣ : ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ١٦٥
١٢٣ : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ ٧٧
١٢٤ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ٧٧
١٣٤ : ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا﴾ ٢٠

الأنبياء

١٦ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ ٤٩

١٧ : ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ ٤٩

١٨ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ ﴾ ٤٩

١٠٤ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ ﴾ ٥٢، ٧٠

الحج

١ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ٧٠

٧٨ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ ١٤٩

المؤمنون

١٢ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ ٦٠، ٨٧

١٣ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ٦٠

١٤ : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ ﴾ ٦٠

١٥ : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ٩٥

٤٤ : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ﴾ ٨٣

٥١ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ ﴾ ١٤٩، ١٧٩

٥٢ : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ ١٧٩

١١٥ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ٥٠، ١٣٦

النور

٦٢ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ ﴾ ١٣٢

٦٣ : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ ١٣٢

الفرقان

١ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ١٦٧، ١٩٩

٧٠: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ ﴾ ٧٩

الشعراء

٢٦: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٤٧
١٥٤: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ١٥٢

النمل

١٤: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ ٢٢، ١٨٦، ٢١٧
٣٠-٣١: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ ﴾ ١٤٨
٣٨: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ ١٤٨
٤٠: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ٢٢

العنكبوت

١٣: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ ٧٩
٢-٤: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ... سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ٨٤
٤٨: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ﴾ ١٦٤

الروم

٢-٤: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ ﴾ ١٦٦
٨: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ٥٢
١٠: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٢
٢٥: ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٢٣
٣٠: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ... لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٥، ٩٠، ٩١، ١١١
٤١: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ﴾ ٨٣

السجدة

٧: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ ﴾ ٦٠
١١: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾ ٦٠
٢٤: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ٢٨

الأحزاب

٧: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ﴾
١٨٦، ١٨٧
٢١: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ ﴾ ١٨١
٣٦: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾ ١٣٤
٤٠: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ١٧٤، ١٧٥
٤٥ ـ ٤٦: ﴿ ...إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا . وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ٨٦، ١١٤

سبأ

١٥: ﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾ ٤٧
٢٨: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ ١٣٠، ١٦٧

فاطر

٨: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ٥٥
١٠: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ٢٨، ٢٩
١٥: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ ٤٥
٤٣: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ ٨٠

يس

٧١: ﴿ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ ٩٦
٨٠: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴾ ٩٦

الصافات

١١: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ ٦٠

٩٦: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٥٥

ص

١٧: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ١٣٠، ١٩٨

١٨: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ ١٣٠

١٩ـ ٢٠: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ ١٣٠

٢٦: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ ١٣٠

٢٧: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ٥٠

٤٥: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ١٩٨

٤١: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ ١٩٨

٧٢: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ ٦٠، ٨٧

الزمر

١١-١٢: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ ١٩٤، ١٩٦

٤١: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ ٥٤

٥٣: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ ٧٧

٥٤: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ ٧٧

٥٥: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ ٧٧

٦٧: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ ٧٠

غافر

٢١: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ ۚ﴾ ٨٣

٧٣: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ ٨٠

فصلت

٤١ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾ ١٥٨، ١٧٥

٤٢ : ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ ﴾ ١٥٨، ١٧٥

الشورى

١٣ : ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ ١٤٩، ١٧٩

٢٠ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ﴾ ٥٦

٣٠ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ ٨٢

٤٨ : ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ ٥٤

الزخرف

٣٢ : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ ﴾ ١٠١، ١٠٢

٦٣ : ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ ١٩٢

الدخان

٣٨-٤٠ : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ *مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ *إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ ٥٠

الجاثية

١٣ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ ﴾ ٩٥

٢٣ : ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ ﴾ ٢١، ١٩٢

٢٤ : ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ ٢٢

الأحقاف

١٩ : ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ ٧، ٤٠، ٤١

٣٥: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ ١٨٥

محمد

٢٤: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ ١٤

٣٢: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ ٧٧

٣٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ٧٧

الفتح

٢٧: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ ١٦٦

الحجرات

٢: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ﴾ ٧٨

ق

١٦: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ١٤

٢٢: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾
٦٥، ٦٧، ١٣٧

٣٥: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ٥١، ٨١، ٨٢

الذاريات

٥٦: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ١٢٤، ١٢٠

٣٥-٣٦: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾ ١٤٧

الطور

٢١: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ ٧٩

٣٤: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ ١٦٠

النجم

١٠: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ١٩٩
٣٢: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ٧٨

القمر

٩: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ ١٩٨
٥٥: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ ٢٤

الواقعة

٤-٦: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ ٧٠
٣٢-٣٣: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ٥١
٦١: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٩

الحديد

٤: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٤
٩: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ١٩٩
٢٥: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾
١٠٩، ١١٤ ـ ١١٧، ١٢٤، ١٢٨، ١٤١، ١٤٢

الحشر

٧: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ ١٧٠، ١٣٣، ١٣٠
١٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ٧٢

الممتحنة

٤ : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ ٢٣، ١٨٢

الصف

٦ : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ١٨٨

التحريم

١١ : ﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي﴾ ٢٤

الإنسان

٣ : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ٥٤،٥٧

النازعات

٥ : ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ ٩٦

التكوير

٢٨-٢٩ : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ٥٦

الغاشية

٢١-٢٢ : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ٥٤

البلد

١٠ : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ ٥٤

الشمس

٧-٨ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ ٥٤
١٠ : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ ٩٠

العلق

٥ : ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٩٨

الزلزلة

١-٢: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٧٠
٤: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ٧٥
٧-٨: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾ ٧٣

فهرس الأحاديث

آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ٢٠٤
اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً ٢٠٣
أعطيت السور الطوال مكان التوراة... وفضّلت بالمفصّل ١٩٢
أعمال العباد في عاجلهم نُصب أعينهم في آجالهم ٧٤
أفلا أكون عبداً شكوراً ٣٧
إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله لإنجاز عدته، وتمام نبوّته ١٩٠
أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء... ١٧١
أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وطول الأمل ينسي الآخرة ٣٤
أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي ١٣٥
إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيام ٦، ٧٤
إنّ أشدّ أهل النار ندامةً وحسرةً رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له ... ٣٣
إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يُصعد منه مرقاة بعد مرقاة ٣٥
إنّ الجنة حُفّت بالمكاره وأنّ النار حُفّت بالشهوات ٦٨
إنّ الدنيا دار صدق لمن صدَقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن ٨٨
إنّ الراحل إليك قريب المسافة إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك ٦٨
إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطرا ٣٤
إنّ العلم إذا لم يُعمل به لم يزدد صاحبه إلاّ كفراً، ولم يزدد من الله إلاّ بعداً ٣٤
إنّ الله أرسل إليكم الرسول وأنزل إليه الكتاب بالحقّ وأنتم أمّيّون ١٧٣

إنّ الله أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتى والله ما ترك شيئاً تحتاج إليه ١٧٢
إنّ الله اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً... فلما جمع له الأشياء ٢٠٢
إنّ الله جعل كتابي المهيمن على كتبهم الناسخ لهم ولقد جئت بتحليل ١٩٣
إنّ الله ختم بنبيّكم النبيّين فلا نبيّ بعده أبداً، وختم بكتابكم الكتب ١٧٣
إنّ الله خلق أجزاء بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً. ثم جعل الأجزاء أعشاراً ٣٥
إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل ٦٢
إنّ الله لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ٥١
إنّ الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله ١٧٢
إنّ الله لمّا بعث موسى كان الغالب على أهل عصره السحر ١٥٣
إنّ المؤمن ليفوّض الله إليه يوم القيامة فيصنع ما شاء ٨١
إنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه ٣٣
إنّ لله حجّتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة ٢٠
إنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره ٣٥
إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم ٧١
إنّ هؤلاء القوم كانوا وارثين فأصبحوا مورثين ١٥
أنا سيّد ولد آدم، ولا فخر ٢٠٤
أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أُعرض أنا وأنت على ربّك ٧٤
أنت لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنّك لم تُكوّن نفسك ٤٦
أنزل فيه تبيان كلّ شي ١٧٤
انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا ١٣٥
إنّما الأعمى أعمى القلب؛ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ ٦٨
إنّما هي أعمالكم ترد إليكم ٧٦
إنه لابدّ لك من قرين يُدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميّت ٧٣
إنه لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان حكيماً ٨٦

إنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه ٢٦، ٩٤
إني لما نظرت إلى جسدي، ولم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان ... علمت ٤٦
أوصيك يا موسى بابن البتول... ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر ١٩٣
أوّل المسلمين ١٩٧
أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقّه من جلال عظمته ١٨٨
بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله ١٧٤
تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل ٦٨
جاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه ١٧٣
حتى لا يستطيع عبدٌ يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن، إلاّ وقد أنزله الله ١٧٢
حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ١٦٨
خف الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك ٢٥
خلقت الأشياء لأجلك، وجعلتك لأجلي ٩٧
دعوه فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم ٧
ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم ١٧٣
رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا ٨٩
رحم الله امرأً عرف مِن أين، وفي أين، وإلى أين ٦
رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم. ولا كثرة المكذّبين لهم ١٩٠
عش ما شئت فإنّك ميّت وأحبب من شئت فإنّك مفارقه واعمل ما شئت ٧٤
العقل، يُعرف به الصادق على الله فيصدّقه، والكاذب ١٥٣
العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم ٣٤
العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه ٣٢، ٣٤
العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناجٍ، وعالم تارك لعلمه ٣٣
علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل ١٧٧
على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم وانبساط من الجهل ١٧٣

على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الآباء ١٩٠
فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ١٥
فالدنيا متّجهة في وجوه أهلها مكفهرّة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة ١٧٣
﴿فطرة الله﴾ قال: «فطرهم على التوحيد» ٤٥، ٩١
فكر ساعة خير من قيام ليلة ١٥
فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿ومن ذريتي﴾ ٢٠٢
قسّم أمير المؤمنين الناس إلى قسمين: قسم منها تزوّد، وقسم لها تزوّد ٨٩
كاد الفقر أن يكون كفراً ١٢٣
كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي ٢٠٢
كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع؛كم من قارئ للقرآن ٣٨
كنت أوّل النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ١٨٧
كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد ١٨٣
لا تكونوا إمّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا ١٥
لا تنقضي عجائبه ١٥٧
لا نبيّ بعدي ٢٠٤
لا يزال العبد يتقرّب إلي بالنوافل والعبادات حتى أحبّه، فإذا أحببته ٢٠١
لا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست علي شيء، حتى العاشر ٣٥
لم يُخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة ١٩٠
﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ أي طبع الله عليها فلا تعقل ٦٧
لو دنوتُ أنمله لاحترقت ٦٢
لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً. ٣٥
ما أمرتكم بشيء إلا ائتمرت به قبل أن آمركم به ١٨٣
ما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن موت المؤمن يكره الموت ٢٦، ٩٤
ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه ٢٦، ٩٤

ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه ١٧٢
ما من شيء يقرّبكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار إلاّ وقد أمرتكم به ١٦٨
مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكة الله... اكتسبوا فيها الرحمة ٨٨
المعجزة علامة لله لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ١٥٣
مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم ٣٤
من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال: بالضعف في يقينه ١٢٣
من أحيى أرضاً مواتاً فهي له ١٢٦
من أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه زالت الجبال قبل أن يزول ٩
من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه ثابتاً ١٣٥
من تقرّب إلى شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب مني ذراعاً ٢٦
من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه ٨
من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة ٣٤
منهومان لا يشبعان، طالب دنيا وطالب علم ٩٣
نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير ١٨٨
نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل ٣١
هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا ٢٦
هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ٩١
وآدم بين الروح والجسد ١٨٨
وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبّر ٦٨
يا موسى لا يطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك ١٩٣
يا هذا كنّا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك ٧٥

فهرس المصادر

نهج البلاغة، ١٥، ٦٨، ٨٨، ١٧٠، ١٩٠، ٢٠٣

خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ دار الذخائر، قم.

١. **الإعجاز بين النظرية والتطبيق، ١٥٩**

محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ محمود نعمة الجيّاشي، منشورات: دار فراقد، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢. **إقبال الأعمال، ٢٦**

للسيّد عليّ بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.

٣. **إكمال الدين** (للشيخ الصدوق)، **١٣٥**

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في حوزة قم المقدسة.

٤. **الأمالي، ٧٤**

لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، تحقيق قسم الدارسات الإسلامية، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، قم، ١٤١٤هـ.

٥. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ٦، ١٥، ٣٤، ٣٨، ٥١، ٧١، ٧٤، ٧٦، ١٢٣، ١٤٨، ١٥٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٢**

للشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت.

٦. **التبيان في تفسير القرآن، ٥٢**
للشيخ أبي جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة١٤٠٩ هـ

٧. **تحف العقول عن آل الرسول، ٧٤**
للشيخ أبي محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ قم.

٨. **تفسير العياشي، ٨٩**
محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠ هـ)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٩. **تفسير القمي، ٦٧**
علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرنين الثالث والرابع)، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ـ إيران

١٠. **التوحيد** (إملاء الإمام الصادق عليه السلام على المفضّل الجعفي)، **٧٦**
مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ

١١. **التوحيد.. بحوث في مراتبه ومعطياته، ١٤، ٤٦، ٥٣**
للسيد كمال الحيدري، بقلم جواد علي كسّار، نشر دار فراقد، الطبعة السادسة.

١٢. **التوحيد، ٧، ٨،٤٦**
للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي (ت: ٣٨١ هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في حوزة قم المقدّسة.

١٣. **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، **١٨٧**
محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ بيروت.

١٤. **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ٤٠**

للحكيم الإلهي صدر الدين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الخامسة، ١٤١٩ هـ، بيروت.

١٥. **الخرائج والجرائح** لقطب الدين الراوندي، **٢٠٤**

١٦. **رسالة في التحسين والتقبيح، ١٧**

للشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠، مؤسسة الإمام الصادق، قم.

١٧. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٦٦، ١٦٣، ١٧١، ١٨٧**

شهاب الدِّين محمود الآلوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٨. **سنن الترمذي، ١٥**

تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

١٩. **شرح أصول الكافي، ٧٥**

المولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١ هـ

٢٠. **شرح الإشارات** لابن سينا، **١٧**

٢١. **الصحاح** للجوهري، دار العلم للملايين، لبنان، **٨٩**.

٢٢. **طبقات ابن سعد** (ط. أوربا)، **١٤٩**

٢٣. **علل الشرائع، ٥١، ٦٢، ١٥٣**

الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ

٢٤. **علم اليقين، ٩٧**

الفيض الكاشاني، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، دار البلاغة، بيروت.

٢٥. **عوالي اللآلي العزيزية، ٢٦، ٢٠١**

لابن أبي جمهور الإحسائي، تحقيق السيّد المرعشي والسيّد مجتبى العراقي، نشر مطبعة سيّد الشهداء، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ

٢٦. **الغيبة (للنعماني)، ٨، ٧٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨**

تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ مطبعة مهر، قم، إيران.

٢٧. **الفتاوى الواضحة، ١١٠**

السيد محمد باقر الصدر (استشهد ١٤٠٠هـ)، مطبعة الآداب في النجف الأشرف.

٢٨. **الفوائد المجموعة** للشوكاني، **١٨٧**

٢٩. **فيض القدير** للمناوي، **١٨٧**

٣٠. **الكافي، ٦، ٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٥، ٤٦، ٦٨، ٧٤، ٧٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٣٥، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٤**

ثقة الإسلام الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت: ٣٢٩ هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران.

٣١. **مجمع البيان** للشيخ الطبرسي، **٨١**

٣٢. **المحاسن، ١٥، ١٧٢**

أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال

الدين الحسيني (المحدّث)، طبع سنة ١٩٥١ م، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٣٣. المزار، ٣٨

للشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ

٣٤. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ٣٨، ١٧٧، ٢٠٢

خاتمة المحدّثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٧ هـ

٣٥. المستدرك على الصحيحين (للحاكم النيسابوري)، **١٨٨**

٣٦. مشكاة الأنوار، ٨١

أبو الفضل علي الطبرسي (ت: أوائل القرن السابع الهجري)، دار الحديث، قم المقدسة.

٣٧. مصباح المتهجّد، ٦٨

الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ

٣٨. المفردات في غريب القرآن (للراغب الأصفهاني)، **٤٧**

تحقيق صفوان عدنان الداوودي، انتشارات ذوي القربى، قم، إيران، الطبعة الثالثة.

٣٩. من لا يحضره الفقيه، ٦٨، ١٧٢

الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم المقدّسة.

٤٠. مناقب آل أبي طالب، ٦٢، ٦٩

ابن شهراشوب المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ

٤١. **الميزان في تفسير القرآن، ٢٥، ٤٨، ٥٢، ٦٥، ٧٣، ٧٦، ٨٤، ٩٨، ١٠٤، ١٠٩، ١٦١، ١٦٣، ١٨٩، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠**

للسيّد العلاّمة محمّد حسين الطباطبائي، نشر مؤسّسة إسماعيليان، قم.

٤٢. **نور الثقلين، ١٩٣**

للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق السيّد هاشم الرسولي، المطبعة العلمية، قم.

٤٣. **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ١٢٦**

الفقيه المحدّث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
منهج البحث ٩
خطّة البحث ٩

بحوث تمهيدية

(١) في بيان مفهوم الدين ١٣
مكوّنات الدين ١٣
دور الدين في حياة الإنسان ١٤
(٢) في بيان الرؤية الكونية والأيديولوجية ١٦
العلاقة بين الرؤية الكونية والآيديولوجية ١٦
الرؤية الكونية والآيديولوجية في القرآن الكريم ١٧
(٣) العلاقة بين الدين والعقل ١٨
(٤) العلاقة بين الإيمان والعلم ٢٠
(٥) العلاقة بين الإيمان والعمل ٢٣
القرب والبعد من الله تعالى ٢٣
حقيقة القرب الإلهي ٢٤
معنى آخر للقرب الإلهي ٢٧
الصاعد إلى الله تعالى هو الاعتقاد لا العمل ٢٨
أثر العمل في الاعتقاد ٣١
كيفية رفع العمل للاعتقاد ٣٥

أثر العمل الطالح على عقيدة الإنسان ٤١

الفصل الأوّل
في الحاجة إلى الدين والنبوة

الدليل الأول على الحاجة إلى الدين ٤٥
المقدّمة الأولى: أنّ لهذا العالم خالقاً وربّاً ٤٥
المقدّمة الثانية: أنّ الخالق عادل حكيم وله غاية في فعله ٤٨
المقدّمة الثالثة: الغاية من خلق الإنسان تحقيق سعادته في الدارين ٤٩
خصوصيات الإنسان ٥٢
الخصوصية الأولى: اختيارية الفعل الإنساني ٥٣
الخصوصية الثانية: الإنسان واقف على مفترق طريقين ٥٧
إنسانية الإنسان بروحه ٥٩
الفرق بين الإنسان والملائكة ٦١
المقدّمة الرابعة: حقيقة الرابطة بين العمل والجزاء ٦٣
أنواع الجزاء ٦٣
النوع الأول: الجزاء الاعتباري ٦٣
النوع الثاني: الجزاء الحقيقي المتأخّر عن العمل ٦٣
النوع الثالث: الجزاء الحقيقي حين العمل ٦٤
للعمل والجزاء الأخروي رابطة حقيقية من النوع الثالث ٦٤
دلالة الآيات على أنّ باطن العمل هو الجزاء ٦٥
لم لا يشعر الإنسان بالجزاء؟ ٦٦
التأييد الروائي ٦٧
هل يمكن الاطلاع على باطن الأعمال؟ ٦٨
المقدّمة الخامسة: في بيان قوانين الآخرة ٦٩

القانون الأول: قانون تجسّم الأعمال ٧١
الآيات الدالّة على تجسّم الأعمال ٧٢
الروايات الدالّة على تجسّم الأعمال ٧٣
القانون الثاني: قانون مجازاة الأعمال ٧٦
القانون الثالث: تحقّق الأشياء في الآخرة بمجرّد الإرادة ٨٠
القانون الرابع: ارتباط نظام التكوين بنظام التشريع ٨٢
خلاصة مقدمات الدليل الأول ٨٥
نتيجة الدليل الأول؛ طريقان لإيصال خبر السماء إلى الإنسان ٨٥
الدليل الثاني في الحاجة إلى الدين والنبوّة ٨٧
المقدمة الأولى: الإنسان مركّب من عقل وشهوة ٨٧
المقدمة الثانية: الإنسان يحبّ ذاته بالفطرة ٨٩
اختلاف الناس في تشخيص الكمال ٩٢
المقدمة الثالثة: الإنسان يطلب الكمال اللامتناهي ٩٣
المقدمة الرابعة: كلّ شيء خُلق لأجل الإنسان ٩٥
السيادة على عالم الإمكان ليست لجميع البشر ٩٧
قدرة الإنسان على اكتشاف قوانين ما سخّر له ٩٨
لابدّ من خصوصية أخرى للإنسان ٩٩
المقدمة الخامسة: عدم إمكانية الاستفادة من الطبيعة مباشرة ١٠٠
المقدّمة السادسة: اختلاف وتنوّع مطاليب الناس ١٠٢
خلاصة مقدّمات الدليل الثاني ١٠٣
نتيجة الدليل الثاني: ضرورة وجود قانون لحلّ النزاع ١٠٣
الاتجاهات في قانون حلّ النزاع ١٠٤
الاتجاه الأول: الاتجاه المادّي ١٠٤

الاتجاه الثاني: الاتجاه الإلهي ١٠٦
المقام الأول: عجز الإنسان من اكتشاف قوانين العدل الإلهي ١٠٧
المقام الثاني:عدم وجود الدافع لتطبيق قوانين العدل الإلهي ١٠٧
انسجام قوانين الدين مع الفطرة ١١٠
ازدياد الحاجة إلى الدين بتعقّد الحياة الاجتماعية ١١٢
أهداف النبوّة؛ الهدف الأول: دعوة الناس إلى التوحيد ١١٤
الهدف الثاني: إقامة العدالة الاجتماعية ١١٤
النظرية الأولى: الهدف الاصيل إقرار العدالة الاجتماعية ١١٤
النظرية الثانية: كلا الهدفين أصيل ١١٦
النظرية الثالثة: الهدف الأصيل هو القرب الإلهي ١١٧
النظرية الرابعة: الهدف القرب الإلهي مع وجود قيمة ذاتية للعدالة ١١٨
القرب والعبودية لله تعالى يساوقان معنى الحرية ١٢١
أقسام العبودية ١٢١
الأول: العبودية التي ترجع فائدتها إلى المعبود ١٢١
الثاني: العبودية التي ترجع فائدتها إلى العابد ١٢١
إقامة العدل الاجتماعي أمثل وسيلة لعبودية الله تعالى ١٢٢
الفرق بين النظريتين القرآنية والمادّية في إقامة العدل الاجتماعي ١٢٥
النتائج المتحصّلة؛ ١ـ تقديم المصلحة الاجتماعية في حالة التعارض ١٢٥
٢ـ ضرورة الحكومة لإقامة العدالة الاجتماعية ١٢٦
الحاكم في النظرية القرآنية وليّ عن الله أم وكيل عن الناس ؟ ١٣١
الولاية في عصر الغيبة ١٣٤
خلاصة ما تقدّم ١٣٦

الفصل الثاني
بحوث حول الشرائع والنبوات

المبحث الأوّل: تعدّد الشرائع ووحدة الدين ١٤٥
١. المراد من الدين هو الإسلام ١٤٥
٢. الإسلام اسم جامع لجميع الشرائع ١٤٦
٢. السبب في ختم الشرائع ١٥٠
المبحث الثاني: الطريق لمعرفة النبي ١٥١
انواع المعاجز؛ النوع الأول: المعاجز الحسّية المؤقتة ١٥٤
النوع الثاني: المعاجز التي لاتدرك إلاّبالعقل ١٥٤
المبحث الثالث: الفرق بين الشريعة الخاتمة و الشرائع الأخرى ١٥٥
الفارق الأول: توفرّ المعجزة الدائمة للشريعة الخاتمة ١٥٦
الفارق الثاني: عدم وقوع الانحراف في الرسالة الإسلامية ١٥٧
جهات الإعجاز القرآنية ١٥٩
أولاً: في الفصاحة والبلاغة ١٥٩
ثانياً: عدم وقوع الاختلاف في القرآن ١٦٢
ثالثاً: التحدي بمن أنزل عليه ١٦٣
رابعاً: إعجاز القرآن الكريم في جهات أخرى ١٦٥
الفارق الثالث: الرسالة الإسلامية رسالة عالمية ١٦٧
الفارق الرابع: الرسالة الإسلامية رسالة شاملة ١٦٨
الأدلّة على شموليّة الرسالة الخاتمة ١٦٩
الدليل الأوّل: الآيات القرآنية ١٦٩
الدليل الثاني: النصوص الروائية ١٧٢
الدليل الثالث: خاتميّة الرسالة دليل شموليتها ١٧٤

الفارق الخامس: فتح باب الاجتهاد في الرسالة الخاتمة ١٧٥
المبحث الرابع: الفرق بين الشرائع السماوية والنظريات الفلسفية........ ١٧٧
١. تكامل الشرائع الإلهية........ ١٧٨
٢. تجسيد الانبياء العملي للرسالات السماوية ١٨١
المعطيات المترتّبة على تجسيد الأنبياء للرسالات الإلهية ١٨٢
المبحث الخامس: أفضلية النبي صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء........ ١٨٥
الأدلّة على أفضلية نبينا صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء ١٨٦
النبيّ صلّى الله عليه وآله أعلم من جميع الأنبياء ١٩٣
أيّ نوع من العبودية؟ ١٩٩
أقسام العبودية........ ١٩٩
خلاصة الفصل الثاني........ ٢٠٥

الفهارس العامة

فهرس الآيات ٢٠٩
فهرس الأحاديث........ ٢٢٧
فهرس المصادر ٢٣٣
فهرس المحتويات........ ٢٣٩

صدر للسيد كمال الحيدري

١. التوحيد: بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته (جزءان)
تقرير: جواد علي كسار (الطبعة السادسة)

٢. معرفة الله (جزءان) (الطبعة الثانية)
بقلم: طلال الحسن

٣. أصول التفسير والتأويل؛ مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسّرين (في جزأين) (الطبعة الثانية)

٤. بحث حول الإمامة. (الطبعة السابعة)
حوار بقلم: جواد علي كسار

٥. العصمة: بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني.
تقرير: محمد القاضي (الطبعة الثانية عشرة)

٦. الشفاعة؛ بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها (الطبعة الثانية)

٧. تأويل القرآن: النظرية والمعطيات. (الطبعة الأولى)

٨. المذهب الذاتي في نظرية المعرفة (الطبعة الثالثة)

٩. دروس في الحكمة المتعالية (جزءان) (الطبعة الرابعة)

١٠. شرح بداية الحكمة (جزءان) (الطبعة الثالثة)

تقرير: الشيخ خليل رزق

١١. التربية الروحية: بحوث في جهاد النفس (الطبعة الثامنة)

١٢. من الخلق إلى الحقّ .. رحلات السالك في أسفاره الأربعة

بقلم: طلال الحسن. (الطبعة الثانية)

١٣. بحوث في علم النفس الفلسفي (الطبعة الرابعة)

تقرير: الشيخ عبد الله الأسعد

١٤. مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميين. (الطبعة الثانية)

ويشمل الرسائل التالية:

* التفسير الماهوي للمعرفة (بحث في الوجود الذهني)
* نفس الأمر وملاك الصدق في القضايا
* المدارس الخمس في العصر الإسلامي
* منهج الطباطبائي في تفسير القرآن
* خصائص عامّة في فكر الشهيد الصدر

١٥. عصمة الأنبياء في القرآن (الطبعة الخامسة)

تقرير: محمود نعمة الجياشي

١٦. يوسف الصدّيق.. رؤية قرآنية (الطبعة الثانية)

تقرير: محمود نعمة الجياشي

١٧. التفقّه في الدين (الطبعة الثانية)

بقلم: الشيخ طلال الحسن

١٨. التقوى في القرآن: دراسة في الآثار الاجتماعية (الطبعة السابعة)

١٩. مفهوم الشفاعة في القرآن (الطبعة الثانية)
تقرير: الشيخ محمد جواد الزبيدي

٢٠. التوبة: دراسة في شروطها وآثارها

٢١. مناهج بحث الإمامة بين النظرية والتطبيق
تقرير: الشيخ محمد جواد الزبيدي

٢٢. مقدّمة في علم الأخلاق
وقد جمعت الكتب (١٩ ـ ٢٢) في كتاب مستقلّ بعنوان:
في ظلال العقيدة والأخلاق .

٢٣. الإعجاز بين النظرية والتطبيق (الطبعة الثالثة)
بقلم: الشيخ محمود الجياشي

٢٤. القطع؛ دراسة في حجّيته وأقسامه (الطبعة الأولى)
بقلم: محمود نعمة الجيّاشي.

٢٥. الظنّ؛ دراسة في حجّيته وأقسامه (الطبعة الأولى)
بقلم: محمود نعمة الجيّاشي.

٢٦. لا ضرر ولا ضرار؛ بحث فقهي (الطبعة الخامسة)

٢٧. العرفان الشيعي.. رؤى في مرتكزاته النظريّة ومسالكه العمليّة
بقلم: الشيخ خليل رزق (الطبعة الأولى)

٢٨. **معالم التجديد الفقهي؛ معالجة إشكالية الثابت والمتغيّر في الفقه الاسلامي** (الطبعة الأولى)

بقلم: الشيخ خليل رزق

٢٩. **الدروس (شرح الحلقة الثانية للسيد محمد باقر الصدر) في أربعة أجزاء** (الطبعة الأولى)

بقلم: علاء السالم

٣٠. **مدخل إلى الإمامة** (الطبعة الخامسة)

٣١. **الثابت والمتغيّر في المعرفة الدينيّة** (الطبعة الأولى)

بقلم: الدكتور علي العليّ

٣٢. **الفلسفة؛ شرح كتاب الأسفار الأربعة** (الطبعة الأولى)

الإلهيّات بالمعنى الأعمّ؛ الجزء الأول.

بقلم: الشيخ قيصر التميمي

٣٣. **علم الإمام؛ بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمّة المعصومين**

بقلم: الشيخ علي حمود العبادي (الطبعة الأولى)

٣٤. **الراسخون في العلم؛ مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه**

بقلم: الشيخ خليل رزق (الطبعة الأولى)